اللغة الإسبانية في المغرب

صاحب التقرير

دافيد فرناندیث فِيطورِيس

الصرف الأكاديمي المغربي

فاتحة بنلبَّاه

المؤسسات المشاركة

- وزارة الشؤون الخارجية والتعاون بإسبانيا
- وزارة الشؤون الخارجية والتعاون بالمغرب
- وزارة التربية والثقافة والرياضة بإسبانيا
- وزارة التربية الوطنية المغربية
- معهد سرفانطيس
- معهد الدراسات الاسبانية البرتغالية

MARCA ESPAÑA

EMBAJADA DE ESPAÑA EN MARRUECOS

cooperación española

iehL معهد الدراسات الإسبانية البرتغالية

اللغة الإسبانية في المغرب

صاحب التقرير

دافيد فرنانديث فِيطورِيس

الطرف الأكاديمي المغربي

فاتحة بنلبَّاه

المؤسسات المشاركة

- وزارة الشؤون الخارجية والتعاون بإسبانيا
- وزارة الشؤون الخارجية والتعاون بالمغرب
- وزارة التربية والثقافة والرياضة بإسبانيا
- وزارة التربية الوطنية المغربية
- معهد سرفانطيس
- معهد الدراسات الاسبانية البرتغالية

المحتويات

الجزء الأول : مقدمة 9

الفصل الأول. الإسبانية في العالم 11

الفصل الثاني. لغات المغرب ووضع اللغة الإسباني 18

1.2. العربية الدارجة المغربية 21
2.2. الأمازيغية 22
3.2. العربية الفصحى 23
4.2. العربية الحديثة 23
5.2. الفرنسية 24
6.2. الإنجليزية 25
7.2. الإسبانية 25
1.7.2. الناطقون بالإسبانية 29

الفصل الثالث. تدفقات الهجرة بين إسبانيا والمغرب وأثرها في انتشار الإسبانية 32

1.3. الإسبان المقيمون بالمغرب 32
2.3. المغاربة المقيمون بإسبانيا 35

الفصل الرابع. العلاقات التجارية بين المغرب وإسبانيا 40

الفصل الخامس. صورة إسبانيا وأثرها في مؤشرات الهوية لدى الناطقين بالإسبانية 43

الجزء الثاني : تعليم الإسبانية في المغرب 47

الفصل السادس. النظام التعليمي المغربي 49

1.6 مدخل 49
2.6. مراحل النظام التعليمي المغربي 52
1.2.6. التعليم الأولي 52
2.2.6. التعليم الابتدائي 53
3.2.6. التعليم الثانوي والباكلوريا 53
4.2.6. التعليم الأصيل 54
5.2.6. التعليم الجامعي 54
3.6 أنواع المؤسسات ومسألة التمويل 55
4.6 فئة المتعلمين 56
5.6 تعليم اللغات الأجنبية في النظام التعليمي 57

الفصل السابع. تدريس اللغة الإسبانية بالمغرب 58
1.7 تدريس اللغة الإسبانية بالمغرب كلغة أجنبية 58
1.1.7 التعليم الأولي والابتدائي 58
2.1.7 التعليم الثانوي الإعدادي والثانوي التأهيلي 58
3.1.7 التعليم الجامعي 60
2.7 حضور وزارة التربية والثقافة والرياضة 62
1.2.7 المؤسسات 62
2.2.7 تكوين الأساتذة 63
3.2.7 مراكز الموارد 64
3.7 عمل معهد سرفانطيس 64
الفصل الثامن. التلاميذ والطلبة المغاربة بإسبانيا 68
الجزء الثالث : الإسبانية في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية بالمغرب 71
الفصل التاسع. نظرة عامة 73
الفصل العاشر. عالم النشر 77
الفصل الحادي عشر. القطاع السمعي البصري 85
الفصل الثاني عشر. الإسبانية في الصحافة التقليدية والرقمية 90
الفصل الثالث عشر. مظاهر أخرى من الحياة الاجتماعية والسياسية مرتبطة باللغة الإسبانية 96
1.13 اليهود السفارديون 96
2.13 اتفاقيات التوأمة بين المغرب وإسبانيا 97
الجزء الرابع : اللغة الإسبانية في الفضاء المقاولاتي المغربي 99
الفصل الرابع عشر. حضور المقاولات الإسبانية ومقاولات أمريكا اللاتينية بالمغرب وأثرها في انتشار الإسبانية 101
الفصل الخامس عشر. اللغة الإسبانية في المقاولة المغربية 109
الفصل السادس عشر. دور السياحة في نشر اللغة الإسبانية 116
الجزء الخامس : خلاصات 123
مراجع 128

قائمة الرسوم البيانية

الرسم البياني 1.1.	اللغات الأكثر تداولا على الأنترنيت
الرسم البياني 1.2.	الجواب على السؤال : من بين اللغات الآتية، ما هي اللغة التي يمكنك أن ...؟ (بالنسبة المائوية)
الرسم البياني 3.2.	نسبة المغاربة الناطقين بالعربية الحديثة والدارجة المغربية والأمازيغية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية
الرسم البياني 1.3.	الإسبان المقيمون بالمغرب. 1952-2012
الرسم البياني 2.3.	الإسبان المقيمون بالمغرب والإسبان المسجلون في هيئة الناخبين الإسبانية
الرسم البياني 3.3.	تطور عدد المغاربة الحاصلين على شهادة التسجيل أو بطاقة الإقامة الصالحتين في 31 دجنبر. 1999-2011
الرسم البياني 4.3.	حركات تنقل الأشخاص المولودين في المغرب من إسبانيا إليها
الرسم البياني 1.4.	تطور المبادلات التجارية بين إسبانيا والمغرب (بملايين الأوروهات)
الرسم البياني 1.6.	توزيع النفقات على التربية حسب الأسلاك التعليمية. 2010
الرسم البياني 2.6.	نسبة التسجيل في كل سلك من الأسلاك التعليمية. 2010
الرسم البياني 1.7.	تطور عدد المجازين في اللغة الإسبانية وآدابها في التعليم الجامعي المغربي. 2000/2010.
الرسم البياني 2.7.	تطور عدد تلاميذ في جميع المؤسسات بالمغرب. 2002/2013.
الرسم البياني 1.8.	تطور عدد التلاميذ المغاربة في التعليم غير الجامعي حسب نوع التعليم. الفترة 2000-2011
الرسم البياني 2.8.	تطور عدد تأشيرات الدراسة الممنوحة للطلبة المغاربة 1999 -2011
الرسم البياني 1.9.	الأسواق المستهدفة من المنتَج الثقافي الإسباني

الرسم البياني 1.10.	تطور صادرات قطاع النشر الإسباني إلى المغرب. 2011 (بآلاف الأورو).
الرسم البياني 2.10.	توزيع إنتاج قطاع النشر المغربي حسب اللغات. 2004-2002، بالنسبة المائوية وبعدد الإصدارات.
الرسم البياني 3.10.	تطور الصادرات الإسبانية إلى المغرب، قطاع فنون الرسم والتخطيط. 1998 – 2011 (بآلاف الأورو).
الرسم البياني 2.12.	أجوبة على السؤال «ما رأيك في بوابة بالإسبانية حول المغرب؟».
الرسم البياني 1.14.	الاستثمار الخارجي المباشر بالمغرب. 2010 (بالنسبة المائوية)
الرسم البياني 2.14.	حركة الاستثمار الإسباني الصافي بالمغرب. 2000-2011 (بآلاف الأورو)
الرسم البياني 3.14.	حجم الواردات المغربية حسب لغة البلد المصدِّر. 2011 (بالنسبة المائوية)
الرسم البياني 1.15.	الجواب على السؤال: هل تعتقد (ين) أن الحكومة المغربية تقدم تسهيلات للاستثمار الإسباني؟ (بالنسبة المائوية)
الرسم البياني 2.15.	أهمية اللغات في المعاملات التجارية الدولية بالمغرب. 2011 (بالنسبة المائوية)
الرسم البياني 3.15.	عروض عمل يطلب فيها الإلمام باللغات، حسب اللغة المطلوبة. 2013 (بالنسبة المائوية)
الرسم البياني 4.15.	نوع الإلمام باللغة الإسبانية الذي تطلبه المقاولات المغربية. 2013 (بالنسبة المائوية)
الرسم البياني 5.15.	أنواع ومجالات العمل التي يطلب فيها الإلمام بالإسبانية. 2013 (بالنسبة المائوية)
الرسم البياني 6.15.	عدد الصفقات العمومية التي يطلب فيها الإلمام بالإسبانية.
الرسم البياني 1.16.	عدد السياح الذين زاروا المغرب حسب جنسياتهم. 200
الرسم البياني 2.16.	تطور عدد السياح الإسبان الذين زاروا المغرب. 2001–2009
الرسم البياني 3.16.	عدد مبيتات السياح الأجانب حسب جنسياتهم. 2009

قائمة الجداول

الجدول 1.1.	عدد سكان الدول الناطقة باللغة الإسبانية
الجدول2.1.	عدد الناطقين باللغة الإسبانية في البلدان التي ليست فيها الإسبانية لغة رسمية
الجدول 3.1.	عدد الناطقين بالإسبانية
الجدول 4.1.	العدد التقريبي لطلاب الإسبانية في العالم
الجدول 1.2.	عدد الناطقين بالأمازيغية والدارجة المغربية
الجدول 1.3.	أهم المناطق التي يأتي منها والتي يقصدها الإسبان المقيمون في المغرب
الجدول 2.3.	عدد المهاجرين المغاربة حسب الأقاليم المستقلة. 30-6-2012
الجدول 1.5.	أهم مصادر المعرفة حول إسبانيا حسب جنس الأشخاص المستجوبين (بالنسبة المائوية)
الجدول 2.5.	صورة إسبانيا في أذهان المغاربة (بالنسبة المائوية)
الجدول 1.6.	مؤشرات تربوية
الجدول 2.6.	النظام التعليمي المغربي
الجدول 3.6.	عدد التلاميذ في كل سلك من الأسلاك التعليمية. السنة الدراسية 2011/2010
الجدول 4.6.	عدد الطلبة والأساتذة والمؤسسات في كل تخصص من تخصصات التعليم العالي. السنة الدراسية 2009/2010
الجدول 1.7.	اللغة الإسبانية كلغة أجنبية في التعليم الثانوي المغربي. السنة الدراسية 2011/2010.
الجدول 2.7.	متعلّمو اللغة الإسبانية في التعليم الثانوي المغربي السنة 2010-2011
الجدول 3.7.	تنامي حضور اللغة الإسبانية في التعليم الثانوي المغربي
الجدول 4.7.	تطور عدد الطلبة في التعليم الجامعي المغربي. (2000-2012)

الجدول 5.7.	تطور عدد الأساتذة في شعبة اللغة الإسبانية وآدابها. (2000–2011)
الجدول 6.7.	نشاط معاهد سرفانطيس بالمغرب. (السنة الدراسية (2012–2013)
الجدول 7.7.	أسباب تعلم الإسبانية في معهد سرفانطيس :
الجدول 8.7.	عدد المرشحين لدبلوم الإسبانية كلغة أجنبية (DELE) في 2012
الجدول 9.7.	عدد الأنشطة التكوينية وعدد المشاركين فيها. السنة الدراسية 2012–2013
الجدول 1.9.	أهمية البعد الثقافي في التقريب بين المغرب وإسبانيا حسب لفئات العمرية (بالنسبة المئوية).
الجدول 1.10.	تصدير الكتب الإسبانية إلى المغرب حسب المواد 2011.
الجدول 2.10.	توزيع إنتاج قطاع النشر على حساب الكاتب، حسب اللغة 2002–2004.
الجدول 3.10.	توزيع الإنتاج المترجَم من قطاع النشر المغربي حسب اللغة 2002–2004
الجدول 1.11.	الإنتاجات المشتركة بين إسبانيا والمغرب. 2002–2011.
الجدول 2.11.	الأفلام الإسبانية الحاصلة على رخصة التوزيع . 2004–2011
الجدول 3.11.	أفلام ومسلسلات إسبانية تم تصويرها بالمغرب 2009–2011.
الجدول 1.12.	اللغات المستعمَلة في مواقع الحركات الاجتماعية المغربية
الجدول 2.12.	المواقع الإسبانية الأكثر استعمالا من طرف المغاربة
الجدول 1.13.	اتفاقيات التوأمة بين إسبانيا والمغرب في مراحلها المختلفة.
الجدول 1.14.	أهم الدول التي يستورِد المغرب منتَجاتِها. 2013
الجدول 2.14.	الدول الناطقة بالإسبانية التي يستورد المغرب منتجاتها. 2011
الجدول 1.15.	عدد عروض العمل المعلن عنها في مواقع الويب الخاصة بالتشغيل، وهي عروض يتطلب فيها امتلاك الألمانية والإسبانية والفرنسية والإنجليزية. 2013
الجدول 1.16.	أهم الوجهات التي يقصدها السياح الإسبان.

الجزء الأول : مقدمة

الفصل الأول. اللغة الإسبانية في العالم[1]

تشير آخر التقديرات التي أوردَها معهدُ «سرفانطيس» إلى أن أكثر من 495 مليون شخص يتكلمون اللغة الإسبانية في الوقت الراهن. يندرج ضمن هذا العدد أهل هذه اللغة الاصليون، والمتكلمون ذوو الكفاية المحدودة، والمستعملون لها كلغة أجنبية. ثم إنَّ اللسان الإسباني هو ثاني لغة في العالم من حيث عدد الناطقين الأصليين به وأيضاً ثاني لغة على صعيد التواصل الدَّولي. وفضلا عن ذلك، فإن التوقعات حول تطور عدد الناطقين به تذهب إلى أنه في عام 2030، سيكون هناك 535 مليون شخص يتكلمون الإسبانية في العالم بأكمله، وأنه في عام 2050 ستبلغ المجموعة الناطقة بهذه اللغة ما يناهز 550 مليون متكلم (انظر «ريوس» 2003»).

إن العدد الحالي الذي يعتمده معهد «سرفانطيس» بخصوص الناطقين بهذه اللغة هو رقمٌ ورد ضمن المعلومات المستقاة من عمليات الإحصاء الرسمية التي انجزتَ ما بين عامي 2000 و2010، كما تشير إليه التقديرات الرسمية التي وضعتها معاهدُ الإحصاء في كل دولة على حدة، بالإضافة إلى تَقديرات أخرى وضعتها منظمة الأمم المتحدة لسنتي 2011 و 2012.

الجدول 1.1 عدد سكان الدول الناطقة بالإسبانية

الدولة	عدد السكان
المكسيك	112.336.538
كولومبيا	46.485.485
إسبانيا	46.185.697
الأرجنتين	40.117.096
البيرو	28.220.764
فنزويلا	27.150.095
الشيلي×	17.402.630
غواتيمالا×	14.713.763
الإكوادور	14.483.499
كوبا×	11.241.161
بوليفيا×	10.426.154
جمهورية الدومينيك	9.378.818
الهندوراس	8.385.072
الباراغواي×	6.337.127

1- إن معظم المعطيات الواردة في هذا الفصل هي بيانات تم استقاؤها من التقرير الذي أنجزه معهد "سرفانطيس" تحت عنوان : "اللغة الإسبانية لغة حية. تقرير 2012". والوارد في موسوعة اللغة الإسبانية في العالم. حوليات معهد"سرفانطيس" 2012. وتيسيرا للقراءة. فإن الإحالات الواردة ضمن هذا النص تشير إلى مصادر أخرى غير هذا التقرير.

السالفادور×	6.183.000
نبكاراغوا×	5.815.524
كوستاريكا	4.301.712
بويرتوريكو	3.725.789
بَنَما	3.405.813
الأورغواي	3.251.526
غينيا الاستوائيو	720.000
المجموع	**416.861.450**

المصدر : معهد «سرفانطيس» 2013.

هذه المعطيات تم استقاؤها من الإحصاءات التي أنجزتها كل دولة، وهي إحصاءات شُرع في نشرها منذ عام 2010، وفي حال عدم توفر هذه الإحصاءات، فإنه يُستنَد إذاك إلى آخر التقديرات الرسمية الصادرة عن معاهد الإحصاء بكل دولة (ويشار إليها هنا بنجمة).

الجدول 2.1. عدد الناطقين باللغة الإسبانية في البلدان التي ليست فيها الإسبانية لغة رسمية

الدولة	امتلاك اللغة منذ الولادة	كفاية محدودة
أندورّا	33.305	21.604
جزر الأنتيي الهولندية	-	-
(بونيروكوراساو)	10.699	114.835
الجزائر	300	223.422
أروبا	6.800	68.602
أستراليا	106.517	374.571
بليس	173.597	22.000
البرازيل	460.018	12.000.000
كندا	909.000	92.853
الولايات المتحدة	36.995.602	15.009.093
الفلبين	439.000	2.557.773
غوام (الولايات المتحدة)	19.902	-
إسلاندا	700	-
جزر الكايمان	2.000	-
الجزر العذراء (الولايات المتحدة)	16.788	-
إسرائيل	130.000	45.231

جامايكا	8.000	-
المغرب	6586	[1] 3.408.939
النرويج	12.573	23.677
روسيا	3.320	20.000
سويسرا	86.000	25.000
ترينيداد وتوباغو	4.100	61.786
تركيا	1.134	12.346
الاتحاد الأوربي (عدا إسبانيا)	2.397.000	15.615.000
دول أخرى	12.000	87.000
المجموع	**40.312.549**	**49.560.310**

المصدر: معهد «سرفانطيس» 2013.

هذه المعطيات تم استقاؤها من الإحصاءات الرسمية التي أنجزتها كل دولة، وكذا من التقديرات التي وضعتها منظمة الأمم المتحدة.

الجدول 3.1. عدد الناطقين باللغة الإسبانية

	في العالم الناطق باللغة الإسبانية	خارجَ العالم الناطق باللغة الإسبانية	المجموع
امتلاك اللغة منذ الولادة	385.324.160	40.312.549	425.636.709
كفاية محدودة	1.860.000	49.560.310	51.420.310
متعلمو اللغة الاجنبية			17.992.113
المستعملون المحتمَلون			495.049.132

المصدر: معهد «سرفانطيس» 2013.

وفيما يتصل بالتوقعات حول نمو اللغة الإسبانية، يتضح في ضوء دراسة التطور الديمغرافي للغات الخمس الأكثر انتشارا في العالم – وهي الصينية و الإنجليزية والإسبانية والهندية والعربية– في الفترة الممتدة ما بين 1950 و 2050 ان نسبة الناطقين باللغتين الصينية والإنجليزية تشهد انخفاضا مردُّه إلى منحى التطور الديمغرافي العالمي. وبالمقابل، تعرف الإسبانية، شأنها شأن الهندية، تزايداً معتدلا في عدد الناطقين بها، لكنه تزايدٌ يتواصل بلا انقطاع. اما العربية، فمع انها تعرف مستوى ادنى من الاستعمال، إلا انها تعرف قدرا أكبر من النمو النسبي (انظر «مورينو فرناندیث» و»أوتيرو روث» 2007).

و إذا استمرت هذه الوتيرة، فإن 10 بالمائة من سكان العالم سيتخاطبون باللسان الإسباني في غضون ثلاثة أجيال أو أربعة. ولا غرابة، فالتقديرات الصادرة عن مكتب الإحصاء بالولايات المتحدة تشير إلى أن هذه الدولة ستصبح في سنة 2050 أول بلد ناطق باللغة الإسبانية في المعمور، حيث سيبلغ عدد المتكلمين 132،8 مليون نسمة[2].

ولعل هذا التنامي الذي تعرفه اللغة الإسبانية على الصعيد العالمي هو ما جعل الطلب عليها كلغة أجنبية يتزايد في السنوات الأخيرة. وتجدُر الإشارة إلى أن هذه اللغة تصنَّف الآن في المرتبة الثالثة، بعد اللغتين الإنجليزية والفرنسية، من حيث الإقبال على دراستها كلغة أجنبية.

و على الرغم من عدم توفر معطيات شاملة مستفيضة و قابلة للمقارنة، إلا أن عدد التلاميذ الذين يدرُسون الإسبانية كلغة أجنبية يقدَّر ب 18 مليونا على الأقل. وهذا الرقم هو مجموعُ أعداد متعلمي الإسبانية الموجودين حاليا في 86 بلدا من البلدان التي لا تعَدُّ فيها الإسبانية لغة رسمية. إن هذا العدد يحيل إلى جميع المستويات التعليمية – بما في ذلك التعليم غير النظامي–، ويقتصر أمره على المعطيات المتوافرة في كل دولة من هذه الدول. والحال أن هذه المعطيات ليست شاملة مستفيضة، و بالكاد تقدِّم بعض المعلومات عن مؤسسات التعليم الخاصة. ولذلك يذهب معهد «سرفانطيس» في تقديراته إلى أن الطلبَ الحقيقي على اللغة الإسبانية يفوق بنسبة 25 بالمائة في أدنى تقديرٍ المعطياتِ الواردةَ في الجدول الآتي (ن.م).

الجدول 4.1. العدد التقريبي لطلاب الإسبانية في العالم [3]

الدولة	عدد المتعلمين
الولايات المتحدة	6.000.000 [2]
البرازيل	5.000.000[3]
ألمانيا	453.252
إيطاليا	301.976
ساحل العاج	235.806
السويد	163.378
المملكة المتحدة	102.114
السنغال	101.455
كندا	92.853
الكامرون	63.560
اليابان	60.000

2- لم نذكر هنا سوى الدول التي يوجد فيها أكثر من 20.000 تلميذ.

3- حسب الدراسة التي أنجزتها مؤسسة "سيغلو" (= Siglo القرن) لفائدة حكومة قشتالة وليون في إطار المخطط الإسباني للأجانب 2009/2005. قد يصل عدد طلاب الإسبانية في الولايات المتحدة إلى 7.820.000.

المغرب	58.382
بلجيكا	40.981
الدانمارك	39.501
أستراليا	33.913
بولندا	31.855
إيرلندا	28.854
اليونان	25.959
نيوزيلندا	25.677
النمسا	24.150
النرويج	23.677
بلغاريا	20.786
الفلبين	20.492
روسيا	20.000
الصين	20.000
مجموع الطلاب في العالم	**17.992.113**

المصدر: حوليات معهد سرفانطيس 2013 خلال سنوات 2006–2007و 2009.

إن عدد عمليات التسجيل بمعاهد سرفانطيس في جميع ربوع العالم هو عددٌ تضاعفَ ثلاث عشرة مرة في الفترة الممتدة ما بين 1993 و2011، وما فتئ الطلب يتزايد (ن.م). حقا، فخلال السنة الدراسية 2011/2010، ارتفع عدد التسجيلات الخاصة باللغة الإسبانية بنسبة 8 بالمائة قياسا إلى ما كان عليه الأمر في السنة السابقة. كما أن عدد الراغبين في الحصول على دبلومات اللغة الإسبانية كلغة أجنبية (DELE)، وهي دبلومات رسمية تشهد على مستوى الكفاية ودرجة إتقان اللغة، ويسلمها معهد «سرفانطيس» باسم وزارة التربية الإسبانية، قد شهد ارتفاعا ملموسا في سنة 2011، إذ انتقل عدد المرشَّحين المسجَّلين من 56.982 سنة 2010 إلى 62.293، وهو ما يشير إلى ارتفاع قدرُه 5،8 بالمائة[4]. ومتى أخذنا بالاعتبار كون العرض المتعلق بهذه الدبلومات يشمل أكثر من 110 بلدا[5]، اتضح لنا بما لا يدَع للشك مجالا أن الطلب على اللسان الإسباني كلغة أجنبية ما يزال قويا على الصعيد العالمي.

4- حوليات معهد سرفانطيس 2011/2010.

5- 2008 Selig Center for Economic Growth) مركز "سليغ" للتنمية الاقتصادية

ولئن كان من الصعب وضعُ حساب دقيق للقيمة الاقتصادية التي تكتسيها هذه اللغة، إلا أنه في تقدير بعض الباحثين أن «الناتج الداخلي الخام المقترن باللغة الإسبانية» قد يناهز 5،4 مليار دولار في العالم. ويتضح أن ثُلثَيْ هذا الناتج يتم إنتاجُهما ما بين منطقتين كُبريَيْن هما أمريكا الشمالية من جهة (المكسيك والولايات المتحدة وكندا)، والاتحاد الأوربي من جهة أخرى. هاتان المنطقتان تضمان 78 بالمائة من مجموع القدرة الشرائية الموجودة عند أهل الإسبانية في العالم، فيما يلاحظ أن أكثر من 200 مليون من الناطقين باللغة الإسبانية في أمريكا اللاتينية يبلغون نسبة 22 بالمائة من هذا المجموع. وإذا أدخلنا في الحسبان أن الناتج الداخلي الخام العالمي بلغ نسبة 5،48 بالمائة عام 2006، فإنه يسُوغ لنا أن نخلُص إلى استنتاجٍ مُفادُه أن مجموع الناطقين بالإسبانية يُسهِمون في هذا الناتج العالمي بنصيبٍ قدرُه 2،9 بالمائة («جيمينيث» 2009).

وعند الحديث عن اللغة الإسبانية من حيث ما لها من ثقل اقتصادي، يغدو من شبه الضروري الحديث عن مجموعة الناطقين بالإسبانية في الولايات المتحدة. فحسب ما يشير إليه مركز «سليغ» للتنمية الاقتصادية (Selig Center for Economic Growth)، كانت القدرة الشرائية لدى الساكنة الناطقة بالإسبانية تقدر ب 2،1 مليار دولار عام 2012. واستنادا إلى هذا المقياس وحده دون غيره، يتضح أن مجموعة أهل الإسبانية في الولايات المتحدة هي مجموعة لا تتجاوزُها على الصعيد العالمي سوى 13 دولة، وهذا يعطينا فكرة عن الطاقة الكامنة الهائلة التي تزخر بها هذه السوق المحتملة ليس فحسب في الولايات المتحدة، بل أيضا في جميع أنحاء المعمور («فرناندیث فيتوريس» 2013).

ويتبين من منظور شمولي أن القدرة الشرائية لدى أهل الإسبانية تتضاعف كل عقد من الزمن في الولايات المتحدة: فمن 212 مليار دولار عام 1990 نراها انتقلت إلى 489 عام 2000، ثم إلى 978 مليار دولار عام 2009. أضف إلى ذلك أن هذه القدرة الشرائية تتنامى بوتيرة أكثر تسارعاً عند هؤلاء منها عند مجموعات أخرى، كالساكنة الإفريقية الأمريكية، أو السكان ذوي النشأة الأمريكية، أو الآسيويين. وقد كانت القدرة الشرائية عند مستعملي الإسبانية تمثل سنة 2009 ما قدره 1،9 بالمائة من مجموع هذه القدرة في الولايات المتحدة، وهو ما يعني أن هذه النسبة سجلت تزايدا قويا ومتواصلا منذ 1990 (5 بالمائة) وعام 2000 (8،6 بالمائة). والملاحظ ان هذه القدرة تصل عند أهل الإسبانية إلى نسبة 30 بالمائة في بعض الولايات مثل المكسيك الجديدة، وتتراوح بين 4،15 بالمائة و1،20 بالمائة من إجمالي القدرة الشرائية في ولايات ذات ثقل اقتصادي وسياسي كما هو حال تكساس وكاليفورنيا وفلوريدا (ن.م)[6].

إن اللغة الإسبانية تقع ضمن اللغات الخمس الأولى عالميا من حيث عدد المتكلمين، ومن حيث عدد البلدان التي تتخذها لغةً رسمية، وكذا من حيث امتدادها الجغرافي («مُورينو فرناندیث» و«أوطيرُو رُوث» 2007). وينبغي الإشارة أيضا إلى أن قيمة الانتماء إلى المجموعة اللغوية نفسها هي قيمة تتزايد بقدر ما يتزايد عدد أهل هذه المجموعة، إذ تتضاعف بذلك إمكانات التبادل وفرص المعاملات وعقد الصفقات. ومن ثم فإن العامل الديمغرافي يشكل أول العوامل التي تنبني عليها القوة الاقتصادية لأي لغة.

هكذا يتبين أن تقاسُم اللسان الإسباني يزيد من حجم التجارة الثنائية بنسبة 290 بالمائة، وأن تقاسم اللسان الإنجليزي يزيد من حجمها بنسبة 240 بالمائة. وكلتا الحالتين تتخطيان بكثير مستوى ما تعنيه وتقتضيه «اللغة المشتركة» باعتبارها متغيرا نوعيا، وهذا يبيِّن ما تكتسيه هاتان اللغتان من أهمية تجارية. ومهما يكن من أمر، فإن اللغة المشتركة تشكل متغيرا ذا أهمية أكبر في تفسير قيام التجارة الثنائية بين البلدان الناطقة بالإسبانية قياسا إلى البلدان الأنجلوسكسونية («خيمينيث» و«أرانثاثو ناربونا» 2011).

ولنشر أخيرا إلى أن أحد أبلغ المؤشرات وأقوى الدلائل على قوة اللغة الإسبانية بوصفها أداة للتواصل الدولي يتمثل في ما تحظى به من استعمال على شبكة الأنترنيت. فالإسبانية تأتي حاليا في المرتبة الثالثة بين اللغات الأكثر تداولا على الأنترنيت، وذلك بالنظر إلى عدد مستخدِميها في هذه الشبكة. فمن بين 2.100 مليون مستخدم للأنترنيت في العالم بأسره، نجد أن 8،7 بالمائة يتواصلون

6- إنا ندرج تحليلنا هذا في إطار مفهوم السوق اللغوية الذي اقترحه "بيير بورديو" (1985 [1982]: ص 13). وعند هذا الباحث أن السوق اللغوية يمكن وصفها بأنها نظام مخصوص تتخلله جملة من أشكال الجزاء والرقابة. وأنه مجموعة من القواعد الاجتماعية التي من خلالها يتم تحديد القيمة الملموسة للمنتجات اللغوية. إن اختيار اللغة داخل هذه السوق هو اختيار يتحقق عن طريق الأخذ بالاعتبار لعوامل معينة تسهم في اتخاذ أحسن القرارات الممكنة. أو بتعبير آخر، اتخاذ أنفع القرارات وأجداها. يتمثل بعض هذه العوامل في الرصيد الاقتصادي الذي ينطوي عليه اكتساب اللغة نفسها أو الحفاظ عليها. كما يتمثل في طاقتها التواصلية وتكلفة المعاملات المترتبة عن استخدامها. ويتضح في البيئة المتعددة اللغات التي تسم المغرب أن هذه السلوكات قد تتجلى. فيما تتجلى فيه. في تعلم لغة محددة او في الحفاظ عليها أو تحسين امتلاكها.

باللسان الإسباني. أما اللغتان اللتان تسبقان الإسبانية، فهما الإنجليزية والصينية. وإذا أخذنا بالاعتبار أن اللغة الصينية هي لغة لا يتكلمُها عموما سوى أهلها ذَوي المنشأ الصيني، فإنه يسوغ لنا القول إن الإسبانية تحتل المرتبة الثانية عالميا كلغة تواصل متداولة في الأنترنيت، بعد الإنجليزية.

الرسم البياني 1.1 اللغات الأكثر تداولاً على الأنترنيت

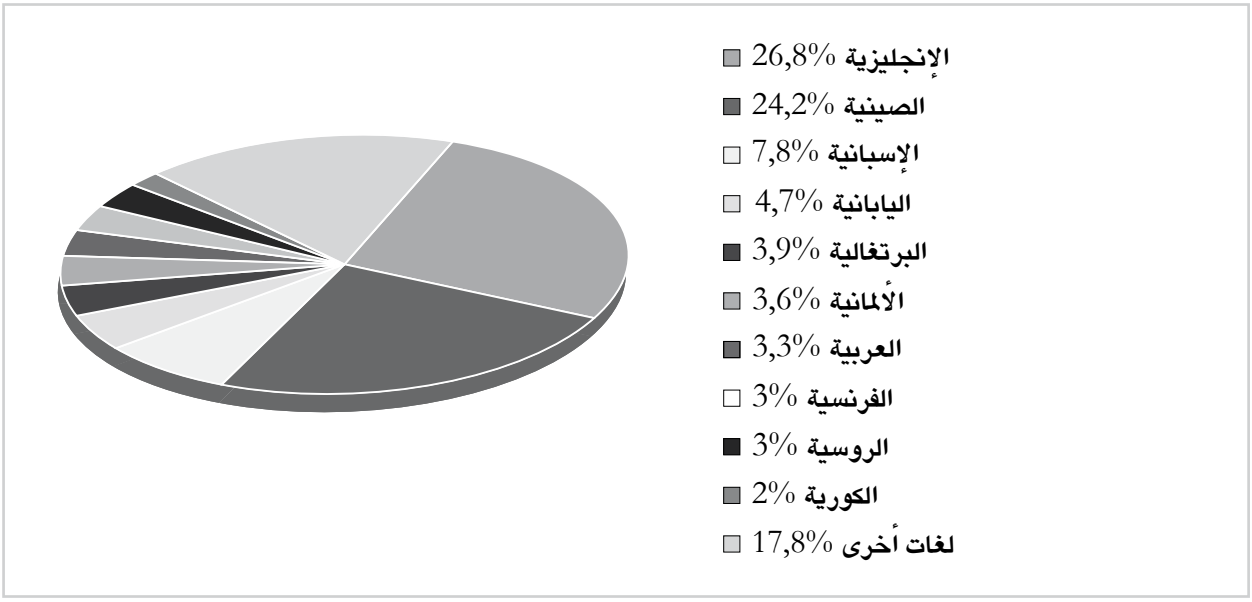

المصدر: الإحصاءات الخاصة بمستعملي الأنترنيت في العالم، 5 ماي 2012.

الفصل الثاني . لغات المغرب ووضعية اللغة الإسبانية

من بين كبرى دول المغرب العربي، يتميز المغرب بكونه البلدَ الأشد تعقيداً من حيث وضعُه اللغوي ("لُكلير" 2013). فقد كان من آثار قدوم العرب إبَّانَ القرنين السابع والثامن إلى ربوع إفريقيا الشمالية الناطقة باللغة البربرية، ومن آثار الاستعمار الفرنسي والإسباني الذي حدث في مطلع القرن العشرين أن تشكَّل مشهدٌ لغوي تعيش فيه لغاتٌ مختلفة أوضاعا متباينة، علماً أنها لغات أسندت لها أدوارٌ مختلفة، بل متعارضة في كثير من الأحيان (الناجي 2002، ص –71 2).

فقبل فترة الاستعمار، كانت أهم اللغات التي يتداوَلُها المغاربة تتمثل في العربية الفصحى والعربية الدارجة و"البربرية". وكان النمطُ الأوحد من الازدواجية اللغوية ينحصر في اللغتين البربرية والدارجة المغربية (العباسي 1977: ص 100)، وهي ازدواجية ما تزال موجودة في الوقت الراهن.

أما اللغة الفرنسية، فقد دخلت إلى المغرب ابتداء من سنة 1912 على يد السلطات الاستعمارية، التي لم تلبث أن فرضتها لغةً رسمية في التعليم والإدارة ووسائل الإعلام. هكذا تم تحجيمُ اللغة العربية الفصحى في مجالات مخصوصة كالحقل الديني والأنشطة التقليدية وما يتَّصل بها، بينما أضحت الفرنسية تعدُّ لغة الحداثة والعلم.

وبعد الاستقلال، أصبح إحياء اللغة العربية عبر تعزيز موقعها في النظام التعليمي أمراً أخذته الدولةُ على عاتقها، جاعلة منه مسألة دولة. وكان أن أُقرّت العربيةُ لغةً رسمية وشُرِع في سياسة التعريب التي ما تزال قائمة في يومنا هذا (الناجي 2002: ص 72).

وقد نجم عن هذا التطور التاريخي أنه يكاد يكون من المحال أن تجد في المغرب فضاءات تستخدَم فيها لغة واحدة. ففي الأغلب الأعم من الأحوال نصادف أوضاعا تتواجد فيها لغتان أو ثلاث لغات أو أكثر تتنافس كي تحوزَ موطئ قدم لها في السوق اللغوية[7] المغربية ("رولدان روميرو" 2005: ص 34). وخير دليل على حيوية هذه السوق اللغوية إنما هو الإصلاح الدستوري الذي تم إقرارُه عام 2011 ردا على حركات الاحتجاج التي ظهرت في سياق الربيع العربي. ومنذئذٍ أضحى للمغرب لغتان رسميتان هما العربية الحديثة والأمازيغية، أو البربرية[8].

وعلى كل، فإن الدستور الجديد يقضي بأن يتم إدراج اللغة الأمازيغية في المجال الرسمي على نحو تدريجي. ومن ثم يتضح أن اللغة العربية ما تزال تشكل، على صعيد الممارسة، أكثر اللغات تداولا في المجال العمومي، وإن كان النصُّ الدستوري ذاتُه يقضي بأن تتبوأ الأمازيغية في المستقبل المواقع نفسها التي تحظى بها العربية حاليا.

وإلى أن يأتي ذلك اليوم، تبقى أكثر اللغات حظوةً داخلَ المجتمع العربيةُ الحديثة، ثم الفرنسية، التي تتبوأ موقع اللغة الثانية. والملاحظ أن أكثر اللغات تداولا في الحياة اليومية العربية الحديثة والدارجة المغربية والأمازيغية والفرنسية. ليس غريبا والحالة هذه أن الغالبية العظمى من المغاربة ترى في العربية الحديثة والدارجة المغربية والأمازيغية لغات وطنية حسب ما بينتْهُ دراسةٌ ميدانية نشرت عام 2002 (الناجي: ص 163). يتضح في هذا السياق أن اللغتين الإسبانية والإنجليزية تبقيان مُنزَوِيتين في خانة اللغة الأجنبية الثانية.

إن توزيع السوق اللغوية المغربية بين مختلف اللغات هو توزيع يتفاوت على نحو ملموس بحسب طبيعة المصادر التي يُلجأ إليها، أي بحسب كونها مؤسساتية أو غير مؤسساتية، وطنية أو أجنبية. ففي ضوء الاستقصاء الأخير الذي أجراه المعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية مع عيِّنة تَعدادها 5.046 شخصا، يتبين أن حصة السوق التي تقترن بكل لغة هي كما يأتي في الرسم البياني 2.1 9.

7- 11 انظر الفصل الخامس من مشروع الدستور المغربي، الجريدة الرسمية للمملكة المغربية، رقم 5952 بتاريخ 17 يونيه 2011، 1766.

8- تتراوح نسبة الإلمام بالإسبانية، بحسب المصدر الذي يستند إليه، بين 4.6 و 21.9 بالمائة من سكان المغرب. انظر الرسم البياني 2.2.

9- إزاء ما نجده في نموذج الثنائية اللغوية من استقرار وسكونية تتسم بهما وضعية اللغات، يلاحظ أنه في الأوضاع التي يطغى عليها وجود صراع لغوي، تشكل مجموعتان لغويتان (أو أكثر) عشيرتين لهما مصالح متضاربة تكون فيها اللغتان عموما عنصرا من عناصر التنافس (انظر "مورينو كابريرا" 2008).

الرسم البياني 2.1. الجواب على السؤال:

من بين اللغات الآتية، ما هي اللغة التي يمكنك أن...

تفهمها / تقرأها / تتحدث بها / تكتبها (بالنسبة المائوية)

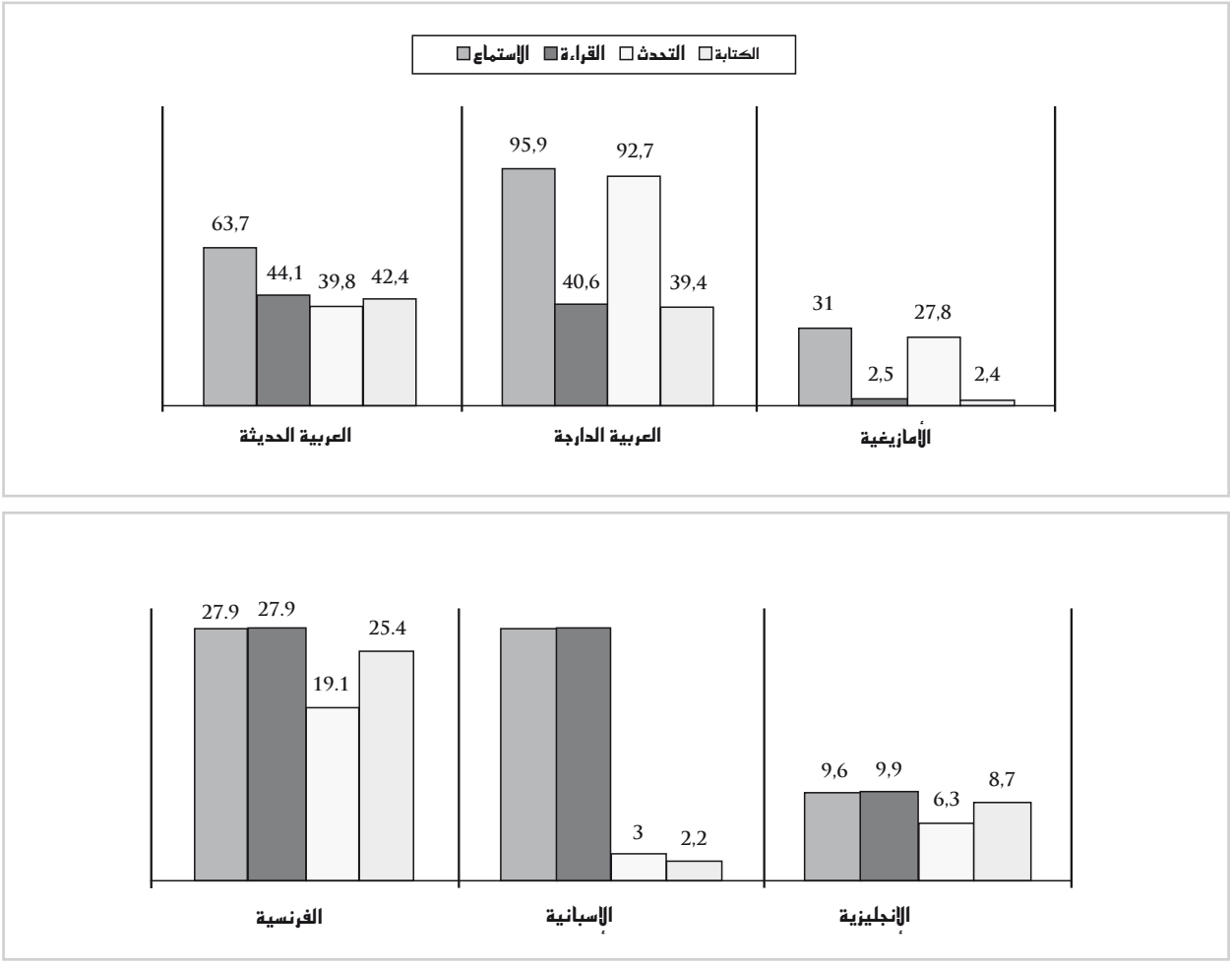

المصدر: بنجلون 2012، ص 11.

يمكن أن نلاحظ أن الدارجة المغربية هي أكثر اللغات تداولا بين المغاربة. ومن بين اللغات الأجنبية، لا شك في أن الفرنسية هي الأكثر انتشارا، تليها الإنجليزية. بيد أن هذا الانتشار لا يبدو واسعا بالقدر الذي تُظهره الاستقصاءات السابقة. والكلام نفسه ينسحب على اللغة الإسبانية: فبالنظر إلى حصة السوق المحدودة التي ينسِبُها إليها هذا البحث، يبدو أنها فقدت عددا كبيراً من متكلميها قياساً إلى ما تشير إليه الأبحاث السابقة.

ومهما يكن من أمر، فإنه بمقتضى الوضع المعقَّد الذي يسم السوقَ اللغوية الموصوفة آنفا، نرى أن المصالح المتضاربة التي تصدُر عنها مجموعاتُ الناطقين بهذه اللغة أو تلك هي مصالحُ تُفضي فَي كثير من الأحيان إلى ظهور ما يُصطَلَح عليه بعبارة الصراعات اللغوية[10]. في هذا الصدد، يذهب المستوي (2004: ص 10) إلى التمييز بين ثلاثة ضروب من الصراع اَللغوي : بين الفرنسية والعربية الفصحى، وبين الأمازيغية والعربية بمختلف تنويعاتها، ثم بين اللغات الأجنبية.

أما الصراع الأول – ذلك الذي يقوم بين الفرنسية والعربية الفصحى –، فهو يحيل إلى ما يقوم من تضارب في المصالح بين الزمرة المناصرة للتعريب والزمرة المدافعة عن الفرنكوفونية وعن الحفاظ على اللغة الفرنسية (ن.م). إن هاتين اللغتين وإن كان لكلتيهما طابع مؤسساتي في الجوهر، ووظيفة نقلية تواصلية (حين تختلف الألسن)، لكن بقدر أدنى، إلا أن العربية الفصحى وحدَها تعدُّ لَغة رسمية. ومع ذلك، فالعربية لا تستخدم سوى في بعض السياقات الشكلية المحدودة والمخصوصة، فيما تستخدَم الفرنسية، شفهية كانت أم كتابية، في جميع المستندات والوثائق المكتوبة تقريبا، في القطاع الخاص وفي المدارس العليا وكليات العلوم (ن.م).

ففي كل هذه المجالات، تظل الفرنسية هي اللغة الأكثر تداولا، حيث تعدُّ ذات منزلة أعلى وهيمنة أقوى مقارنة بالعربية الفصحى وبسائر اللغات بطبيعة الحال (ن.م). وإلى هذا يلزمنا أن نضيف اعتباراً آخر ذا طابع إيديولوجي، وهو أن الفرنسية ما انفكت تقترن في المخيال المغربي بارتياد فضاء العلوم والولوج إلى الحداثة، بينما ترتبط العربية عادة بالماضي وبالقيم الدينية.

وأما الصراع الثاني – ذلك الذي يقوم بين الأمازيغية والعربية بمختلف ألوانها–، فيجد تفسيره في طبيعة العلاقة القائمة بين اللغتين، وهي علاقة الثنائية اللغوية (diglosia) والتبعية؛ إنها علاقة أسهَمت في ظهورها إلى حد بعيد سياسةُ التعريب والنهوض بالعربية، التي انتهجتها الدولة المغربية، متعمدة إقصاء الأمازيغية من المجال المؤسساتي والعمومي. فالناطقون بالأمازيغية يتعلمون اليوم الدارجة المغربية –وكذا العربية الفصحى– خارج البيت ومحيط الأسرة. بل إن هذا الصنف العامِّي من اللغة العربية يعرف من الانتشار بين الناطقين بالأمازيغية ما يجعلهم يتواصلون به حتى مع أفراد آخرين من عشيرتهم اللغوية خارج المحيط الأسَري. والحال أن ما أقرّ في الآونة الأخيرة من تعديلات دستورية نزَّلت الأمازيغيةَ منزلةَ اللغة الرسمية خيرُ دليل على إرادة الدولة تقويم هذا الوضع وسعيها إلى تصحَيح الاختلال بين هاتين المجموعتين اللغويتين (ن. م : ص12).

أما الضرب الثالث من الصراع – ويقوم بين الفرنسية والإنجليزية والإسبانية –، فهو حديث العهد نسبيا. والملاحظ أنه منذ الاستقلال وإلى غاية 1999، دأب الخطابُ الرسمي المغربي على استعمال لفظ "اللغات الأجنبية الغربية" (ن.م: ص 13) عند الحديث عن أكثر اللغات الأجنبية انتشارا بين الناس في المغرب، أي الفرنسية. ويصل الأمر في بعض الأحيان إلى الحديث عن الازدواجية اللغوية الفردية (أي الجمع بين اللغة القومية واللغة الأجنبية)، مما يعني مساءلة الوضع الاعتباري للفرنسية كلغة أجنبية (ن.م). إن الخطاب الرسمي الراهن يجنح إلى توسيع مفهوم اللغات الأجنبية ليشمل الإسبانية والإنجليزية، الأمر الذي يقوي من حظوظ انتشار اللسان الإسباني بين الساكنة المغربية، التي أضحت ترى فيه أكثر فأكثر أداة تيسر لها توسيع آفاقها المهنية.

10- القناة الأمازيغية (المغربية : 8) / http://www.tamazight-tv.ma

1.2. العربية الدارجة المغربية

إن اللغة العامية المغربية، وتسمى الدارجة، هي مجموع ما يُتداول في المغرب من لهجات العربية. هذه اللهجات تتقاسم الكثير من السمات التي تميزها عن باقي لهجات اللسان العربي. ولا غرابة، فالدارجة المغربية تتَّسم بكونها تحمل أكبر قدر من الفوارق قياسا إلى العربية الفصحى المستعملة في شبه الجزيرة العربية (مستوي 2006: ص 8).

إن هذه اللهجة الموحَّدة التي تنتمي إلى أسرة اللغة العربية المغاربية، هي ثمرة التطور الذي شهده اللسان العربي العامِّي في المغرب. إنها تستمدُّ جذورَها من اللغة العربية التي أتى بها الفاتحون المسلمون في القرن السابع الميلادي من جهة، ومن جهة أخرى من لون آخر من لغة الضاد وفَدَ مع قبيلة بني هلال البدوية إبَّان الفتوحات التي قامت بها في القرن الحادي عشر. و إلى يومنا هذا يمكن تحديد بعض الفروق وأوجه الاختلاف بين اللهجات المغربية بحسب ارتباط أصلها بهذا الضرب أو ذاك من موجات التعريب. الواقع أن هذه اللهجات جميعَها قامت، من جهة نموِّها وتطورها، على أساس بربري قويٍّ لَم يخلُ من ان يخلِّف آثارا جليَّة في المعجم والاصوات والنحو. ثم إن هناك أثراً بيِّناً للسان العربي الاندلسي. وفي العصر الحديث بدأت تتراءى أيضا بصمةُ اللغة الفرنسية في هذه اللهجات وكذا، لكن بقدر أدنى، بصمة اللغة الإسبانية، التي تتجلى بالأخص في لهجات المنطقة الشمالية.

وتشتمل الدارجة المغربية على خمسة أنواع فرعية هي :

أ– الدارجة الحضرية (أو المدينية)، وتستعمل في الحواضر السلطانية – وهي فاس ومكناس وسلا والرباط–، ولها بعض أوجه الشبه مع العربية الاندلسية؛

ب– اللهجة الجبلية، ويجري تداولها في الشمال الغربي من المغرب؛

ج– اللهجة البدوية (أو العروبية)، ويستعملها أهل المناطق الواقعة في الجهة الوسطى من الساحل الأطلنطي؛

د– البدوية الشرقية، وتجري على الألسنة شرقَ المغرب؛

ه– الحسَّانية، ويتكلم بها أهل الصحراء (بوكوس 1995: ص 29).

الواقع أن الدارجةَ المغربية هي اللغة الأم عند المتكلمين المغاربة الذين لا يعدُّون ناطقين أصليين لإحدى اللهجات الأمازيغية. إنها اللغة الشفهية الأكثر تداولا في الحياة اليومية، في المجال الخاص والعائلي، وفي الشارع وفي المواقف غير الرسمية بوجه عام، سواء تعلق الأمر بالطبقة المثقفة أم بعموم الناس ("رولداف روميرو" 2005: ص36). وفي المدرسة، تستعمل هذه اللغة خارج القسم (أي في الساحة) وفي قاعات الأساتذة بطبيعة الحال. وأكثر من ذلك،فإنَّ معظم المدرِّسين يستخدمون الدارجة المغربية داخل القسم مع أنَّ وزارة التربية المغربية تفرض استعمال العربية المعيارية الحديثة ("لُكلير" 2013: ص9).

صفوة القول أن الدارجة المغربية هي اللغة الأم عند معظم المتكلمين المغاربة. ومع ذلك، فإن استعمالها قلَّما خضَع للتقعيد؛ ويلاحظ أنها من المنظور المؤسساتي لا تعدُو كونَها مجرد لهجة يقتصر أمرُها على الاستعمال الشفهي، إذ نادراً ما تُكتَب حتى من قِبل متكلميها أنفسِهم.

2.2. اللغة الأمازيغية

اللغاتِ "البربرية" هي مجموعة من الألسن الحامية السامية المنتمية إلى أسرة اللغات الأفروأسيوية. إنها في مُجمَلها تحتضن زُهاءَ عشرين مليوناً من المتكلمين يعيش منهم في المغرب ما يناهز ثمانية ملايين. ولفظ "البربري" هو الاسم اللاتيني الذي أطلقه المحتلون الرومان على شعوب شمال إفريقيا. بيد أن هذه الشعوب تسمِّي نفسها بمُسمَّى "إيمازيغن" (وهو جمعُ "أمازيغ") الذي يعني "القومَ الاحرار" ("مادي–ويتزمان" 2006). إنها تسمية متداولة في المغرب والجزائر سواءً، والملاحظ انه منذ منتصَف القرن العشرين طفقَ المصطلح الاصلي "امازيغ" يحُلُّ في الاستعمال محلَّ مصطلح "البربري" الوافد من الخارج، للإشارة إشارةً شاملة إلى مختلف الاعراق البربرية: من قبايل وشلوح وطوارق وغيرها (حدادو 200: ص14–13). واللفظة الأكثر تداولا في المغرب هي المؤنث "تمازيَغت"، التي يستخدمها الناطقون بالامازيغيَة في الإشارة إلى لغتهم. ومن ثم، فإن لفظ "البربري" هو لفظ لا يستعمِله إلا الأجانب حين يقصدون بكلامهم المناطقَ المتكلِّم أهلُها باللغة الامازيغية (مستوى 2006: ص10).

وحريٌّ بنا أن نشير إلى أن مختلفَ أنواع الأمازيغية تمتد على طول الساحل الأطلنطي من المغرب (بما في ذلك جزر الكاناري) لتصل إلى مصر (في واحة سيوا)، وتنتشر مَن شواطئ المتوسط إلى نهر النيجر. ولَمّا كانت هذه الانواع مشتتة متناثرةً جغرافيا، فإن التبادل اللغوي بينها يغدُو صعبا على نحو ملموس. كما أن تواجدَها في دول مختلفة يترتب عنه لا محالة تأخير في إطلاق أي نوع من أنواع التخطيط اللغوي. وبذا فإن الفروق بين مختلف هذه اللغات يؤول أمرُها إلى مزيدٍ من التباعد والتنافر (مستوى 2006: ص11).

وتتفرع اللغة الأمازيغية في المغرب إلى ثلاثة أنواع هي :

أ– لغة تمازيغت، التي يستعمِلها أهل جبال الأطلس المتوسط وجزء من الأطلس الكبير؛

ب– تريفيت أو الريفية، وهي لسان سكانِ جبال الريف الواقعة شمال المغرب؛

ج– تشلحيت، ويتكلم بها أهل جبال الأطلس الكبير والأطلس الصغير وجبال سوس الواقعة جنوب المغرب.

أما عدد الناطقين بكل لغة من هذه اللغات، فبيانُه في الجدول الآتي، حيث نجدُ معطياتِ آخر إحصاء نُشرَت نتائجُه في المملكة المغربية:

الجدول 1.2. عدد الناطقين بالأمازيغية والدارجة المغربية

اللغة	عدد الناطقين بها	النسبة المائوية
الدارجة المغربية	24.036.041	89،84
تشلحيت	3.894.805	14،55
تمازيغت	2.343.937	8،76
تريفيت	1.270.986	4،75

المصدر: إحصاء 2004 بالمغرب.

يتضح إجمالا من نتائج إحصاء 2004 أن أكثر من 28 بالمائة من السكان يستعملون إحدى اللهجات الأمازيغية. غير أن هذه الأرقام لا تتطابق وتلك التي تقدمها بعض الجمعيات والهيئات كالمؤتمر الدولي للغة الأمازيغية، والجمعية المغربية للبحث والتبادلات الثقافية، وجمعية القبايل الدولية–فرنسا، والتي تؤكد أن 50 بالمائة من سكان المغرب يتكلمون الامازيغية (مستوى 2006: ص12).

ومهما يكنْ من أمر، فإن تداول اللغة الأمازيغية يظلُّ محدودا في عدد كبير في المدن والحواضر، حيث حلت محلَّها اللغة العربية في التواصل الاجتماعي والاستعمال الشفهي، ليبقى تداولها محصورا في النطاق الاسري. وعلى النقيض من ذلك، تتسم المناطق الناطقُ أهلُها بالأمازيغية بكون استعمال هذه اللغة في الحياة اليومية يعرف قدرا أكبر من الاتساع والامتداد، بل إنها قد توجد أحيانا في الإدارات العمومية متى كان العاملون بها من الناطقين باللسان الامازيغي. بيد أن استعمال هذا اللسان يبقى باستمرار شفهيا محضا لا كتابيا («لُكلير» 2011).

الواقع أنه من المنظور التاريخي، ظلت الأمازيغية مهمَّشة لدى المشرِّع المغربي، الذي ما فتئ يرى فيها لهجة مبتذلة أكثر مما يعدُّها لغة حقيقية. بيد أن المغرب لم يلبث أن اعتمد في السنوات الاخيرة إجراءات وتدابير بالغة الاهمية من أجل إعادة الاعتبار للغة الأمازيغية على الصعيد الرسمي. وهذه مهمةٌ أسهم فيها بالتأكيد المعهدُ الملكي للثقافة الامازيغية، فقد اضطلعت هذه المؤسسة، التي رأت النور عام 2002، استنادا إلى الأعمال التي أنجزتْها في السنوات السابقة مجموعةٌ من الهيئات والجمعيات الممثلة للثقافة الأمازيغية، اضطلعت بدور رائد في مسار الإقرار اللغويَ للأمازيغية في المغرب، وهو إقرار توِّج عام 2011 بالإصلاح الدستوري الذي نزَّل اللغة الأمازيغية منزلةَ لغة رسمية للمملكة المغربية.

ومع ذلك، فلكي يتخذ هذا الإقرار طابعا فعليا، فإنه يغدو من اللازم أن يُدرَج هذا اللسان في الحقل الإعلامي والمجال السمعي البصري. وقد تم في هذا السياق إطلاق القناة التلفزية الأمازيغية (القناة المغربية الثامنة) التي تبث باللغات الامازيغية الثلاث خلال 70 بالمائة من حصصها الزمنية، وهذه خطوة أخرى في هذا المنحى[11].

3.2. العربية الفصحى

لقد وصلت العربية الفصحى إلى رُبوع المغرب في القرن السابع الميلادي وأخذت تمتد رقعتُها إلى مجموع التراب إلى أن استتبَّ أمرُها وتَوطَّدت دعائمُها في القرن الخامس عشر إثر ما حدَث من نُزوحِ أهل الاندلس إلى المغرب بجموعٍ غفيرة جرَّاء إعادة الغزو الإسباني («رولدان روميرو» 2005: ص 35).

ومعلوم أن القرآن قد نزل على النبي محمد (ص) بالفصحى –أي باللسان العربي القُحِّ الأصيل–، وبمقتضى ذلك، فإن هذه اللغة تعدُّ ذات طابع قدسي إلهي. ومنذ دخول هذه اللغة مجال التداول، ظل جانبُها الكتابي هو هو نظراً لكونها تمحَّضت بالدرجة الأولى للدعوة وانحصر توظيفُها في نطاق التعليم الديني (ن.م).

ولا بد من التنويه بأنه على الرغم من كون الفصحى تعدُّ لغة رسمية، إلا أنها ليست اللغة الأم لأي مواطن مغربي. على أنها تستعمَل لغةَ تخاطب حقيقية بين الدول العربية، ومن ثمَّ فإن دورَها يتمثل في الحفاظ على الوحدة الدينية والثقافية والقومية لدى مختلف المجتمعات العربية (مستوي 2006: ص16). ومن الناحية الرمزية، تشكل العربية الفصحى سلاحا يتسنَّى به التصدِّي لما يمارسه الغربُ من هيمنة وقهر متوسِّلا في ذلك بلُغته، سواء تعلق الأمر بالفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية («لُكلير 2011»).

4.2. اللغة العربية الحديثة

سعيا إلى تحسين علاقة الثنائية اللغوية القائمة بين اللسان العربي الدارج واللسان العربي الفصيح، تم في القرن التاسع عشر الشروع في تحديث الفصحى معجمها وبنياتها بهدف تكييفها مع المستجَدِّ من مقتضيات التواصل ومستلزَماته. وكان أن أفضى هذا التحديث، الذي لم يبلَغ مداه أقطارَ المَغرب العربي الكبير إلا بعد استقلالها، إلى ظهور نسخة من اللغة مبسَّطة يصطلح عليها ب»العربية الحديثة» («رولدان روميرو» 2005: ص 36)، نسخة سمتُها أنها أسهل فهماً وأيسرُ تمثلاً بكثير قياسا إلى اللغة الفصحى، وينسحب ذلك حتى على أهل اللغة الاصليين (مستوي 2006: ص16).

11- أي حرب تطوان (المترجم).

إن العربية الحديثة تشكل لغة التبليغ والتخاطب على صعيد التعليم بشتَّى أسلاكه، باستثناء التعليم العالي في شقِّه العلمي، الذي تغلُب فيه اللغة الفرنسية. وحريٌّ بنا أن نشيرَ إلى أن اللغة العربية الحديثة تستخدَم في قاعات الدرس سواءٌ مع المتعلمين الذين لغتُهم الأم هي العربية الدارجة أو مع أولئك الذين لغتهم الأم هي إحدى اللغات الأمازيغية. وهذا يعني أن الفئة الثانية تُلفي نفسها في موقع أضعف قياسا إلى فئة الناطقين الأصليين بالعربية، إذ يجد هؤلاء سهولةً أكبرَ لا محالة في تعلم العربية الحديثة (مستوى 2006: ص17).

كما أن العربية الحديثة هي لغة الإنتاج الأدبي والصحافة المكتوبة والشفهية، ولغة الوثائق والمستندات ذات الطابع الإداري والقانوني. وهي تستخدم أيضا في المواقف الرسمية والإدارية والحفلات والمراسيم ذات الطابع المؤسساتي وفي الجلسات البرلمانية. ومتى تعدَّينا الحدود القطرية، اتضَح لنا أن العربية الحديثة هي لغة التواصل بامتياز داخل العالم العربي («لكلير» 2011).

5.2. اللغة الفرنسية

لقد ظلت الفرنسية هي اللغة الرسمية المعمول بها في نظام الحماية الفرنسية ومؤسساتها، ظلت كذلك منذ توقيع معاهدة فاس يوم 30 مارس من عام 1912 إلى غاية إعلان الاستقلال في الثاني من مارس 1956. وقد بلغ أمرُ اللغة الفرنسية، التي كانت تشكل اللغة الأم عند الفرنسيين المقيمين بالمغرب، واللغة الثانية عند الأهالي من العرب والأمازيغ واليهود، بلغ أمرها إلى أن اكتست من الأهمية قدرَ ما كانت تكتسيه في فرنسا، وأضحتْ تضطلع بجميع الوظائف الاجتماعية التي تجعل منها صلة وصل بين مختلف المجموعات المتواجدة في المنطقة، كل ذلك في سياق وضعٍ سِمَتُه الازدواجية اللغوية (بين اللغة الرسمية واللغاتَ المحلية) وكذا الثنائية اللغوية («رولدان رُوميرو» 2005: ص 37).

وبعد استقلال المغرب، لم تعُدْ الفرنسية لغةَ البلاد الرسمية، إذ حلَّت محلَّها العربية. ومع ذلك فقد حافظت الفرنسية على دورها المتميز ومنزلتها المرموقة بوصفها لغة أجنبية أولى، أو بالأحرى لغةً ثانية في البلاد بوجه عام؛ وذلك على الرغم من حملة التعريب القوية التي أطلقتْها السلطات المغربية ابتداء من سنة 1963 والتي تواصلت بخُطى حثيثة إلى غاية 1976، حين بدأ يُصيبها بعضُ التراخي («لكلير» 2011).

ومع ما تحظى به الفرنسية من التميُّز والمنزلة الرفيعة، إلا أنه ليس لها في الدستور المغربي أي وضع اعتباري رسمي. ورغم ذلك، فهي تشكل في المغرب اللغة الوحيدة التي يحقُّ لها أن تتباهى بكونها تُقرأ وتكتَب ويتكلَّم بها في آن واحد. أضف إلى ذلك أنها تمتاز دون غيرها بكونها لغة الترقي الاجتماعي والاقتصادي عند المغاربة (ن.م). إنه وضعٌ أسهمتْ في تكريسه في الواقع إرادةُ السلطات المغربية الرامية إلى صَوْن اللسان الفرنسي لأغراضٍ أداتية، وقصدَ تسخيره وسيلةً للتواصل مع الغرب بوجه عام (الناجي 2002: ص 71).

وفي الوقت الراهن، يستعمل اللسان الفرنسي أساساً في الإدارة والمصارف والتجارة والصناعة. أما في المجال التعليمي، فهو يشكل إحدى اللغات الأجنبية التي تدرَّس بدءاً من أولى مراحل التعليم الأساسي، كما يوظَّف لغةَ تبليغ وتواصل في كليات العلوم والتقنيات وكليات الحقوق والعلوم الاقتصادية والمدارس والمعاهد العليا (مستوى 2006: ص16). ثم إن الفرنسية هي لغة التداول المعمول بها في المصالح القنصلية في الأقطار غير العربية، ولغة العمل في المقاولات المغربية الموجودة خارج البلاد (ن.م). وبوجه عام، فهي تعدُّ بالدرجة الأولى سبيل الولوج إلى العلم والتكنولوجيا والثقافة الحديثة (الناجي 2002: ص 72).

وللسان الفرنسي أيضا حضورٌ قوي في وسائل الإعلام، إذ توجد حاليا إذاعتان تبثان بالعربية والفرنسية، وهما إذاعة البحر الأبيض المتوسط الدولية، وإذاعة المغرب العربي، وأيضا قناة تلفزية يغلب عليها استعمال اللغة الفرنسية، وهي قناة «دوزيم» (مستوى 2006: ص16). ولنُشرْ أيضا إلى أن هناك صحافةً مغربية فرنكوفونية واسعةَ الانتشار، بل إن الأحزاب السياسية الرئيسة تتوفر على مكتب إعلامي بالعربية والفرنسية. وينضاف إلى هذا كونُ بعض من القنوات الفرنسية التي تلتقط إشارتُها في المغرب هي قنوات تحظى بحصة كبيرة من المشاهدين في مجموع التراب المغربي، خاصة قناة «ت.ف.5» TV5 (ن.م).

وفي الحقل الثقافي، تجدر الإشارة إلى أن هناك في المغرب إنتاجا أدبيا غزيرا باللسان الفرنسي، إنتاجا له وزنٌ مخصوص في الأدب الفرنسي العالمي.

يمكن القول إجمالا إن الفرنسية، رغم كونها لغة الاستعمار، إلا أنها تحظى بتقدير وحُظوة كبيرَين لدى النخبة الحاكمة ولدى باقي أطياف المجتمع المغربي على حدٍّ سواء (الناجي 2002: ص 73). ولعل ما أسهمَ في تعزيز هذه النظرة الإيجابية إزاء اللغة الفرنسية ما يلاحَظ من تدفق هائل للاستثمارات المتجهة من فرنسا إلى هذا البلد المغاربي. ولا غرابة، ففرنسا هي أكثر البلدان في العالم استثمارا في المغرب؛ ففي عام 2011، كان الرأسمالُ الفرنسي يمثل نسبة 25 بالمائة من مجموع الاستثمار الاجنبي المباشر في المغرب («أوروموتيطور» 2012: ص 29»).

6.2. الإنجليزية

لئن كانت الفرنسية لا تزال لغةَ التجارة الرئيسةَ في المغرب، فإن الإنجليزية قد أضحتْ تحظى بشعبية أكبر فأكبرَ بين سكان المغرب. ومن العوامل التي أسهمت في ذلك كَونُ المقاولات الأجنبية صارت تأتي بعدد متزايد لتستقطب يداً عاملة مؤهَّلة ذات دراية باللسان الإنجليزي، الذي تتخذه هذه المقاولات دعامة لصفقاتها الدولية. هكذا نرى كيف أن الإنجليزية تشهد طلباً ما فتئ يتنامى، وبالأخص في مجال التكنولوجيا. فقد بيَّنتْ إحدى الدراسات مؤخراً أن متوسطَ الفارق في الأجر في المغرب بين من يتكلم الإنجليزية من الشغيلة ومن لا يتكلمها يبلغ نسبة 12 بالمائة («أوروموتيطور» 2012: ص 23»).

لقد كانت اللغة الإنجليزية أول لغة (عدا الفرنسية) شُرع في تدريسها في سلك التعليم الإعدادي. وفي التعليم الثانوي غير الإجباري، تصل نسبة التلاميذ الذين يدرُسونها إلى ما يُنيف عن 90 بالمائة.

إن هذا الاهتمام والاحتفاء بالإنجليزية كلغة أجنبية إنما مردُّهما إلى حد بعيد إلى الموقع المكين الذي تتبوأه كلغة عالمية حقيقية. غير أن هناك أمراً لا يخلو من أهمية، وهو كون هذه اللغة لا تقترن بالاستعمار في أذهان المغاربة، ما يسَّرَ دخول هذه اللغة إلى المجتمع المغربي، الذي رحَّب بها دون أي احتراز أو مقاومة، سيَّما وأنه يرى فيها بالأساس أداة للترقي الاجتماعي والولوج إلى المعلومة. إن الإنجليزية لن تلبث أن تصبح في المغرب،كما يشير إلى ذلك قريقز (2005)، لغة ذات منزلة متميزة رفيعة من حيث هي أداة للانفتاح على العالم، شأنها شأن الفرنسية.

إن هذه النزعة تعضِّدُها جزئيا المعطيات الأخيرة التي ساقها وزير السكنى، توفيق احجيرة، سنة 2011، حين أشار إلى أن المدن المغربية تعرف كل سنة قُدوم 600.000 من السكان الجدد. هكذا فبموازاة مع تنامي حركة نُزوح الساكنة صوب المدن، يُرتقب أن يتزايد الطلب أيضا على اللغة الإنجليزية، علما أن محيطَ العمل في الحواضر باتَ يستلزم أكثر فأكثر الإلمام بهذه اللغة للحصول على أحسن المناصب («أوروموتيطور» 2012: ص 23»).

7.2. الإسبانية

إن التحديد الدقيق لتاريخ بداية استعمال الإسبانية أداةً للتواصل بين المغاربة يبقى أمراً عسير المنال. ولا تكمن الصعوبة فقط في وجود هذا التاريخ الطويل الامد الذي يجمع بين هذين البلدين المتوسطيين، بل أيضا في ما تتَّسم به الصلات التي قامت على امتداد القرون بين سكان الضفتين من طبيعة متنوعة تضفي ضبابية على آثارِ هذا الاستعمال ومعالمِه التي يغدو اقتفاؤُها ضرباً من المحال في كثير من الأحيان.

الواقع أنه منذ إعادة الغزو وإلى نهاية عهد الحماية عام 1956، إستقبل شمال المغرب جموعاً من اللاجئين والمهاجرين والمعمِّرين الوافدين من البقاع الإسبانية. وإثر طرد اليهود من مملكتي قشتالة وأراغون عام 1492، عقد الآلاف من اليهود السفارديين العزم على الاستقرار بالمغرب، حيث ولَّى معظمُهم وَجهَه وِجهة الشمال، خاصة مدينة تطوان، ثم طنجة في وقت لاحق (الصياحي 2005).

وقد حافظ هؤلاء في الأغلب الأعم من الأحوال على اللغة اليهودية الإسبانية دِرايةً واستعمالاً، إلى أن تمت «أَسْبَنَتُهم» مجدَّداً – أي إدماجهم مجددا في الدولة الإسبانية – في عهد الحماية، اي بعد مرور زهاء اربعة قرون من الزمن (ن.م).

وقد نجَم عن طرد المورسكيين عام 1609 حدوثُ موجة جديدة من موجات الاستقرار والاستيطان بهذا البلد المغاربي من قبل أشخاص لهم نصيبٌ من الإلمام باللغة والثقافة الإسبانيتين. هكذا فمن بينَ حوالي 325.000 من المورسكيين الذي كانوا يعيشوُن آنذاك في إسبانيا، كان هناك عدد يتراوح بين 40.00 و 60.000 ممن اختاروا المغربَ وجهةً للاستقرار، واقاموا بمدينة تطوان خاصة (ن.م). كان الكثير منهم مزدوجي اللغة، فانصرفوا إلى ترجمة النصوص الإسبانية إلى اللسان العربي، لكن كان منهم أيضا من لا يُتقن العربيةَ فبات يحتاج إلى الترجمات التي ينجزها غيره من المورسكيين. ويتَّضح على كل حال أن السوادَ الأعظم من هؤلاء كان يتكلم اللسان الإسباني واستطاع ان يُبقيَ على لغته الاصلية في التداول الاجتماعي على مدى أكثر من قرن من الزمن («إيبالثا» و «غافسي سلاما» 1999: ص 635). وحتى يومنا هذا، ليس غريبا أن تجد أسراً مغربية تحمل ألقابا إسبانية صميمة، مثل « الطُّرِّيس» و»مُولِينا» (الصياحي 2005).

وفي وقت متأخِّر، في النصف الثاني من القرن التاسعَ عشرَ تحديدا، بدأت تتراءى بعضُ ملامح التأثير السياسي والثقافي لإسبانيا في البلد الجار، وهو تأثير لم يَخْلُ من أن يترك بصماته جليةً في المصير الذي ستَؤُول إليه اللغة الإسبانية في هذه الربوع من المغرب العربي.

لقد كان من آثار ما سُمِّي ب»حرب إفريقيا»12، التي اشتعل فتيلُها عام 1859، أن ولَّدت شعورا بالإهانة في المجتمع الإسباني، وهو ما ترجمته مبادراتٌ كثيرة انخرط فيها الناسُ تأكيدا للشعور الوطني وإثباتا للانتماء، من تجنيد المتطوعين وجمع التبرعات لمواجهة مصاريف الحملة العسكرية وأعبائها. وحين وضعت الحربُ أوزارها بإبرام معاهدة واد راس في 26 أبريل 1860، كانَ هذا التدخل المسلَّح، وهو الأولُ من نوعه، قد أدَّى إلى إيقاظ الشعور الوطني وتأجيجه لدى الرأي العام الإسباني على نحوٍ لم يسبق له مثيل.

إن الحركة الإفريقية التي قادتها إسبانيا، على الرغم من ارتهانها بالنوايا الفرنسية والإنجليزية، إلا أنها انتهت في آخر المطاف إلى فرض الحماية على المغرب عام 1912، وهي حماية مشتركة مع فَرنسَا، حيث انحصر النفوذ الإسباني في مناطق المغرب الشمالية («مورالِيس ليسكانو» 1976). ومع ذلك كان على إسبانيا أن تنتظر حتى عام 1927 كي تتمكن من إحكام سيطرتها على المنطقة التي خُوِّل لها احتلالُها بموجب مؤتمر الجزيرة الخضراء. وبتعبيرٍ آخَرَ، فإن ثلثَ المدَّة التي استغرقتها الحماية (1956–1912) عرفَ مواجهاتٍ ضارية خاضتها إسبانيا معَ حركة المقاومة المغربية.

وقد كان من جملة ما أتت به الحمايةُ أن فَرضت الإسبانيةَ لغةً أولى في المجال الإداري والمؤسساتي. وصار اللسان الإسباني أيضا اللغة الثانية لدى الأهالي ممن يرغبون في نسجِ صلات اجتماعية وربط علاقات تجارية مع الإسبان. بيد انه من اللازم التنويه بأن هذا ما كان نتيجةً أسفرتْ عنها سياسةٌ مُسطرة سلَفاً هدفُها تلقينُ لغة المستعمرين للسكان المغاربة، وإنما كان بالأحرى ثمرةً لما حدث من احتكاك واتصال بين هؤلاء وبين المعمِّرين الإسبان، الذين ما فتئ عددهم يتنامى ويتزايد (بنيحيى 2007: ص 169).

إن العاملَ الجوهري الذي كان له الأثرُ الحاسم في تزايد أعداد المعمرين الإسبان هو إنطلاق الحركة الإفريقية التي شَرع أصحابها منذ مطلع القرن العشرين في حملة تحسيسية ضخمة إزاء الرأي العام قصدَ توعيته بمدى اهمية المغرب بالنسبة لجميع الطبقات الاجتماعية الإسبانية (عزيزة 2009: ص 158). ولم يكد يستتبّ أمرُ الحماية حتى انطلقتْ وتكاثرت بشكل ملحوظ النداءات الرسمية الداعية إلى الهجرة صوب المغرب. وصار لزاماً بالنظر إلى هذا التزايد في أعداد المعمرين إنشاءُ مدارسَ ابتدائية وثانوية في مدن المنطقة وفي أهم الفضاءات التي تشهد تجمُّعًا للساكنة الإسبانية. وكان الولوجُ إلى هذه المدارس في متناول السكان المغاربة أيضا، لكن بقدر أدنى بكثير.

12- انظر يومية "أ. بي. سي." ABC، عدد 14 يوليوز 1957، نشرة الصباح، ص 46.

والملاحظ أنه إلى جانب هذا التعليم باللغة الإسبانية، كان هناك تعليم مغربي أصيل مَدارُه التلقين الحَرفيّ للقرآن، ومقرُّه المساجد. والحال أنه إلى جانب هذا النوع من التعليم الأصيل، بدأ يرى النورَ تعليمٌ مغربي جديد آخذ يتسع نطاقه، وهو تعليم أكثر حداثة تشكّل فيه اللغة الإسبانية مادة أساسية لها من الأهمية والمرْتَبة نفس ما للعربية (بنيحيى 2007: ص 169).

وإثر نيل المغرب استقلالَه، الذي تم الاعترافُ به رسميا بموجب توقيع الإعلان المشترك المغربي الإسباني في 28 يوليوز من عام 1956، أخذت الحكومة المغربية الجديدة على عاتقها تدبيرَ مجمل الشؤون التي كانت تتولى أمرَها الإدارة الإسبانية حتى ذلك الحين. وكان أن حَدَّدتْ وزارة التربية المغربية أربعة أسُس كبرى تشكل قوامَ المدرسة الوطنية الجديدة. يتعلق الأمر بالأسس الآتية:

- تعميم التعليم، الذي يصير حقّا للجميع وليس حكراً على بعض الطبقات الاجتماعية؛
- التوحيد، أي اعتماد فكرة إقرار مدرسة وطنية واحدة؛
- التعريب، ويفرض هذا المبدأ استعمالَ لغة البلاد في المؤسسات التعليمية؛
- المغرَبة، وبمقتضاها يجب أن تكون هيئةُ التدريس مغربية، لتحلَّ بذلك محلَّ المدرسين الأجانب (الخُطبي 2005: ص 26).

لقد كان مما أفضى إليه استقلالُ المغرب أن تقدَّمت اللغةُ الفرنسية خطوات إلى الأمام، فصار يُنظر إليها شيئا فشيئا في شمال المغرب على أنها لغة الترقي الاجتماعي بامتياز، وذلك على حساب الإسبانية التي تراجع استعمالُها وتقهقرَ لينحصر في نطاق المنزل والأسرة، مع ما نجَم عن ذلك من فقدان ما كان يحظى به هذا اللسانُ من قبلُ من قيمة مؤسساتية. وقد أسهم في ذلك دون شك ما جنحَتْ إليه السلطاتُ المغربية من فرضِ الازدواجية اللغوية (اقريقز 2005). فكان أن راحت البرجوازية الميسورة الموجودة في شمال البلاد، والتي كانت إبان الحماية تسجِّل أبناءها بالمدارس الإسبانية، راحت تختار لهم المدارس الفرنسية.

في ظل هذا المشهد انصرفتْ السياسة الإفريقية الإسبانية عن حمايتها السابقة («موغا روميرو» 2009). لكن في تلك اللحظة، لحظة تقهقر الجالية الإسبانية بالمغرب تحديداً، وفي هذا مفارقةٌ أي مفارقة، بدأت تتراءى نوعاً ما بعضُ إرهاصات الانشغال بإطلاق مسار العمل الثقافي الإسباني بالمغرب المستقل (بنيحيى 2007: ص170). هكذا أبرمت أولُ اتفاقية بين إسبانيا والمغرب في المجال الثقافي في السابع من يوليوز 1957. كانت اتفاقية إطاراً الغرضُ منها النهوضَ بالتبادل الثقافي بالمعنى الواسع، عن طريق تبادل الزيارات بين الدارسين والباحثين، وإعطاء عدد من المنح الدراسية، ونشر المعرفة التربوية والنهوض باللغة والثقافة في البلدين. كما وُضع بموجب هذه الاتفاقية قدرٌ أدنى من أسس المصادقة الأكاديمية على الشهادات، مع الاعتراف بصحَّة الشهادات الإسبانية وصلاحيتها التامة أكاديميا ومهنيا؛ كما أعطيت تعهدات بإعطاء كل التسهيلات لاستعمال اللغة الإسبانَية. ومما يسترعي الانتباه في هذا الصددَ التزام المغربَ بالاهتمام على نحو خاص بمجال الإذاعة – عن طريق الرفع من عدد البرامج الإذاعية التي تُبثّ بالإسبانية – وكذا التلفزة باعتبارهما أداتين للتقارب ولنشر المعرفة («فرناندیث سوثور» 1992). وفي باب تعليم اللغة الإسبانية، تم الاتفاق على إنشاء بعثة ثقافية إسبانية بالمغرب تتولى بحرية تامة تنظيمَ كل أشكال التعليم والتلقين وفق المناهج والطرائق البيداغوجية الإسبانية. وقد نصَّت الاتفاقية أيضا على حماية حقوق المؤلفين الإسبان والحفاظ على الترخيصات لنشر الكتب والمجلات[13].

غير أنه اتضح أن هذه الاتفاقية، التي جرى العمل بها على مدى 23 سنة، لم تتمكن، بسبب عدم تطبيق مقتضياتها تطبيقاً فعليا، من كبح التراجع الذي كانت تعاني منه الإسبانية في شمال المغرب. فظل الحضور الثقافي الإسباني محَصوراً في المؤسسات التعليمية الإسبَانية وفي بعض المكتبات والمراكز الثقافية التي لطالما بقيت منعزلة عن مختلف المؤسسات المحلية المغربية. ولم تكن المسؤولية في ذلك إسبانيةً صرفة، وإنما مدارُ الأمر أنَّ السلطات المغربية انقادت، لأسباب سياسية محضة، إلى «التطبيق الصارم للازدواجية اللغوية الرسمية، التي ترجِّح كفة اللغتينَ العربية والفرنسية» («موراتينوس 1993»)، فيما وجدت اللغة والثقافة الإسبانيتان نفسيْهما لا تحظيان بأي دعم ولا سند، بل أكثر من ذلك، كان عليهما، في سعيهما إلى الانتشار، أن تواجها صعوبات

13- اتفاقية التعاون الثقافي بين الحكومة الإسبانية وحكومة المملكة المغربية، الموقعة بالرباط في 14 أكتوبر 1980.

جمَّة وإكراهات شتى. فعَلى حدِّ تعبير «م. أ. موراتينوس»، كانت الغاية المتوخاة من الاتفاقيات الثقافية والتربوية المبرَمة بين إسبانيا وبلدان المغرب العربي الكبير هي «تاسيس حضور لبلادنا في هذه المنطقة». وقد تبيَّن، بموازاة هذه الاتفاقيات او بالرغم منها، ان الانتشارَ الثقافي والتربوي الإسباني لم يعرفْ كيفَ يصمُدُ أمام «الآلة الكاسحة» المتمثلة في ما جنح إليه القادة المغاربيون الجدد من الإرتماء في احضان القومية العربية او في نزعة «التفَرْنُس». عجزت إسبانيا لحظتَها عن إيجاد السبيل لإيقاف هذا المد، بل يحق لنا ان نصف ب»المعجزة» كونَ لغتنا وجذورنا الثقافية لم تندثرْ ولم يَمَّحِ اثرُها تماماً من المشهد المغاربي» («موراتينوس 1993»).

ومع أن الازدواجية اللغوية المؤسساتية راحت تقلِّص أكثر فأكثر الفضاءات العموميةَ التي كان يستعمَل فيها اللسان الإسباني، إلا ان هذا اللسان بدا يُدرَج في المنظومة التربوية المغربية في عقد الستينَيات. بيد ان الاستثمار الهزيل الذي خصصتهُ إسبانيا في تلك الفترة لنشر لغتها وثقافتها في ربوع القُطر الجار كانت له يدٌ في جعل الإسبانية تبقى ذات حضور متدَنٍّ، والمفارقة انه حضورٌ أشدُّ بروزاً واستمَراريةً في مناطق وسط المَغرب وجنوبه منه في شماله (الخطبي 2005: ص 68). ليس غريبا والحالة هذه ان نرى عدد طلبة اللغة الإسبانية يتقلص تقلَصا ملحوظا في الستينيات («رولداں روميرو» 2006: ص 29). حقا، فعلى الرغم مما بذلته وزارة التربية من جهودٍ حثيثة لإيقاف هذه الوتيرة وتغيير منحى هذه السيرورة، وذلك عن طريق القيام بحملات خاصة لنشر اللغة الإسبانية ودعمها، إلا انه في مستهل الثمانينيات، كانت نسبة متعلمي الإسبانية بالكاد تصل إلى 8 بالمائة من مجموع المتعلمين («رولداں روميرو» 2006: ص 31).

هكذا رأت النور في سنة 1980 اتفاقية جديدة للتعاون الثقافي بين حكومة إسبانيا وحكومة المملكة المغربية، اتفاقية تروم التعريف بمقوِّمات البلدين من لغة وتاريخ وحضارة، والعملَ على نشرها عبر تقوية تلقين هذه المباحث في برامجهما ومقرراتهما الرسمية. والتزم الطرفان ايضا بالعمل على إرساء وتطوير علاقات التعَاون بين البلدين في ميدانَيْ التعليم والبحث العلمي، عن طريق مدِّ جسور العمل المشترك المباشر بين مؤسسات التعليم العالي والبحث في البلدين، وتبادل الاساتذة في جميع المستويات، وتبادلَ البعثات المتخصصة في التعليم والبحث، وإعطاء المنح، والمشاركة في المؤتمرات والملتقيات العلمية، وتبادل الإداريين المسؤولين عن الشان التربوي[14]. إن مربطَ الفرس بعبارة اخرى هو»إعطاء دفعة جديدة للتعاون عبر توسيع مجالات العمل، إذ تشمل الوثيقة ما يتصل بالتربية والثقافة والعلوم والفنون والشباب والرياضة، وتشكل خطوة كبيرة إلى الامام مقارَنة بالاتفاقية السابقة، لان الامر لم يعد يتعلق باتفاق قائم بين دولة حصلت على الاستقلال لتوِّها وبين قوة استعمارية سابقة» («فرناندیث سوثور 1992»). ومهما يكن من امر، فإن هذه الاتفاقية – التي لم يصادق عليها المغرب إلا عام 1985 بسبب ما طرا من تقلبات سياسية– لم تستطع ان تعطيَ تلك الدفعة القوية الحاسمة للتعاونَ الإسباني المغربي. فقد ظلت عالقةً بعضُ القضايا من قبيل المصادقة على الشهادات، وتبادل القرَّاء، وقلَّة تداول الكتب الإسبانية، ظلت كذلك جرَّاءَ عدم أجْرَأة الاتفاقية والقصور في تفعيلها في هذه الميادين (بنيحيى 2006: ص 172). اما تعليم الإسبانية، فقد كان لا يزال يَخضع للإدارة الفرنسيةَ، إذ كان المفتشون الفرنسيون مكلفين بمراقبته دون إشراك إسبانيا في هذه المهمة (ن.م).

وعندما أنشئت مستشارية التربية بالمغرب سنة 1989، كانت مهمتُها الأولى تتلخَّص في إعادة تنظيم النشاط التعليمي الإسباني في البلاد، وهوَ نشاطٌ لطالما عانى من الإهمال منذ سنينَ خلتْ («رولداں روميرو» 2005: ص 33). كان مدارُ الامر في نهاية المطاف التخلص من وضع لا يخلو من مفارقة؛ ذلك أن المغرب وإن كان هو البلد الذي ينتشر فيه العملُ الثقافي الإسباني على أوسع مدى قياسا إلى سائر الدول –نظرا لحجم شبكة المراكز المتواجدة فيه–، إلا ان هذا العمل لا يكاد يترك من صدى داخل المجتمع المغربي («موراتينوس» 1993). تلك على الاقل هي الخلاصة التي انتهى إليها التقرير الذي نشره عام 1991 المكتب الثقافي الإسباني (ن.م : ص 181). فقد أبرز هذا التقرير مدى عدم اطلاع المجتمع المغربي على الثقافة الإسبانية، وهو عدم اطلاعٍ يصل به الامر إلى ان يصيرَ جهلا شبه مطبق، خاصة وسط اكثر القطاعات حيوية؛ ذلك انه في هذه الاوساط، تُتخذ اللغة الفرنسيةُ مرجعيةً، وتكون فرنسا هي الخيار الاول متى تعلَق الامر بالذهاب خارج حدود الوطن. ولا غَرْوَ في ذلك، فمعظم الدارسين للثقافة الإسبانية من المغاربة المعاصرين لتلك الفترة إنما تلقَّوا تكوينَهم في الجامعات الفرنسية وانجزوا اطروحاتهم تحت إشراف اساتذة فرنسيين (بنيحيى 2006 : ص 173).

14- المملكة المغربية (1999): الميثاق الوطني للتربية والتكوين. ص 46.

لقد كان عقد التسعينيات بمثابة المنطلَق لأعمال شتى ذات أهمية خاصة استهدفت ترويجَ اللغة الإسبانية وتعليمها في المغرب، أعمال من قبيل وضع المخطط الوطني لتكوين الأساتذة، وفتح قسم اللغة الإسبانية بالمركز الوطني لتكوين المفتشين، والتنمية الفعليةً للتعاون التربوي بين مستشارية التربية بالسفارة الإسبانية ووزارة التربية الوطنية وبالأخص إحداث «شعبة مزدوجة اللغة» سميت في آخر الأمر ب»خَيار اللغة (OLE (=Opción Lengua Española الإسبانية» (السرغيني 2005 : ص 21).

إن تأسيس هذه الشعبة أدَّى إلى تزايد سريع في عدد الساعات المخصصة لدراسة اللغة والأدب الإسبانيين لفائدة مَن اختار هذه الشعبة من المتعلِّمين، إذ وُضع لها برنامجٌ تمَّت صياغة مضامينِه على نحو خاص («رولدان روميرو» 2006: ص 34).

وفي عام 1999، تمتْ إثرَ مبادرة من الحسن الثاني، المصادقة على الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الذي كان يروم إحداث إصلاح عميق في المنظومة التربوية المغربية، مع المراهنة بعزم أكيد على التعدد اللغوي بمعناه الواسع[15]. وبمقتضى هذا الإطار الجديد، فإنَّ اللغة الإسبانية أصبحت تُدرَّس حاليا في الجذع المشترك وفي السنتين الأولى والثانية من الباكلوريا، تدرَّس بصيغة 10 مجزوءات تحتوى كل واحدة منها على 30 ساعة (نـ.م: 36). وخلال السنة الدراسية 2006–2005، تم إدراج اللغة الإسبانية أيضَا في التعليم الثانوي الإعدادي. لكن على الرغم من أن عددَ التلاميذ ليس بيَسيرٍ، إلا أن عدد المؤسسات التي تدرس فيها الإسبانية لا يزال جد محدود (وزارة التربية 2011 : ص 303).

ومهما يكن من أمر، فإن اللغة الإسبانية هي إحدى اللغات الأجنبية التي تشكِّل الآن أحدَ مكوِّنات المشهد اللغوي المغربي. لكن رغم كونها تتقاسمُ مع الفرنسية صفة اللغة الاستعمارية، إلا أن حضورَها يظل أدنى بكثير من حضور لغة «موليير». ومع ذلك، فإن القرب الجغرافي مع المغرب والتاريخ المشترك الذي يجمع بين إسبانيا والمملكة المغربية، كل ذلك يمنح اللغة الإسبانية مكانة خاصة داخل المجتمع المغربي.

1.7.2 الناطقون باللغة الإسبانية

إن تحديد عدد الناطقين باللسان الإسباني على نحوٍ دقيق هو مهمةٌ ليست باليسيرة. فبحسب المصدر الذي يستنَد إليه، يتضح أن نسبة المتكلمين ذوي الاطلاع على هذه اللغة تتراوح بيْن 6،4 و9،21 بالمائة من مجموع سكان المغرب16. بيد أن أكثر الأبحاث دقة وشمولية ممَّا صدرَ إلى حد الآن الاستقصاءُ الذي أنجزه في يونيه 2012 المعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية، والذي يشير إلى أنه في أحسن الحالات[17]، تقدر نسبة التمكن من اللسان الإسباني بحوالي 6،4 بالمائة.

15- انظر الرسم البياني 1.2.

16- يتعلق الأمر بالمغاربة الذين يصرحون بأنهم يفهمون اللسان الإسباني. غير أن هذه النسبة هي أدنى عندما يتعلق الأمر بمهارات التحدث والقراءة والكتابة (انظر الرسم البياني 1.2).

17- هذه النسب هي أرقام قمنا بتحويلها إلى الرقم المكتمل الأقرب منها. الواقع أن معطيات "أورومونيطور" المتصلة باللغات الأجنبية هي معطيات تحيل إلى مستوى من الإتقان متوسط لدى المتكلمين. وتجدر الإشارة إلى أنه تم اختيار أعلى نسبة بين النسب المتعلقة بمختلف المستويات التي تطرق إليها بنجلون (2012) (من قراءة وكتابة وتحدث وفهم).

الرسم البياني 3.2. نسبة المغاربة الناطقين بالعربية الحديثة والدارجة المغربية والأمازيغية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية [18].

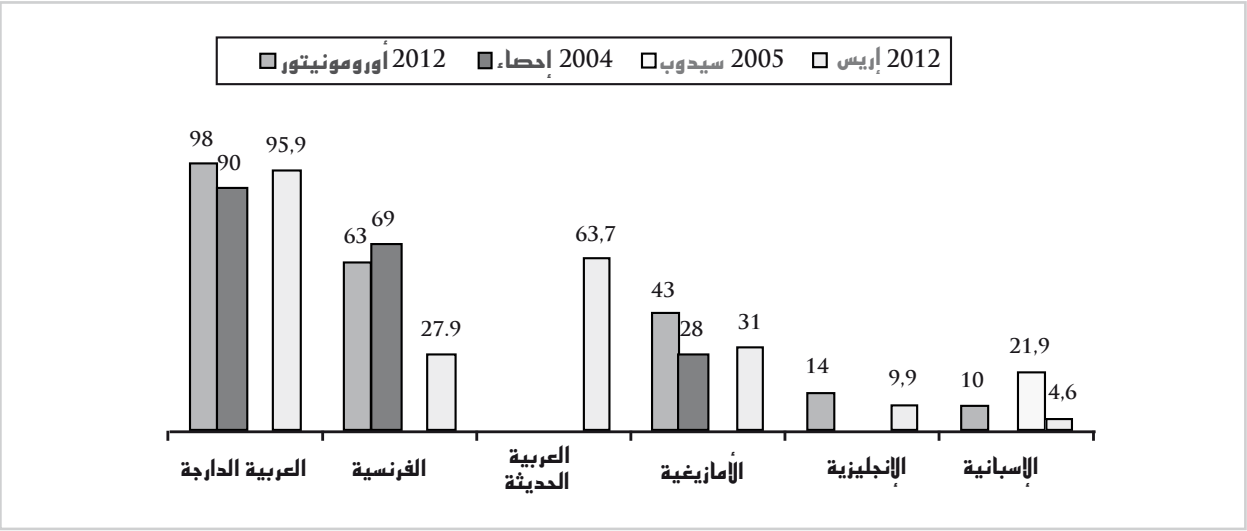

المصدر: عمل شخصي تم إنجازه استنادا إلى معطيات مستقاة من، Euromonitor"أوروموניتور" 2012 ، CIDOB ومركز برشلونة للشؤون الدولية "سيدوب" 2005 وكذا مما ورد عند بنجلون 2012، ص11.

وحسب المعطيات الواردة في بحث أصدره مركز برشلونة للشؤون الدولية ("سيدوب") عام 2005، فإن المناطق التي توجد فيها أعلى نسبة للأشخاص القادرين على التكلم باللغة الإسبانية هي الحسيمة (73 بالمائة)، في عهد الحماية، ثم طنجة (9،48 بالمائة)، ثم العيون (6،28 بالمائة)، التي تشكل أحد الأقاليم الثلاثة التي صارت تنقسم إليها الصحراء بعد استرجاعها من طرف المغرب[19].

والملاحظ أن السوادَ الأعظم من هؤلاء الناطقين باللسان الإسباني يتجمَّعون في منطقة الشمال المغربي، ومردُّ ذلك أساساً إلى الوجود الاستعماري الإسباني السابق في هذه الرُّبوع وإلى قربها الجغرافي من شبه الجزيرة الإيبيرية. ويَشدُّ الانتباهَ أيضاً ما للغة الإسبانية من حضور بيِّن في المناطق المجاورة لمدينتي سَبتة ومليلية، إذ تمتد منطقة نفوذها اللغوي من ميناء طنجة إلى ميناء الناظور، حيث توجد نسبةٌ مرتفعة من الناطقين باللسان الإسباني (مستوى 2006: ص16).

ومع أن الفرنسية هي اللغة الأجنبية بامتياز – بمقتضى وضعها الاعتباري كلغة شبه رسمية–، إلا أن الإسبانية يمكن أن تعدَّ في شمال المغرب بمثابة لغة ثانية لدى الكثير من الناطقين بها. ولا غرابة، ففي أغلب الحالات يتم اكتساب اللسان الإسباني بكيفية عفوية، أي خارج قاعات الدرس، الأمر الذي يؤكِّد حضورَ هذه اللغة بوصفها أحدَ مكونات المشهد السُّوسيُولساني المحلي. ومن جانب آخر، فبقطع النظر عن مدى إتقان اللغة الإسبانية والتمكن منها من لدُن متكلميها، فإن هؤلاء يستعملونَها إما على نحو سالب، بمشاهدة التلفزة الإسبانية، وإما على نحو نشط، بالتفاعل والتواصل مع الإسبان الذين ما زالوا يعيشون في هذه البقاع من المغرب، بل مع السياح أيضا (الصياحي 2005: ص 202). كما أن المقاولات الإسبانية التي تزاول نشاطاتها هناك تتخذ الإسبانيةَ لغة عمل لها (ن.م)، وهو ما يحدُو بمتكلمي الإسبانية إلى أن يُحافظوا على مستواهُم أو أن يطوِّروه في هذه اللغة إذ هي سبيل يتأتى بها الولوجُ إلى ما يخلُقه هذا النشاط المقاوَلاتي من مناصب شغل مباشرة أو غير مباشرة. ولا بد أن نشيرَ، فضلا عن ذلك، إلى أن العديد من الناس يعبُرون يوميا الحدود الموجودة بين تطوان وسبتة بموجب اتفاقية تسمح للمغاربة المقيمين بتطوان بدخول المدينة المستقلة دون تأشيرة لمدة أربع وعشرين ساعة. الواقع أن الكثير من هؤلاء يمارسون عملاً بهذه المدينة، أو يختلفون إليها لشراء سلعٍ وبضائعَ قصدَ بيعها مجددا في

18- هذه معطيات تم استقاؤها من عند "خيل بيدروميغو" و"أوطيرو روث" 2008.
19- . المعهد الوطني للإحصاء (INE)

المغرب. ولا غرابة، فالنشاط التجاري الذي تنسجه مدينتا سبتة ومليلية مع المنطقة المجاورة لهما هو أحد أهم المقومات التي ينهض عليها اقتصاد المدينتين (الصياحي 2005: ص 197).

أما المنطقة الثانية التي تشهد تجمُّعَ أكبر عدد من متكلِّمي اللسان الإسباني، فهي الصحراء، التي تمتدُّ من ميناء طرفاية إلى ميناء الكويرة . إن الإسبانية هنا هي لغةٌ ما تزال تتسم بالحيوية على الرغم مما عمدتْ إليه ا لسلطات المغربية ابتداء من 1975 من تهميش هذه اللغة في التعليم والإدارة ("أوطيرو" و"خيل" 2008: ص 10). بيد أن وسائل الإعلام الإسبانية التي تبث برامجَها من جزر الكناري من جهة، والانشطة التي تتشاطرُها هاتان المنطقتان من جهة أخرى، كل ذلك كان له نصيبٌ في جعل الإسبانية تشكل الآن جزءاً من هوية سكان المنطقة.

وهناك عامل آخر يقع ضمن العوامل التي أسهمت في الإبقاء على اللغة الإسبانية حيَّة نشيطة في هذه المنطقة: إنه عامل الهجرة. فقد تحولت إسبانيا في السنينَ الأخيرة إلى بلد مستقبل للمهاجرين، ومنهم عدد كبير من المغاربة. ذلك أنه منذ أمد بعيد، ظلت الجالية المغربية هي الأوفرَ عددا في إسبانيا قبل أن يتخطاها المهاجرُون القادمون من رومانيا. إنها ظاهرةٌ لا تخلو من أن تَسهم أيضا في توليد اهتمام أكبرَ وأقوى لدى المغاربة إزاء اللغة والثقافة الإسبانيتين، وذلك من خلال ما يقُوم من روابطَ ووشائجَ بين المهاجرين المغاربةَ المقيمين في إسبانيا وبين ذويهم المستقرين في المغرب ("لوبيث" و"بريِّان"، 2004).

وحري بنا أن نشيرَ إلى أن للِّسان الإسباني حضوراً أيضا في النظام التعليمي المغربي ابتداء من مرحلة التعليم الثانوي، سواءٌ في السلك الإعدادي أو في السلكَ التأهيلي (غير الإجباري)، وإن كان عدد التلاميذ لا يتعدى 8 بالمائة من المجموع. هذا ما جعل الإسبانية تحتلُّ المرتبة الثانية كلغة أجنبية اختيارية بعد الإنجليزية، وتليها على مسافة ملحوظة اللغة الالمانية ثم الإيطالية، وهما لغتان تشكلان أيضا جزءا من العرض التعليمي المغربي. كما أن للإسبانية حضوراً في التعليم العالي، إنْ بوصفها لغة تخصصٍ أو بوصفها لغة تكميلية ("رولدان روميرو" 2005: ص 39).

وفي ما يتعلق بوسائل الإعلام، يلاحظ أن الإذاعة والتلفزة المغربيتين تخصِّصان كلتاهُما بعضَ المساحة لعدد من البرامج التي تبَثُّ باللغة الإسبانية.

الفصل الثالث. تدفقات الهجرة بين إسبانيا والمغرب وتأثيرها في نشر اللغة الإسبانية

1.3 الإسبان المقيمون في المغرب

إن الجالية الإسبانية المتواجدة بالمغرب لا تحتل في الوقت الراهن سوى المرتبة السادسة والعشرين بين جميع الجاليات المقيمة في الخارج. فالمغرب الذي بلغ عدد المقيمين الإسبان فيه 6.964 عام 2012 يبتعدُ كثيرا في هذا الصدد عن الأرجنتين وفرنسا اللتين تحتلان المركز الأول والثاني بما تعدادُه 367.939 و 198.182 على التوالي[20].

ويتَّضح أن تطور هذه الجالية عرف تفاوتاً في وتيرته على مدى القرنين العشرين والحادي والعشرين. فبعد أن كان عدد المقيمين الإسبان بالمغرب شبهَ منعدم قبل الحماية الإسبانية، أضحى هؤلاء يشكلون إبّانَ فترة الاستعمار ثانيَ جالية أجنبية بعد الجالية الفرنسية. هكذا ففي عام 1952، كان عدد الإسبان المقيمين بالمغرب يناهز 130.000 شخصا، من بينهم 80.588 مقيم في منطقة الحماية الإسبانية، وزهاء 50.000 مقيم في منطقة النفوذ الفرنسي ("لوبيث غارسيا" 1996: ص 38).

ويوضِّحُ الرسم البياني الآتي تطورَ الجالية الإسبانية منذ تلك السنة إلى يومنا هذا:

الرسم البياني 1.3. الإسبان المقيمون بالمغرب. 2012–1952

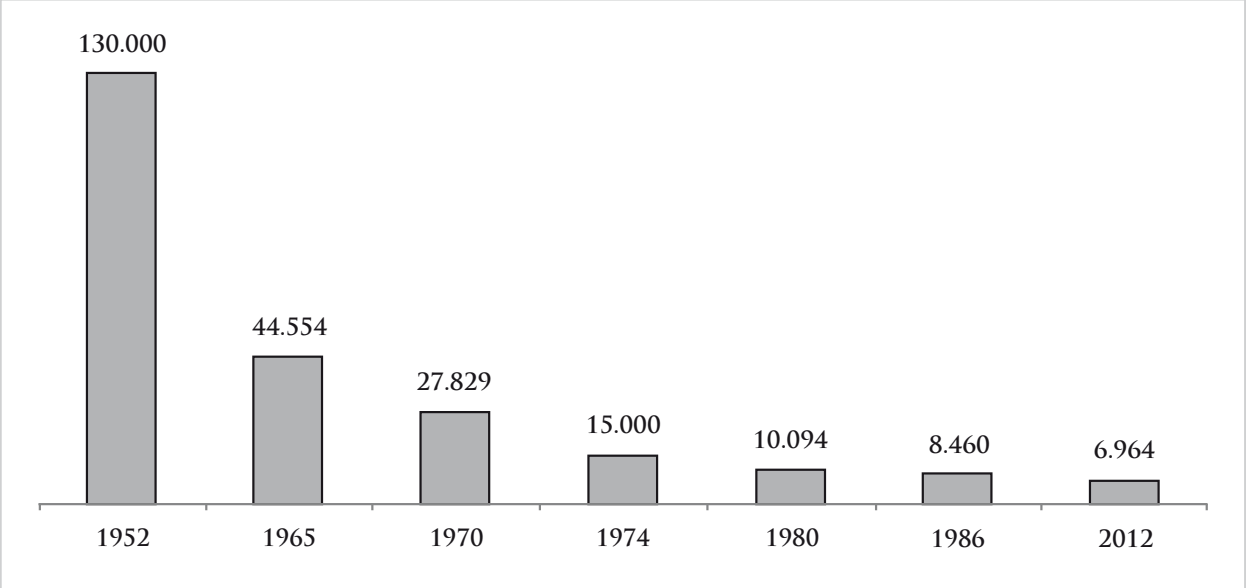

المصدر: عمل شخصي تم إنجازه استنادا إلى معطيات مستقاة من عند "لوبيث غارسيا" 1996 ، ص 38، و"لوبيث غارسيا" 2008، ص 44، وكذا من المعهد الوطني للإحصاء.

20– هذه النسب تم استقاؤها من قائمة الناخبين الإسبانية لسنة 2012. ومن ثم فإن النسب المرتبطة بمجموع سكان إسبانيا قد تكون مختلفة اختلافا طفيفا.

يمكن أن نلاحظ كيف أن انسحابَ إسبانيا من المغرب سنة 1956 أفضى إلى انخفاض ملموس في أعداد الجالية الإسبانية المقيمة بهذا البلد، حيث تقلَّص مجموعُها سنة 1965 إلى حوالي الثُلث مما كان عليه إبان السنوات الأخيرة من عهد الحماية. وكان أن جاء فيما بعد مسارُ المغرَبة الذي شرعَت فيه الحكومة المغربية سنة 1973، والذي مسَّ ممتلكات الأجانب المستقرين بالمغرب، ما دفع الكثيرينَ من الإسبان إلى العودة إلى بلادهم. فخلال عقدين من الزمن أو ينيف (1965-1986)، انتقل حجم الجالية الإسبانية من 44.554 إلى 8.460 مقيما، وفي هذه المقارنة ما يبرز بجلاء نجاحَ ما وضعَه المغرب من سياسات في هذا الشأن. بيد انه منذ سنة 1986 وإلى الآن، لم تطرأ على هذه الجالية تغيراتٌ كبرى وإن حَصل تقلّصٌ في حجمها. بل أكثر من ذلك، فإذا أخذنا بالاعتبار المعطيات الواردةَ في لائحة هيئة الناخبين الإسبان وعدد المقيمين بالمغرب من الإسبان في السنوات الأخيرة، وهي معطيات أصدرها المعهد الوطَني للإحصاء، فإنه يصحُّ القول إن هذه الجالية سجَّلتْ ارتفاعاً طفيفا خلال العقد الأخير.

الرسم البياني 2.3. الإسبان المقيمون بالمغرب والإسبان المسجلون في هيئة الناخبين الإسبانية.

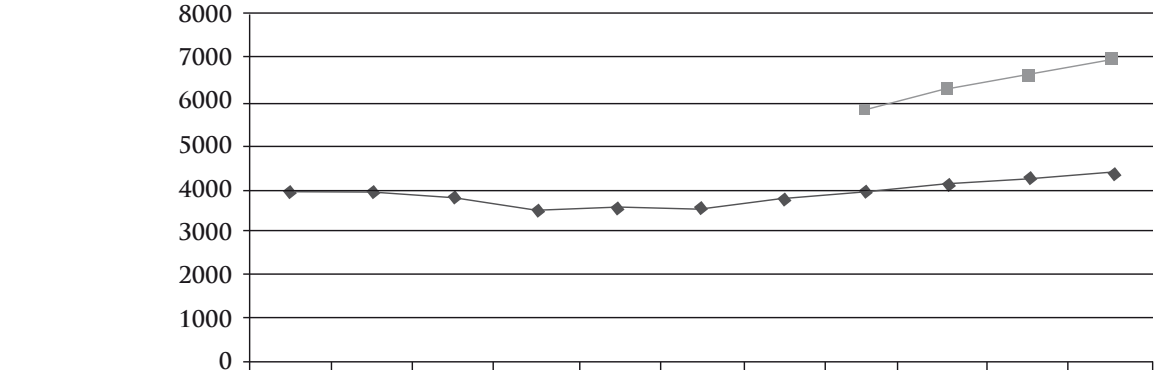

	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012
لوائح الناخبين	3890	3.917	3.758	3.506	3.520	3.552	3.740	3.911	4.057	4.233	4.321
المقيمون								5.770	6.278	6.586	6.964

المصدر: عمل شخصي تم إنجازُه استنادا إلى معطيات أوردها المعهد الوطني للإحصاء.

يتضح أنه في عام 1970، كان ما يزيد عن نصف الجالية الإسبانية (55 بالمائة) يعيش في الشمال من منطقة الحماية الإسبانية السابقة، بينما كانت النسبة المتبقية (45 بالمائة) تعيش في منطقة الاستعمار الفرنسي. إن هذا التشتت الجغرافي استمرَّ نوعاً ما إلى يومنا هذا، وإنْ كان الإسبانُ المستقرون حاليا في منطقة النفوذ الفرنسي السابق أكبرَ عدداً من مواطنيهم المقيمين في المنطقة الإسبانية. فالملاحظ أن ما يقارب النصف من الجالية الإسبانية المقيمة بالمغرب إنما يستقر الآن في تجمُّعَين حضريين كبيرين هما مدينتا الرباط والدار البيضاء، اللتين كانتا في ما مضى تابعتين للحماية الفرنسية. أما مدينة تطوان، التي كانت في زمن مضى عاصمة الحماية الإسبانية، فلا تحتضن سوى 16 بالمائة من المقيمين الإسبان[21].

-21

25 – حسب حجم الصادرات الإسبانية في 2010، هذه الدول هي: الولايات المتحدة، تركيا، المغرب، المكسيك، دول الخليج، الصين، البرازيل، الجزائر، روسيا، اليابان، الهند، كوريا الجنوبية (انظر "بيريث رابوسو" و "سيرنو" 2011: ص 5).

كما أنه لم يطرأ تغير عميق في أكبر المراكز التي تتجمع فيها الساكنة الإسبانية. فمنذ عام 1970 وإلى الآن، بقيت الدار البيضاء وطنجة في مقدمة المدن التي يقيم فيها اكبر عدَد من الإسبان، حيث تضمَّان ما يناهز 30 بالمائة من مجموع الجالية المستقرة حاليا بالمغرب.

وفيما يتصل بالأماكن التي أتى منها هؤلاء الإسبان، يبدو أن القرب الجغرافي يشكل عاملاً ذا أثر حاسم في جعلهم يختارون الاستقرار في هذا البلد. فباستثناء التجمعات الحضرية الكبرى كمدريد وبرشلونة، يلاحظ ان معظم القاطنيِّن في المغرب من الإسبان قدموا من جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية او من شرقها، والجزء الاكبر منهم اتى من الاقاليم الساحلية. هكذا نرى كيف أن اقاليم من قبيل مالقا وسبتة وقادش بلغ الامرُ بها ان تجاوزت برشلونة من حيث عددُ أهلها المستقرين بالمغرب مع أنها تحوي عدداً من السكان أقلَّ بكثير. إن في هذا ما يقودنا إلى الاعتقاد بان ما يحدو هؤلاء الإسبان إلى الاستقرار في القطر الجار إنما هي الروابط الوجدانية، وما يجري من احتكاك وتعارف يعود نصيبٌ منه إلى دور المغاربة المقيمين في هذه المناطق الإسبانية ودور الإسبان الذين يزورون المغرب. ثم إن الإرث الثقافيَ العربي، الذي تظهر معالمه في شتى البقاع الجنوبية من شبه الجزيرة الإيبيرية، وحتى المناخ، الذي يشبه مناخَ المغرب في جنوب إسبانيا اكثر مما هو الحال في شمالها، هما عاملانَ من شانهما أن يؤثِّرا في القرار عندما يتعلق الامر باختيار النزوح إلى الضفة الاخرى من مضيق جبل طارق.

الجدول 1.3. أهم المناطق التي يأتي منها والتي يقصدُها الإسبانٌ المقيمون بالمغرب

المنطقة الأصلية	عدد الإسبان	الوجهة	عدد الإسبان
مدريد	797	الدار البيضاء	1.248
مالقا	735	طنجة	1.164
سبتة	398	الرباط	873
قادش	326	تطوان	628
برشلونة	277	العرائش	139
غرناطة	186	أكادير	134
لاس بالماس	152		
مليلية	146		
فالنسيا	128		
أليكانطي	121		
إشبيلية	119		
مورسية	67		
قرطبة	55		
ألميريا	50		
بنتفدره	46		

المصدر: عمل شخصي تم إنجازُه استنادا إلى المعطيات النهائية المتصلة بلائحة هيئة الناخبين في 1012-11-1 والصادرة عن المعهد الوطني للإحصاء.

ولا بد من الإشارة في الأخير إلى أنه على الرغم من كون الجالية الإسبانية ظلت إلى حدود متمِّ التسعينيات الثانيةَ عدَداً بعد الجالية الفرنسية، إلا أن الهجرة القادمة من دول الجوار كان من اثرها أن غيرت هذا الترتيب. ففي الوقت الراهن، ما تزال الجالية الفرنسية هي الاوفر عدداً بين الجاليات الاجنبية المقيمة في المَغرب (29 بالمَائة). غير أن الجزائريين صاروا يحتلون المرتبة الثانية (بنسبة 7،17 بالمائة)، مبتعدين بمسافة ملحوظة عن الإسبان (4،5 بالمائة) وعن التونسيين (4،3 بالمائة)، الذين يأتون في المرتبتين الثالثة والرابعة على حدة (المندوبية السامية للتخطيط 2009: ص 22).

2.3. المغاربة المقيمون بإسبانيا

إن الهجرة المغربية إلى إسبانيا هي من أقدم الهجرات وأكثرها عددا. إن أولى حركات النزوح إلى هذه الربوع تعود إلى السبعينيات من القرن الماضي، بيد أن أهمَّ التدفقات حصلت في الخمس عشرة سنة الاخيرة، متزامنةً مع فترة شهدتْ ازدهاراً كبيرا في مجال التشغيل في إسبانيا، وقد استمرت على الأقل إلى حدود سنة 2007. فعلى مدى ثلاث عشرة سنة، انتقل عدد المغاربة المسجلين في إحصاء السكان من 161.870 (في دجنبر 1999) إلى 801.690 (في دجنبر 2011). وخلال فترة طويلة، كانت هذه الجالية هي الأكثر عددا بين نظيراتها، إلى أن تجاوزَتها مجموعة المهاجرين القادمين من رومانيا ابتداء من 2008.

الرسم البياني 3.3. تطور عدد المغاربة الحاصلين على شهادة التسجيل أو بطاقة الإقامة الصالحتين في 31 دجنبر. 1999–2011

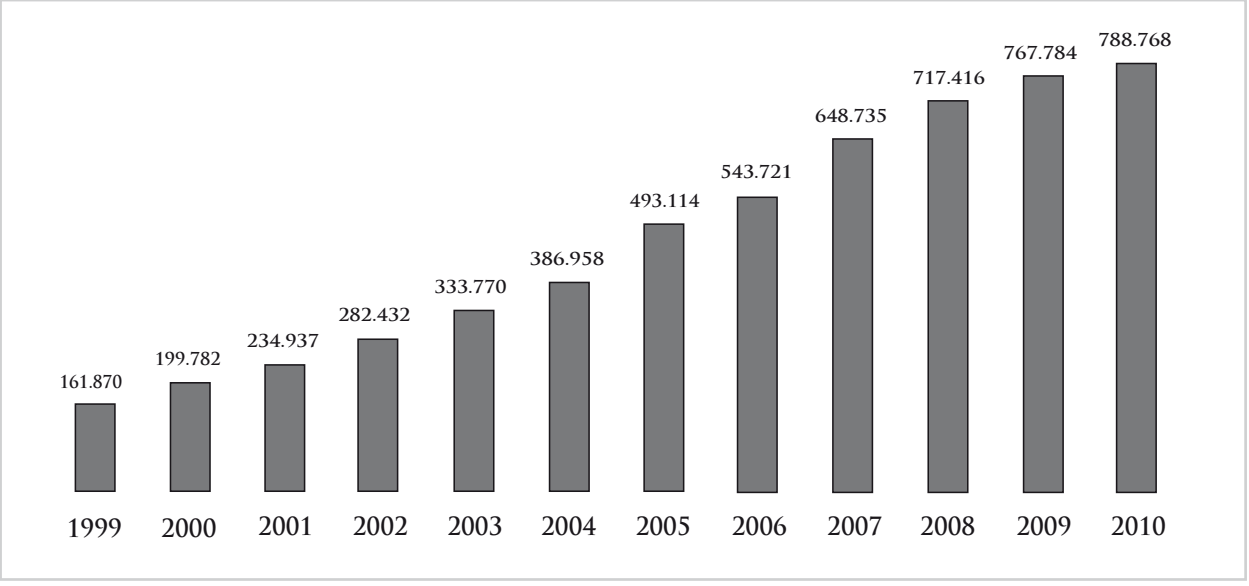

المصدر: عمل شخصي تم إنجازُه استنادا إلى المعطيات الصادرة عن المعهد الوطني للإحصاء.

يتضح أن 45 بالمائة من المهاجرين المغاربة قدموا من المناطق الشمالية التابعة سابقا للحماية الإسبانية، 27 بالمائة منهم ينتمون إلى منطقة جبالة (بالأخص طنجة وتطوان والعرائشَ) و18 بالمائة إلى منطقة الريف (الناضور خاصة). أما الجزء الأطلنطي من المغرب، فقد وفد منه 14 بالمائة من المهاجرين، معظمُهم من ناحية الدار البيضاء. ويندرجُ 14 بالمائة من هؤلاء المهاجرين من جهة الأطلس، اغلبهم من مدينة بني ملال. ومن الجهة الشرقية، يلاحظ أن نسبة المهاجرين إلى إسبانيا بلغت 9 بالمائة، يأتي معظمهم من إقليم وجدة. ثم هناك مجموعات أقل عددا، وتنتمي إلى منطقة الوسط (5 بالمائة)، والصحراء (4 بالمائة)، وسوس (1 بالمائة)، (مجموعة "إيُويهي" و"فرناندیث" 2010: ص 148–147).

أما أهم الوجهات التي يقصدُها المهاجرون المغاربة، فيتبيَّن أن كاطالونيا والأندلس ومدريد ومرسية وفالنسيا هَي أكثر الاقاليمَ استقبالا للوافدين من الديار المغربية.

الجدول 2.3. عدد المهاجرين المغاربة حسب الأقاليم المستقلة 2012-6-31

الإقليم	عدد المهاجرين
كاطالونيا	269.091
الأندلس	120.149
إقليم مدريد	83.023
جهة مورسية	77.752
إقليم فالنسيا	75.658
قشتالة - لامانشا	36.346
جزر البليار	28.911
قشتالة وليون	23.356
أراغون	21.344
جزر الكناري	18.508
بلاد الباسك	14.461
إكسترمادورا	11.149
إقليم نافارّا	9.931
لاريوخا	9.378
غاليسيا	6.942
مليلية (المدينة المستقلة)	6.266
إمارة أستورياس	2.570
سبتة (المدينة المستقلة)	2.204
كانطابريا	1.899

المصدر: المعهد الوطني للإحصاء.

الملاحظ أن معظم المهاجرين الموجودين في إقليم كاطالونيا ينحدرون من منطقة جبالة (34 بالمائة، من العرائش وطنجة على الأخص). وفي إقليم الأندلس يأتي في المقدمة الوافدون من منطقة جبالة (35 بالمائة، اغلبهم من تطوان وطنجة)، يليهم الآتون من الساحل الاطلنطي (21 بالمائة، خاصة من الدار البيضاء والقنيطرة والرباط). وفي إقليم مدريد، يلاحظ أن هناك تقارباً في العدد بين القادمين من جبالة (29 بالمائة، من طنجة أساسا) والوافدين من الريف (28 بالمائة، من الحسيمة أساسا) والآتينَ من الساحل الأطلنطي (22 بالمائة، من الدار البيضاء غالبا). أما في إقليم مُرسية، فجلُّ القادمين هم من الجهة الشرقية (47 بالمائة، من وجدة غالبا)، يليهم اهل الاطلس (27 بالمائة، خاصة من بني ملال). واخيرا، يلاحظ أن الهجرة إلى إقليم فالنسيا يهيمن عليها المنحدرون من منطقة الاطلس (31 بالمائة، من بني ملال أساسا)، ثم القادمون من منطقة جبالة (21 بالمائة، من طنجة وتطوان والعرائش خَاصة) (ن.م).

وفيما يتصل بالخصائص الديمغرافية التي تتسم بها الهجرة المغربية في إسبانيا، فالملاحظ أن هناك هيمنةً واضحة للذكور؛ هكذا تشير معطياتُ آخر بحث وطني حول المهاجرين (2007) إلى أن 64 بالمائة من هؤلاء هم رجال. كما أن سمات الهجرة لديهم تبين تفاوتا كبيرا يرتهن بمقياس الجنس. فعند الرجال، غالبا ما تكون أسباب الهجرة ذات طبيعة اقتصادية (62 بالمائة)؛ أما عند النساء، فالأسباب تكاد تكون دوماً مرتبطة بالأسرة (67 بالمائة). وفي الاغلب الاعم من الحالات، يغادر الرجال بلدهم المغرب غير مصحوبين بذَويهم (77 بالمائة)، بينما تصطحب النساءُ أحدَ أفراد أسْرتهنّ (65 بالمائة). و يتَّضح في ضوء هذا البحث نفسه أن أكثر من نصف النساءَ الراشدات

(53 بالمائة) لم يمارسَ قط أي مهنة في إسبانيا، وهذه سمة لا تنطبق سوى على 7 بالمائة من الرجال. بتعبير آخر، يلاحظ أن معظم الرجال هم مهاجرون يزاولون نشاطا اقتصاديا، فيما ظلت الهجرة النسائية المغربية على هامش سوق الشغل في معظمها. وهذا يعني حدوث تأخير في اندماج المرأة اجتماعيا ولغويا، إذ إن انحصارَ حياتها في إطار الأسرة يجعل من الصعب عليها تعلم اللسان الإسباني. ففي سنة 2007، كان ثمة 24 بالمائة من النساء المغربيات الراشدات المقيمات بإسبانيا (أي حوالي 40.000) لا يعرفن اللغة الإسبانية (مجموعة «إيُوهِي» 2012: ص2).

إن مستوى التمدرس لدى المهاجرين المغاربة يبقى منخفضاً إذا ما قورن ليس فقط بمستوى الساكنة المحلية، بل أيضا بمستوى باقي المهاجرين. هكذا تشير معطيات البحث المنجَز عام 2007 حول الساكنة النشيطة إلى أن 57 بالمائة من المقيمين المغاربة بإسبانيا المتراوحة أعمارهم بين 16 و64 سنة لا يتجاوزُ مستواهُم الدراسي المرحلة الابتدائية، بينما تبلغ هذه النسبة 29 بالمائة فقط لدى المهاجرين غير المنتمين للمجموعة الأوربية، و20 بالمائة فقط لدى الإسبان المولودين بإسبانيا. كما أن ثلاثة بالمائة فقط من المهاجرين المغاربة يتوفرون على تكوين جامعي، مقابلَ 13 بالمائة و19 بالمائة لدى الفئتين المذكورتَين على التوالي (ن.م: ص 3–2).

وحريٌّ بنا أن نشير إلى أن ولوج المهاجرين المغاربة إلى عالم الشغل عرف تناميا كبيرا بين عامي 1995 و 2007 نظرا بالأساس لما عرفته إسبانيا وقتئذ من نمو اقتصادي قوي. بيد ان مناصب الشغل التي تشغلها الجالية المغربية هي مناصبُ لا تستلزم عادة سوى القليل من الكفاءة والتأهيل، وفي الغالب تقتصر على العمل اليدوي وتقوم على التعاقد المؤقت. والملاحظ أن العمل المؤقت مُهيمن لدى الرجال المغاربة (66 بالمائة، لا يفوقهم في ذَلك سوى المهاجرين القادمين من بوليفيا) أكثر منه لدى النساء (بنسبة 51 بالمائَة، وهن يأتين بعد الرومانيات، ويتساوَين مع الوافدات من بلغاريا والبرازيل والبيرو) (مجموعة «إيُوهِي» 2012: ص4).

وعلى الرغم من أن الأمر يستوجب التدليلَ على استيفاء إقامة قانونية بإسبانيا مدَّتها عشر سنوات على الأقل، فإن 82.000 مغربي حصلوا على الجنسية الإسبانية منذ مستهل هذا القرن. وفضلا عن ذلك، فمن بين أولئك الذين حافظوا على الجنسية المغربية، تقلصت بقدر ملموس نسبةُ الحالات غير القانونية (مجموعة «إيُوهِي» 2012: ص2). ويجدرُ بنا أن نشير أيضا إلى أن أكثر من 80 بالمائة من المغاربة ينوُون البقاء في إسبانيا، بينما القلة القليلة منهم تفكر في الرجوع إلى وطنها. وهذا يعني أن لدى الجالية المغربية قدراً بالغاً من الاندماج في المجتمع وفي سوق العمل، وهو اندماج يقترن لزاما بتعلُّم لغة بلد الاستقبال من جملة أشياء أخرى (مجموعة «إيُوهِي» و»فرناندیث» 2010: ص168).

ومن مجموع المغاربة المستقرين بإسبانيا منذ 2007، نجدُ أن من صَرَّحوا بعدم إلمامهم باللغة الإسبانية هم فقط 58.000 من الأشخاص المتجاوز عمرهم 16 سنة. ومن بين المجموعات المهاجرة، تشكل الجالية المغربيَة ثانيَ مجموعة تضم أكبر عدد من غير الملمِّين باللسان الإسباني، ولا تتخطاها في ذلك سوى جالية المملكة المتحدة (زهاء 76.000 شخص)، بينما تليها بمسافة كبيرة الجالية المنحدرة من رومانيا (25.000 شخص) (ن.م: ص 180).

وإذا أخذنا بالاعتبار كونَ اللغة الإسبانية تشكل اللغةَ الأم لدى 45 بالمائة من الساكنة المهاجرة بإسبانيا، فإن الأرقام التي سُقناها آنفا تعني بما لا يدع للشك مجالا أن الجالية المغربية حققت نجاحا بيِّناً على صعيد الاندماج اللغوي؛ وذلك ليس فقط لأن لغتها الأم هي غير الإسبانية، بل لأن درجة الاختلاف والتباين التي تقوم بين العربية والإسبانية هي أكبرُ بكثير من البَون الذي يفصل الإسبانية عن لغات مهاجرين آخرين ليسوا ناطقين أصليين باللسان الإسباني، كما هو حال الجالية الرومانية. إن هذا الحاجزَ اللغوي يترتب عنه تأخرٌ في سيرورة الاندماج في المجتمع وعالم الشغل لدى المهاجرين المغاربة، الذين سيبقى تمكنُهم من الإسبانية على الدوام محدوداً مقارنة بنظرائهم الوافدين من أمريكا اللاتينية أو من رومانيا. ومن ثم يتضح كيف أن للجالية المغربية حظوظاً أدنى في الحصول على مناصب شغل تستوجب درجة أعلى من التأهيل والكفاءة، حيث يصير إتقان اللغة الإسبانية شرطا لا محيد عنه؛ ومما يزيد الطين بلَّة ما نراه لدى المهاجرين المغاربة من مستوى دراسي متدنٍّ بوجه عام.

وعلى الرغم مما يقوم من مسافة لغوية بين العربية والإسبانية، إلا أن الكثير من المهاجرين المغاربة يجدون في اللغة الفرنسية سبيلاً تيسِّر لهم تعلُّمَ الإسبانية تعلما سريعاً. إن ما يزيد عن 40 بالمائة منهم يؤكد إلمامَه بهذه اللغة؛ ولا غرابة في ذلك نظراً لما يتسم به وطنُهم الأصلي من تعدد لغوي. وبذا يتبيَّن أن ما يقوم من شبَهٍ بين اللغتين الفرنسية والإسبانية يشكل لدى هؤلاء أرضية مُثلى لاكتساب مهارات لغوية في اللسان الإسباني.

وفي ما يتعلق بمعرفة لغات أجنبية أخرى، يبدو أن أقل من 20 بالمائة من المهاجرين المغاربة يملكون نصيباً من الإلمام بالإنجليزية (مجموعة «إيُوهِي» و»فرناندیث» 2010: ص183).

ومن جانب آخر، فللمهاجرين المغاربة في معظمهم صلاتٌ مستمرة بأقاربهم أو أصدقائهم المستقرين ببلدهم الأصلي، ولا يشذُّ عن هذه القاعدة سوى 12 بالمائة ممن لا يربطهَم بالمغرب أيُّ ضرب من ضروب الاتصال. والملاحظ ان التواصل مع الاهل هو عادةٌ أرسخُ لدى مَن هاجروا إلى إسبانيا منذ زمن بعيد قياساً إلى من قدموا إليها في الآونة الأخيرة، وهو غالبا ما يتم عبر الهاتف، وقلَّما يتمُّ عبر الأنترنيت (عن طريق البريد الإلكتروني أو المحادثة، أي «الشات»).

وفضلا عن ذلك، فالجالية المغربية تسافر إلى وطنها أكثر مما يفعلُ غيرها من الجاليات التي لا تتمتَّع بالحق في حرية التنقل. ومردُّ ذلك أساسا إلى أن القرب الجغرافي مع المَغرب يجعل السفرَ أقلَّ تكلفة نسبيا. إن المهاجرين في معظمهم إنما يقصدون وطنهم لزيارة الأهل والأصدقاء، أو لقضاء العطلة، وبقدرٍ أدنى لحل إحدى المشاكل المالية أو لأسباب مِهَنية. صفوة القولَ أنه يُستشف من دواعي السفرِ وحوافزه الرئيسة وجودُ روابطَ ًووشائجَ وجدانيةٍ وثيقة مع البلد الأصلي، الأمرَ الذي يتسنَّى به أيضا في المغرب التعرُّفُ على أسلوب العيش بإسبانيا (ن.م: ص 173).

ثم إن هناك جانبا آخر يعكس مدى متانة الأواصر القائمة بين المهاجرين المغاربة وبلدهم الأصلي: يتعلق الأمر بالتحويلات المالية. فما يفوق 40 بالمائةَ من هؤلاء يبعثون أموالا إلى المغرب موجَّهةً في الغالب إلى الآبوين أو الإخوة أو الزوج او الأبناء.

وعلى الرغم مما لدى المهاجرين المغاربة من نزعة قوية وميل إلى الاستقرار بإسبانيا، إلا أنه مع انتهاء طور الازدهار الاقتصادي واحتداد الأزمة هناك، اضطُرَّ الكثيرون منهم إلى إعادة النظرِ في وضعيتهم.فحسب إحصاء التغيرات المرتبطة بالإقامة(EVR) ،يتبين أنه خلال فترة الازدهار، ارتفعت حصيلة الهجرة عند المواطنين المغاربة (أي الفارق بين عمليات الدخول وعمليات الخروج) بما يناهز 40.000 شخص سنويا ما بين عامي 2001 و2003 إلى أن بلغت ذروتها عام 2005 (بعدد قدره 75.000 شخص). ومنذئذ ظلت التدفقات تتم بقوَّة ملحوظة إلى غاية 2008 (حيث تراوحت ما بين 50.000 و60.000). غير أن هذه الوتيرة انقلبت رأساً على عقب ابتداء من سنة 2009، حيث تهاوت الحصيلة إلى 28.922 شخصا؛ وفي 2011، لم تكد تتجاوز 10.000 شخص. ويرجع هذا التغير إلى الانخفاض البيِّن في عدد المغاربة الذين قصَدوا إسبانيا (من 93.000 سنة 2008 إلى 43.000 سنة 2011).

الرسم البياني 4.3. حركات تنقُّل الأشخاص المولودين في المغرب من إسبانيا وإليها

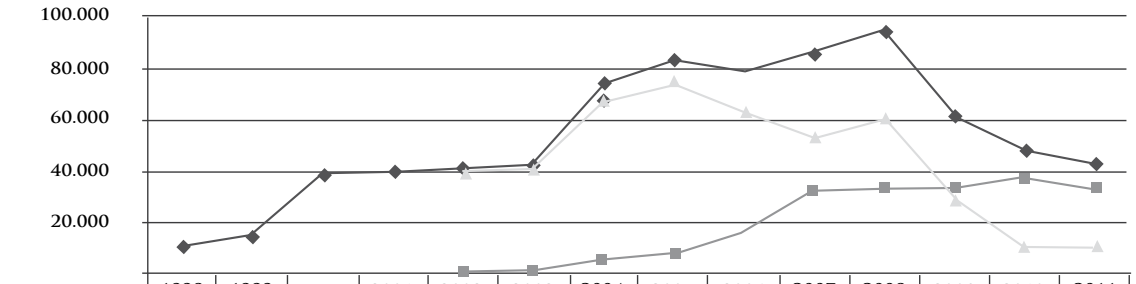

	1998	1999	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
الدخول	10.557	14.904	38.344	39.517	40.172	41.171	73.380	82.519	78.512	84.978	93.623	61.766	47.938	43.190
الخروج					784	934	5.435	7.400	15.318	31.568	33.774	32.844	37.387	33.017
الفارق					39.388	40.237	67.945	75.119	63.194	53.410	59.849	28.922	10.551	10.173

المصدر: المعهد الوطني للإحصاء، إحصاء التغيرات المرتبطة بالإقامة.

مع أن الفارق بين حركات دخول وخروج المغاربة المقيمين بإسبانيا هو فارق ما يزال إيجابيا، إلا أنه قد يصير سلبيا في السنوات المقبلة إذا ما تفاقمت النزعة المبيَّنة ابتداء من سنة 2009. إن ما يقوم من علاقة بين الثقافة واللغة الإسبانيتين وبين هذه الجالية قبل قدومها إلى إسبانيا هو أمرٌ يرتهن ارتهانا ملحوظا بموطن الأشخاص الأصلي ودواعي الهجرة لديهم وطبيعة انتمائهم الاجتماعي الاقتصادي. ومهما يكن، فما يلاحظ من انخفاض في عدد المقيمين بإسبانيا يعني أن حشدا كبيرا من هؤلاء المهاجرين إنما يرجعون إلى وطنهم متشبِّعين، إن قليلاً أو كثيراً، بنصيبٍ من التقاليد والعادات الإسبانية، ومُلمِّين إلى حدٍّ ما باللغة الإسبانية.

وفي هذا ما يشجِّع انتشار الثقافة واللغة الإسبانيتين في البلد الجار لسَببين اثنين أوَّلهُما أن عودة هؤلاء المغاربة تحدثُ تزايداً واضحاً في المغرب في عدد الناطقين باللسان الإسباني غير الأصليين. ثم إن عددا كبيرا من العائدين إنما يقصدون موطنَهم الأصلي ومسقط رأسهم الذي يوجَد في 55 بالمائة من الحالات في المنطقة التي كانت من قبل خاضعة للنفوذ الفرنسي. وبذا فإن ظاهرة الهجرة العائدة تُسهم في الرفع من انتشار الناطقين بالإسبانية وتناثُرهم الجغرافي في المملكة المغربية. وثانيهما أنه لمَّا كانت هذه الهجرة هجرةً يغلُب عليها في جوهرها الطابع الاقتصادي ويتَّسم أصحَابها بانخفاض مستواهم تأهيلاً وكفاءة، فإن عودة هؤلاء تُفضي أيضا إلى مزيد من الاطلاع على اللغة الإسبانية وسَط الطبقاتَ الشعبية المغربية.

الفصل الرابع . العلاقات التجارية بين المغرب وإسبانيا

إن جاذبيةَ المغرب من حيث هو سوقٌ محتملة، وقدرتَه التنافسية، وموقعَه على صعيد الاستثمار، هي كلُّها عواملُ كانت مبرِّراً لإدراج هذا البلد ضمن المخططات الشاملة لتنمية لأسواق (PIDM) التي تنظم التجارة الخارجية الإسبانية.هكذا فالمغرب يوجد ضمنَ قائمَة الاثنتيْ عشرة دولة من بين دول العالم التي خصَّتْها وزارةُ الصناعة والسياحة والتجارة الإسبانية بوضعٍ تفضيليّ في سياق سعيِها إلى تقوية الصادرات والاستثمارات الإسبانية ("بيريث رابوسو" و"سِيرنو" 2011: ص 5–3)[22].

ومما ساعد على ذلك تعزيزُ إستراتيجية النمو في المغرب عن طريق مسلسل التحرير الذي شهدَتْه سوقُه الداخلية على نحوٍ تدريجي، وانفتاحُه على الخارج وما أفضى إليه هذا الانفتاح من إبرام المغرب اتفاقيات شتَّى مع دولٍ عدَّة. ثم إن هناك عواملَ جيوستراتيجية لا تخلو عادة من أن توقعَ أثرَها في العلاقات التجارية الإسبانية، كالقرب الجغرافي، عواملَ تجعل من المملكة المغربية الوجهة الأولى لصادراتِ إسبانيا واستثماراتِها في إفريقيا.

فمنذ أن دخلتْ حيزَ التنفيذ، في 31 مارس 2012، اتفاقيةُ الشراكة بين الاتحاد الأوربي والمغرب، صارت العلاقات التجارية بين المغرب وإسبانيا تشتغل ضمن هذا الإطار المؤسساتي. أضف إلى ذلك الاندماجَ الجهويَّ للمغرب في الفضاء الأورومتوسطي، وهو اندماج نصَّت عليه مبادئ وأهداف مسلسل برشلونة، الذي يروم إعطاء وضع متقدم للعلاقات القائمة بين المغرب والاتحاد الاوربي.

إن العلاقات القائمة بين المغرب والاتحاد الأوربي هي علاقات تأسستْ منذ بضعة عقود على رُزنامة مكثَّفة من الزيارات المؤسساتية على جميع الصُّعُد والمستويات. بيد أن تولِّي الملك محمد السادس زمام الحكم شكَّل من بدايته منعطفاً أسفر عن قيامِ تعاونٍ أقوى وأوثق مع إسبانيا.

ويتضح من الناحية التجارية أن هذه العلاقات تجسَّدتْ عبر نموٍّ متواصل وتزايد مستمر في حركة الاستيراد والتصدير بين إسبانيا والمغرب، وكذا عبر ارتفاع وتيرة الاستثمار الإسباني في هذا البلد، وهو استثمارٌ يَسَّره وافسح السبيلَ أمامَه ما يوجد من تكامل بين الاسواق في البلدين وما يوفِّره المغرب للمستثمِر الإسباني من فرصٍ في قطاعات محدَّدة.

ومن جانب آخر، فإن الشروعَ في العمل بمختلف اتفاقيات التجارة الحرة، الموقعة مؤخَّراً مع الولايات المتحدة ومع الدول المشاركة في اتفاقية اغادير ومع تركيا، يفسح السبيل أمامَ المقاولات الإسبانية إذ يخوِّل لها استعمالَ السوق المغربية منفذاً للولوج إلى هذه الاسواق على نحو تفضيلي عن طريق استقرارها بالمغرب (ICEX 2012 المعهد الإسباني للتجارة الخارجية).

وفي الوقت الراهن، تتمثل اتفاقيات التعاون الاقتصادي والمالي المعمول بها بين إسبانيا والمغرب في ما يأتي[23] :

- اتفاقية تجنب الإزدواج الضريبي (وقد دخلت حيز التنفيذ في مايو 1985)؛ ، (APPRI) – اتفاقية الإنعاش والحماية المتبادلة للاستثمارات الموقعة مع إسبانيا في 11 دجنبر 1997 (والتي دخلت حيز التنفيذ ابتداء من 13 أبريل 2005)؛
- اتفاقية التعاون الاقتصادي والمالي، الموقَّعة في 8 دجنبر 2003؛
- مذكرة التعاون المالي، الموقَّعة في 16 دجنبر 2008، والتي تم تمديدها إلى غاية 16 دجنبر 2013، وتشملُ منحَ قروض من صندوق (أي صندوق تدويل المقاولة) يبلغ مقدارُها 400FIEM"فييم" مليون أورو مخصصة لتمويل مشاريعَ عمومية بنِسبة تفويض تبلغ 42 بالمائة. ومن أجل إنجاز دراسات الجدوى والهندسة والمساعدة التقنية، وهي "EVATIC"تم إحداث أداة جديدة تسمى "إيفاتيك" عبارة عن قرض بشروط تفضيلية؛ ؛ (MDL)

22- يتم منح المبلغ المالي المرصود لذلك في الأماكن التي يتوفر فيها.
23- انظر اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين 1999.

- مذكرة التفاهم حول آلية التنمية النظيفة ، الموقعة في مارسICEX – اتفاقية المغرب التصدير "إيسيكس" 2009؛
- برنامج تحويل الدَّين إلى استثمارات خاصة، وقد رصِد له مبلغ 40 مليون أورو؛
- برنامج تحويل الدَّين إلى استثمارات عمومية، وقد رصِد له مبلغ 50 مليون أورو.
- ومن أبرز ما أثمرتْه الاتفاقياتُ الموقَّعة في إطار آخر اجتماع انعقد على أعلى مستوى بين الطرفين، وذلك في أكتوبر 2012، مذكرةُ التفاهم المتعلقة بالتعاون في مجال الإدارة الإلكترونية ومجتمع المعلومات، ونظيرتها المتعلقة بالتعاون في المجال السياحي، والتي تقضي باعتماد برنامج من الأنشطة لتفعيل مذكرة التفاهم الموقعة في هذا الصدد في 2009.

لقد عرفَ الاقتصاد المغربي في السنوات الأخيرة تسارُعاً في نموه، الأمر الذي به يتأتَّى توطيدُ الاستقرار الماكرُواقتصادي، وبه تتيسَّر مواجهة مسلسل تحرير الاقتصاد والانفتاح على الخارج على أُسُس أقوى وأشدَّ متانة. غير أن الاقتصاد ما فتئ يخضع لثنائيةَ بيِّنة، حيث نجد قطاعا للصناعة والخدمات يتَّسم إلى حدٍّ ما بطابعه الحَديث، لكن تلاحَظ أيضا هيمنةٌ مفرطة للقطاع الزراعي، الذي يكتسي في معظَمه طابعا تقليديا، ومن ثم فهو شديدُ الارتباط بالظروف المناخية. والحال أن ما لهذا القطاع من إسهام قويٍّ في الناتج الداخلي الخام، ومن دور اجتماعي بيِّن، ومن أثر جليٍّ في المبادلات الخارجية، كل ذلك يؤثر في مجموَع النسيج الاقتصادي للبلاد ويخضعه لجملة من الإكراهات. ولذلك عمدت السلطات المغربية في الآونة الاخيرة إلى المراهنة على تنويع موارد الاقتصاد الوطني بقدر أكبر، وتحديث قطاع الزراعة بجعله أقل ارتهاناً بعوامل من قبيل المناخ.

ومن حيث الناتج الداخلي الخام لكل فرد، يقع المغرب في موقع أدنى من متوسِّط بلدان كليبيا والجزائر وتونس، إذ لم يتجاوز هذا الناتج عام 2012 ما قدره 5.265 دولارا للفرد من حيث تَساوي القدرة الشرائية (PPP). وفي السنة ذاتها، بلغ الناتج الداخلي الخام المطلق للمغرب 95.982 مليون دولار، أي ما يساوي نسبة 1،7 بالمائة من نظيره عند إسبانيا، ونسبة 22 بالمائة من نظيره في منطقة المغرب الكبير و7 بالمائة من ناتج القارة الإفريقية.

وبالنسبة إلى الاقتصاد الإسباني، يتبوأ المغرب، وبفارق كبير، موقع أول وجهة تقصدها صادراتُ إسبانيا نحو إفريقيا: ففي 2012، ذهبت إلى المغرب حصةٌ قدرها 8،34 بالمائة من صادرات إسبانيا الموجهةَ إلى إفريقيا، كما ذهبت إليه حصة 2،47 بالمائة من مجموع صادراتها إلى الساحل المتوسطي من هذه القارة. بيد أن الوجه الآخر من العملة يتمثل في الواردات: فبما أن المغرب ليس من الدول المصدِّرة للطاقة (علما أن اهم ثرواته الطبيعية هي الفسفاط)، فإنه يأتي في المرتبة الرابعة من بين المموِّنين لإسبانيا في القارة الإفريقية، بعد الجزائر ونيجيريا وليبيا (عن المكتب التجاري الإسباني بالرباط. هذه أرقام لم تُنشَر).

الرسم البياني 1.4. تطور المبادلات التجارية بين إسبانيا والمغرب (بملايين الأورو)

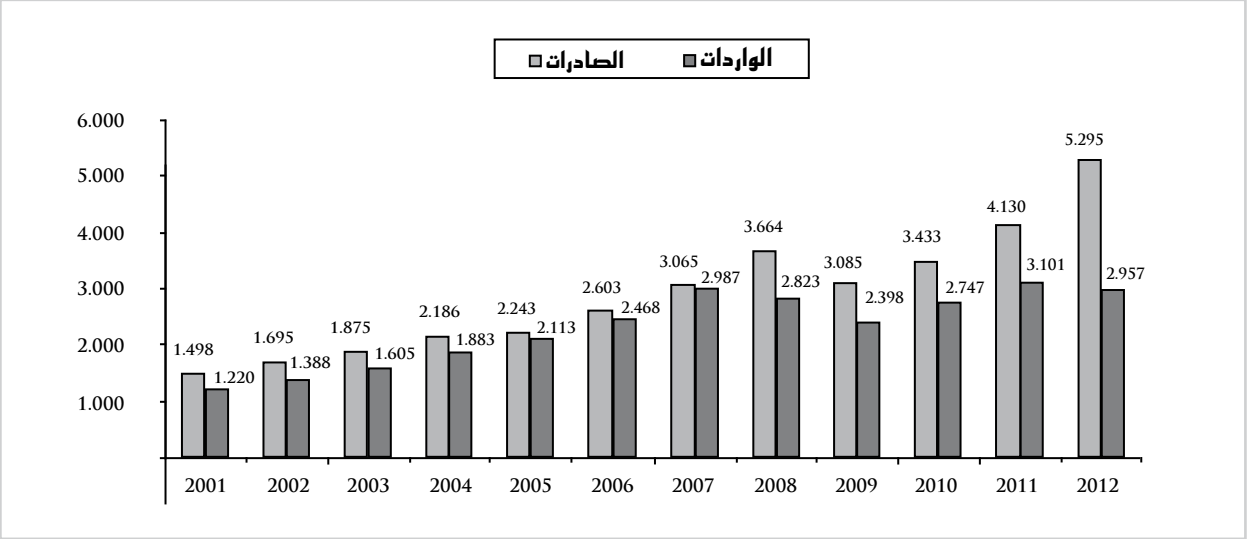

المصدر: عمل شخصي تم إنجازه استنادا إلى معطيات مستقاة من .Estacom "إستاكوم"

ومن الناحية الاقتصادية، تربط إسبانيا والمغربَ علاقاتٌ تجارية جيدة، خاصة خلال العقد الأخير. فإسبانيا هي الشريك الاقتصادي الثاني للمغرب بعد فرنسا. ومن جهته، احتل المغرب عام 2012 المرتبة التاسعة بين الدول المستوردة للمنتجات الإسبانية، متقدما على قوى اقتصادية كبرى كالصين والمكسيك. ومع أن أرقام المغرب تبقى أدنى من أن تساويَ أرقام المبادلات القائمة بين إسبانيا وبلدان كثيرة في الاتحاد الاوربي، إلا أنه لا بد من التنويه بأن المغرب يشكل ثانيَ سوق لإسبانيا خارج الاتحاد الأوربي، ولا تتخطاه في ذلك إلا الولايات المتحدة.

ومن جهة أخرى، يتضح من خلال تحليل خصائص المقاولات المصدِّرة إلى المغرب أن عدد هذه المقولات جد مرتفع (18.621 مقاولة في 2011 و18.839 في 2012). ولا يتجاوز المغربَ كوجهة للصادرات إلا الولايات المتحدة، بينما تأتي فرنسا والبرتغال بعد المغرب. وقد كان معدل الصادرات عن كل مقاولة يساوي 281.00 أورو عام 2012، وهو مبلغ متواضع إلى حدٍّ ما. ومما يشد الانتباه في هذا السياق التناوبُ بين المقاولات على نطاق واسع وظاهرة التركّز الشديد للصادرات. فعلى امتداد سنة 2012، كانت نسبة 8،22 بالمائة من مجموع المقاولات المصدِّرة إلى المغرب تندرج بين المقاولات الأكثر انتظاما، حيث تجاوزت نسبةَ 8،20 بالمائة التي بلغتها عام 2011. ويتضح أن المقاولات الخمسمائة الأولى من حيث التصدير (أي 2،65 بالمائة من المجموع) هي مسؤولة عن 1،80 بالمائة من القيمة الإجمالية للصادرات، بينما 2،44 بالمائة (أي 8.320 مقاولة)صدرت أقل من 5000 أورو. الواقع أن ما يلاحَظ من عدد هائل في المقاولات المصدِّرة، وما لها من حجم نسبيٍّ ضئيل، إضافةً إلى ما تمارسه من تناوب، كل ذلك يقود إلى الظن بأن عددا كبيرا من المقاولات إنما تمارس التجارةَ الظرفية وإخْراجَ المخزون وما إلى ذلك، غير مكترِثة بالاستمرارية في نشاطها.

وإذا ما قُمنا بحساب تقديري ينحُو نحوَ الحد الأدنى، فإنه يتبين أن ما يناهز 800 مقاولة تزاول نشاطا منتظما بالمغرب، وأن أكثر من نصف هذه المقاولاتً هي عبارة عن فروع لشركات إسبانية متعددة الجنسية، ويندرج ضمنها عددٌ كبير من المقاولات الصغرى والمتوسطة. كما أن كثيرا من الاستثمارات الآتية من شركات متعددة الجنسية غيرِ إسبانية هيَ استثماراتٌ إنما يقوم بها أحدُ الفروع الإسبانية.

الفصل الخامس. صورة إسبانيا وتأثيرها في مؤشّرات الهوية لدى الناطقين باللغة الإسبانية

إن امتلاكَ لغة مختلفة من سماته أنه يُسهم في تمييز مجموعة عن جيرانها، كما أنّ تقاسُمَ لغة داخلَ مجموعة واحدة من سماته أنه ييسِّر ويقوي التواصل والتماسك والانسجام بين افراد هذه المجموعة ("بَربُور" 2000: ص9). هكذا يتأتى باللغة بناءُ هوية مجموعة معينة. لكن لكي تشتغلَ اللغةُ مؤشِّراً للهوية، ينبغي أن تُستشعَر هذه الهوية من حيث هي شيءٌ فردي يمكن عزله بشكلٍ واضح عن جملة أشكال التعبير الإنساني ("كانُو اغِيلار" 2009: ص 70).

إن تشكيل الهوية يرتبط في معظم الأحيان بوجود هوية عرقية مدارُها محورٌ لغويٌّ أساسٌ ("جيل" و"جونسون"، 1987). وهذا الكلام ينسحب بالخصوص على المجتمعات المتعددة اللغات كما هو حال المجتمع المغربي، حيث تصير اللغة مؤشِّراً له الأولوية والرجحانُ متى تعلق الامر بقياس مدى تَماهِي الفرد ("رُوس" و"كانو" و"هويسي" 1987) مع مجموعة معينة، عربية كانت أم امازيغية أم فرنسية أم إسبانية.

ومن جملة المقوِّمات التي أسهمَت بقدر كبير في تشكيل هوية الناطقين باللسان الإسباني في المغرب الصورةُ التي تكوَّنت عن إسبانيا وراجت في هذا البلد الجار، وهي صورةٌ ارتسمتْ معالمُها وتحددتْ عبر السنين بطرائق وأساليبَ شتى. في هذا السياق، يشكل الماضي الاستعماري الإسباني بلا شك احدَ العوامل الجوهريةَ في المخيال المغربي. بيد أن وسائلَ الإعلام هي التي تضطلع في الوقت الراهن بأهمِّ الأدوار في بناء هذا المخيال. ذلك أن هذه الوسائل هي أداةٌ تحتل منزلةً متميزة على صعيد نشر اللغة والثقافة الإسبانيتين في المجتمع المغربي. ولا غرابة، فحسب دراسة تجريبية انجزت سنة 2005، فإن أكثر من نصف سُكان المغرب إنما يعرفون إسبانيا وثقافتها عن طريق وسائل الإعلام دون سواها.

الجدول 1.5. أهم مصادر المعرفة حول إسبانيا حسب جنس الأشخاص المستجوَبين (بالنسبة المائوية)

	ذكور	إناث	المجموع
عن طريق الماضي الاستعماري	15،6	6،9	12،8
عن طريق المدرسة	10،7	15،5	12،2
عن طريق العمل	5،3	4،3	5،0
عن طريق التجارة	2،0	3،4	2،5
عن طريق وسائل الإعلام	48،0	55،2	50،3
مصادر أخرى	18،4	14،7	17،2

المصدر: أفاية وكرَّاوي 2005، ص 94.

يتضح من الجدول أن أوْجُهَ الاختلاف بخصوص القناة التي يتأتى بها للمغاربة التعرفُ على إسبانيا تظل طفيفة ضئيلة الحجم بين الرجال والنساء، وأن عوامل من قبيل سن هؤلاء المغاربة ومستواهم التعليمي ومكان إقامتهم هي عواملُ لها تأثيرٌ في تحديد طبيعة منابع الاطلاع والمعرفة حول إسبانيا.

إن غالبية من صرَّحوا بمعرفتهم بإسبانيا من خلال الماضي الاستعماري (70 بالمائة) هم أشخاص يتجاوز عمرهم 40 سنة، بينما يلاحظ أن من صرَّحوا بأن المدرسة هي الوسيلة الرئيسة التي اكتَسبتهم هذه المعرفة هم أشخاص يقل عمرهم عن 30 سنة. أما المطلعون على ثقافة هذا البلد بفضل وسائل الإعلام، فنسبة 6،37 بالمائة منهم لها أقلُّ من 30 سنة، ونسبة 9،82 بالمائة لها أقلُّ من 50 سنة (ن.م: ص 95).

وفي ما يتعلق بالمستوى التعليمي، يلاحَظ أن من تابعوا دراساتهم إنما اكتسبوا معرفتهم بإسبانيا من خلال ماضيها الاستعماري وعبرَ وسائل الإعلام. ويتضح أيضا أن من لهم دراسات عليا يتميَّزون في الغالب باستعمالِ هذه القنوات جميعِها، مع رُجحانِ كفة وسائل الإعلام (ن.م.).

أما مكان الإقامة، فلَهُ هو الآخر أثرُه في تحديد طريقة الولوج إلى الثقافة واللغة الإسبانيتين. هكذا ففي مدن كالحسيمة، نجد أن خمسين بالمائة من السكان إنما يعرفون إسبانيا من خلال ماضيها الاستعماري (ن.م.).

وعموما تتسم صورة إسبانيا بكونها صورة إيجابية لدى المغاربة. وهذه النظرةُ هي لدى الرجال أقوى وأمكَنُ منها عند النساء. ومع ذلك فربُع السكان المغاربة لديهم نظرة سلبية تجاه إسبانيا. ثم إن هناك أقليةً تتجاذبُها مشاعرُ مَتناقضة، من إعجاب إزاء إسبانيا – نظرا لما تعرفه من تطور اقتصادي ولما أبانت عنه من قدرة على تنظيم تظاهرات كبرى مثل كأس العالم في كرة القدم– ومِن نبذٍ وإنكارٍ لها، جرَّاءَ مواقفِها من قضايا معينة كقضية الصحراء ومسألة منح التأشيرة وغيرهما (ن.م.).

الجدول 2.5. صورة إسبانيا في أذهان المغاربة (بالنسبة المائوية)

الصورة	الذكور	الإناث	المجموع
إيجابية	71،9	63،1	69،4
إيجابية وسلبية	5،2	5،1	5،1
سلبية	22،9	31،8	25،5

المصدر: أفاية وكرَّاوي 2005، ص 96.

ومما يبعث على الاستغراب أنَّ تشبُّثَ الإسبان باستعمال اللغة الإسبانية لغةَ تواصل دون غيرها هو أحد العوامل التي تسْهم في خلق صورة سلبية عن إسبانيا. وهناك بواعثُ أخرى تتمثل في المعاملة التي يلقاها المغاربة من لدن الجمارك الإسبانية، أو في موقف إسبانيا من القضايا المتصلة بوحدة المغرب الترابية (ن.م: ص 96). إن نمطَ تعاطي بعض وسائل الإعلام أو المجتمع المدني في إسبانيا مع هذه القضايا هو سلوك يُشار إليه في المغرب باعتباره عاملاً آخر يثير نظرة سلبية إزاء إسبانيا حتى في الشمال، حيث طفقَ يلاحَظ نوعٌ من النفور من استعمال اللغة الإسبانية في التواصل اليومي.

بيد أن الصورة الماثلةَ في الأذهان إزاءَ إسبانيا هي صورةٌ أفضلُ في منطقة الحماية الإسبانية السابقة، وبالأخص في مدن كالحسيمة (7،86 بالمائة) وطنجة (2،82 بالمائة)، الأمر الذي يفصح في جانب منه عن الذكرى الطيبة التي خلفها الوجود الإسباني هناك. وتلاحظ هذه النسبة المرتفعة أيضا في المنطقتين الوسطى والشرقية من المغرب، في آسفي خاصة (2،81 بالمائة)، ووجدة (7،79بالمائة)، وبني ملال (5،73بالمائة). وبالعكس، تتسم المدن الواقعة سابقا تحت النفوذ الفرنسي،كالدار البيضاء ومراكش، بكونها تعطي نظرة أشدَّ سلبية عن إسبانيا، حيث تصل النسبة فيهما إلى 8،39 بالمائة و5،37 على حدة (ن.م.: ص 97).

وعلى صعيد الفئات العمرية، يلاحَظ أن الأشخاص المولودين قبل الاستقلال هم الذين لديهم نظرةٌ أكثرُ إيجابية إزاء إسبانيا. وعلى النقيض من ذلك، فإن المغاربة الذين لديهم نظرة سلبية تجاه إسبانيا هم في أغلبهم شباب يتراوح عمرُهم بين 20 و30 سنة (ن.م: 98).

إن الآراء التي يعبِّر عنها المغاربة عموماً حيالَ إسبانيا تبيِّن الثقل الهائل الذي يكتسيه التاريخ المشترك بين البلدين.

إزاء هذا المشهد، يتَّضح أن استعمالَ اللغة الإسبانية وتعلمَها والحفاظ عليها هي أمور تقترن لا محالة في المجتمع المغربي، خاصة في منطقة الحماية الإسبانية السابقة، بدلالات وإيحاءات بالغة. إنها دلالات وإيحاءات لها صلة في كثير من الأحيان بالشعور بالتفرُّد الذي يحس به الإسبان المولودون في المغرب، وهو تفردٌ يغذيه الانتماءُ إلى مجموعة لغوية تشكل أقلية في المغرب، لكن لها امتداداً واسعا وإشعاعا قويا على الصعيد الدولي، بقدر ما يغذيه الانتماءُ إلى بلدٍ لهُ مكانتهُ بين أكثر الدول تطورا في العالم، بلدٍ ينتمي إلى الاتحاد الاوربي بما له من بنيات سياسية واقتصادية لا يُشقُّ غبارُها.

في هذا السياق، يشكل استعمال اللغة الإسبانية في شمال المغرب من قبل الإسبان المولودين بهذا البلد عنواناً ومؤشرا على وضعهم الاعتباري من المنظور الاجتماعي والاقتصادي. فمعظم الإسبان الذين استقروا في المغرب قبل الحماية أو خلالها أو بعدَها لم يكونوا في حاجة إلى المغاربة لكسب قوتهم اليومي (الصياحي 2005ص 98). فمنهم من أنشاوا مشاريعَهم الخاصة في مجال التجارة، وهي مشاريع تولَّى تدبيرَها مواطنوهُم في كثير من الاحيان، ومنهم من عمل مع مؤسسات إسبانية واوروبية. والحال ان اللسان الإسباني هو لغة التواصل الوحيدة المتداولة في هذه الفضاءات جميعها (ن.م : ص99).

إن اللغة الإسبانية، على الرغم من كونها لغةَ أقلية في المغرب، إلا أنها تعدُّ لغةً ذات فائدة جمَّة. بل إنها تتجاوز في ذلك الدارجةَ المغربية، التي غالبا ما ينظَر إليها على انها مجرد سَنَنٍ لغوي محلي ذي وظيفة تواصلية. ثم إن متكلمي الإسبانية المولودين في المغرب يرون في لغتهم صلة وَصل مع شبه الجزيرة الإيبيرية يتسنَّى لهم بها الولوجُ إلى مختلف الخدمات التي تقدمُها المؤسسات الإسبانية. وفضلا عن ذلك، فهي بمثابة صمَّام امان قمين بان يؤمِّنَ لهذه المجموعة الاندماجَ في المجتمع الإسباني متى ازمع افرادها الانتقال إلى إسبانيا (ن.م: ص 100). وبالمثل، فلمَّا كانَ هؤلاء انفسُهم لا ينَسون فروقا كبيرة بين اللسان الإسباني الذي يتكلمونه وبين اللغة المتداولة جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية، فإن في ذلك ما يسهم في توطيد هذه الصلة وتقوية هذه الاواصر. ويلاحَظ من جهة اخرى ان في ندرة الالفاظ العربية المقترَضة التي تحويها إسبانيةُ هؤلاء المتكلمين ما يوحي بان هذه المجموعة اللغوية ليست مندمجةً في الثقافة المغربية، وما يظهرُ تمسُّكَها الشديد بلغتها من حيث هي عنوانُ هويتها القومية. ولا غرابة، فالغالبيةُ العظمى منهم ترى ان وطنَها هو إسبانيا وإن كان بعضُهم لم تطأ قدماه هذَا البلد إلا في إحدى الزياراتَ السياحية (ن.م: ص 101–100).

أما المغاربة الناطقون بالإسبانية، فيتضح أن ميلَهم إلى تعلُّم هذا اللسان والحفاظ عليه مَردُّه أساساً إلى قُربهم من شبه الجزيرة واحتكاكهم المستمر مع الإسبان. وهذا ما يجعل هذه النزعة اشد واقوى في منطقة الحماية السابقة. وينبغي ان نشير علاوة على ذلك إلى كون مدينتي سبتة ومليلية تقعان في الساحل المتوسطي من شمال المغرب. وقد ترتب عن ذلك ان هذه المنطقة ما فتئتْ تستقطب في الآونة الاخيرة، بوصفها بوابة عبور إلى اوروبا، عدداً غير يسير من المغاربة الراغبين في الهجرة إلى إسبانيا. وكان ان ولَّد هذا الامرُ شعوراً لدى الكثيرين من اهل شمال المغرب بان منطقتَهم هي بإسبانيا اشدُّ ارتباطا منها برُبوع اخرى من بلادهم. حقا، فالكثير من هؤلاء حافظوا على ملَكتهم في اللغة الإسبانية بالرغم مما اقدمت عليه الدولة من سياسة التعَريبً غداة الاستقلالَ، كما ان الإلمام بهذه اللغة شائعٌ واسع الانتشار في اوساط الاجيال الصاعدة. ثم إن عدد المفردات الإسبانية الدخيلة في العربية الدارجة المتداولة في هذه الربوع هو عدد يفوق بكثير ما يوجَد من نظائرها في باقي اللهجات المغربية. هكذا يتبين كيف ان الإسبانية تضطلع بدور مؤشِّر الهوية وعنوانها عند هؤلاء المستعملين. ومع ذلك، فَاللغة الإسبانية لا ترتبط لزاما، خلافَ ما نراه في الفرنسية، بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي الذي يحتلُّه متكلموها (ن.م : ص 103).

إن تعلم اللغة الإسبانية من قبل الأجيال الناشئة هو تعلُّم يتم أساساً عن طريق وسائل الإعلام الإسبانية، إذ يسهُل التقاطُ إشارتها في هذه المنطقة (الفيلالي 2007). بيد أن إضافة اللسان الإسباني إلى رصيد هذه الناشئة اللغوي ما كانت لتعني تنكُّرَها لهويتها المغربية. إنما مدار الأمر هنا بالاحرى أن هذه الاجيال تُفصح عن نوع من الاهتمام والانجذاب تستشعرهما إزاء ما تلمسه من مستوى الرخاء الاجتماعي الاقتصادي الذي يُستشف عبرَ وسائل الإعلام الإسبانية (الصياحي 2005: ص 104).

الجزء الثاني:
تعليم الإسبانية في المغرب

الفصل السادس. النظام التعليمي المغربي

1.6. مدخل

يتمثل الإطارُ المرجعي لسياسة إصلاح التعليم في المغرب في الميثاق الوطني للتربية والتكوين (1999)[1]. تنص هذه الوثيقة على أن نظام المملكة المغربية التعليمي يقوم على مبادئ العقيدة الإسلامية وقيَمها. والهدف الجوهري الذي يروم هذا النظام تحقيقه هو تكوين المواطن الصالح الذي يشكل نموذجا يحتذى في الاستقامة والاعتدال والتسامح والانفتاح على العلم والمعرفة، والذي يتحلى بِحسِّ المبادرة والإبداع وروح المقاولة (اليونسكو 2012: ص 2).

بهذا المعنى، تقوم التربية بتنمية جملة من القيم كالمواطنة، التي يتأتى بها لجميع المغاربة أن يشاركوا مشاركةً حقيقية في شؤون بلادهم العامة والخاصة، مع معرفة كل فرد ما لَه وما عليه من حقوق وواجبات (ن.م).

وسعيا إلى بلوغ هذه الغاية، يتوخى النظام التعليمي المغربي أن يؤمِّن للمواطنين كافَّةً معرفةَ اللغة العربية –باعتبارها اللغةَ الرسمية للبلاد–والإلمام بها شفهيا وكتابيا، واستكمال هذه المعرفة بالتمكُّن من اللغات الأجنبية الأكثر انتشارا في العالم. ومن ثمَّ فلما كانت الإسبانية تعدُّ ثانيَ لغة في العالم، بعد اللغة الصينية، من حيث عدد الناطقين الأصليين بها، وأيضا ثاني لغة على صعيد التواصل الدولي بعد الإنجليزية (حسب معهد سرفانطيس 2013)، فإنه يفترض فيها أن تندرج ضمن النظام التعليمي المغربي.

إن الهدف الأساس الذي تسعى إلى تحقيقه المدرسة الوطنية الجديدة بالمغرب، وهي مدرسة ما فتئت تعيش سيرورة الإصلاح المتواصل، هو تحويل التعليم التقليدي إلى تعليم نَشط، وذلك باعتماد مقاربة بيداغوجية قوامُها الأسس الآتية: التعلم النشط لا التلقي السالب، والتعاون والنقاش ومظافرة الجهود عوض الاَقتصار على العمل الفردي، ثم إرساء مدرسة منفتحة على محيطها عبر إدماج المجتمع في فضائها وكذا عبر انفتاح المؤسسة التعليمية على المجتمع بما يعود بالنفع على البلاد. في هذا السياق، يشكل مد الجسور وإرساء روابط متينة بين الفضاء التعليمي والمحيط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي إحدى أُولى الأولويات لدى السلطات المغربية (ن.م، ص 3).

لقد تم إقرار التعليم الإجباري في المغرب بموجب الظهير رقم 071–63–1 الصادر في 13 نونبر 1963 والذي يقضي بإجبارية التعليم بالنسبة إلى جميع الاطفال المغاربة ذكورا وإناثا، وذلك من سن السابعة إلى الثالث عشرة.

وقد أقر إصلاح 1985 إجبارية التعليم الأساسي على مدى تسع سنوات. وفي عام 1998، صدر قرار وزاري ينص على تخفيض سنِّ التمدرس إلى ست سنوات.

وبالمثل، جاء القانون رقم 00–04 بتاريخ 25 يونيه 2000 ليجعل من التعليم أحد الحقوق والواجبات التي تمسّ جميع الأطفال المغاربة ابتداء من سن السادسة. والتزمت الدولة ايضا بتوفير التعليم المجاني لجميع هؤلاء في أقرب مؤسسة تعليمية من مقرِّ سكناهم. وأصبح الآباء ملزمين من جانبهم بأن يجعلوا ابناءهم يتابعون هذا السلك التكويني الاساسي إلى غاية سن الخامسة عشرة (ن.م: ص 4).

غير أن تقارير وزارة التربية المغربية، التي تكلفت بإعدادها اللجنة الخاصة للتربية والتكوين، وكذا التقارير الدولية الصادرة عن البنك الدولي ومنظمة اليونسكو، انتهت إلى خُلاصات لا تبعث على الارتياح إلا قليلا، خلاصات حول مدى تحقيق الاهداف المتوخاة من إصلاح النظام التعليمي، وأوصت بضرورة الاشتغال بفعالية أكبر من أجل تطوير التربية بالمغرب.

1– 28–انظر وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي 2008.

ومهما يكنْ، فقد تحقق بعض التقدم في معظم المجالات ذات الأولوية، كتعميم التعليم الإجباري سواء في المدن أو في القرى، وتمكين الفتيات، بمساواة مع الذكور، من الولوج إلى جميع المراحل التعليمية، ومحو الأمية بين صفوف السكان.

وبمقتضى ذلك، قامت الوزارة بإعداد «المخطط الاستعجالي للتربية بالمغرب 2012–2009»[2] لإعطاء دفعة جديدة للعمل المنصب على أهداف الميثاق الأساسية.

إن هذا المخطَّطَ يرومُ، من خلال اعتماد تدابيرَ وإجراءات ملموسة وقريبة في الزمن، تحقيق الأهداف الكبرى الآتية: تحقيق التمدرس بكيفية شاملة، والرفع من جودة التعليم، وتحسين التمكّن من اللغات الأجنبية وإتقان معالجة المسائل الأفقية ذات الصلة بالتخطيط والتوجيه والتقييم وغير ذلك.

ضمن هذا المشهد، تحاول الإسبانية أن تجد لها موطئَ قدمٍ في منظومة التعليم المدرسي بالمغرب منذ أن أدرِجت هذه اللغة في التعليم الإجباري خلال السنة الدراسية 2006–2005.

وتجدر الإشارة إلى أنه منذ عام 2011، صارت الهيئة المكلفة بتطبيق السياسة الحكومية في المجال التربوي المغربي هي وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي. أما من قبلُ، فقد كانت الإدارة المركزية المشرفة على المنظومة التربوية تابعةً لوزارة التربية الوطنية، المكلفة بالتعليم الثانوي والتقني، وأيضا لوزارة التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي.

ومنذ عام 2012، توجد المنظومة التربوية المغربية تحت وصاية وزارة التربية الوطنية ووزارة الشغل والتكوين المهني ووزارة التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي. وإلى جانبِ هذه الوزارات، هناك هيئاتٌ أخرى تُشْرف على إدارة المنظومة التربوية المغربية وتتتبَّع شُؤونها، وهي كالآتي :

- مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل؛
- المجلس الأعلى للتربية، ويضم الهيئة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين؛
- اللجنة الوطنية لتنسيق التعليم العالي؛
- مجلس تنسيق مؤسسات التعليم العالي غير التابعة للجامعات؛
- لجنة تنسيق التعليم العالي الخاص؛
- وكالة محو الأمية، التي وُضع مشروعُ إنشائها عام 2011؛
- الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين والمندوبيات الإقليمية التابعة لها؛
- مجالس المؤسسات التعليمية.

2- معطيات 2008 (اليونسكو 2013).

ومن جملة الآثار المترتِّبة عن السياسة الجديدة، سياسة اللامركزية التي يراد إرساؤها في البلاد، أن الأكاديميات الجهوية الست عشرة التي أنشئت بموجب القانون رقم 00–07 هي مؤسسات لها صلاحيات واسعة واستقلالية مالية (اليونسكو 2012: ص 7). تتوزَّع هذه الأكاديميات على كل جهة من الجهات الإدارية، ويضطلع بتسييرها مديرٌ يتم تعيينه بمقترَح من الوزير، ولها مجلسٌ يشرف على تدبير شؤونها. وتضم الأكاديميات بدورها نيابات إقليمية للتربية تتطابق مع نمط التقسيم الإداري في الأقاليم والعمالات. إن الأكاديميات تضطلع، انسجاماً مع ما لها من صلاحيات، وفي إطار الأهداف الوطنية المسطَّرة في المجال التربوي، بالسهر على تطبيق السياسة التعليمية والتكوينية، وتشرف بوجه عام على تدبير الشؤون التربوية ذات الصلة بالمجال الإداري والبيداغوجي.

وعلى رأس النيابات، يوجد نائب إقليميّ يشتغل تحت إمرته مديرُو المؤسسات – من مدارس ابتدائية وإعداديات وثانويات، ومراكز الإعلام والتوجيه–، وتسيِّر هذه المؤسسات مجالسُ تعليمية يتراسها المديرون. وتحت سلطة النائب توجَد أيضا هيئة التفتيش التي تكتسي طابعا بيداغوجيا. فهي تتولى تدَبير الشؤون الاساسية المتصلة بالتحسين النوعي للمؤسسات التعليمية: من تقييم مردودية المدرسين، وتتبع تنفيذ المقررات التعليمية، وتجديد البرامج والكتب المدرسية الخاصة بكل مستوى على حدة (جامعة فالنسيا ووزارة التربية 2011: ص 297).

إن المغرب يبذُل جهودا ضخمة من الناحية المالية في سعيه إلى تحقيق أهداف الإصلاح التربوي المنصوص عليها في الميثاق والمخطَّط الاستعجالي. حقا، فمن إجمالي الإنفاق العام الذي تقوم به الحكومة المغربية، تشكل حصة التربية 25،7 بالمائة [3]. بعبارة أخرى، يمثل الإنفاق العام على التربية نسبة 5،4 بالمائة من الناتج الداخلي الخام للمغرب4، ويشكل التعليم الثانوي السلك الذي يستحوِذ على أكبر الموارد المالية.

الرسم البياني 1.6 توزيع النفقات على التربية حسب الأسلاك التعليمية. 2010

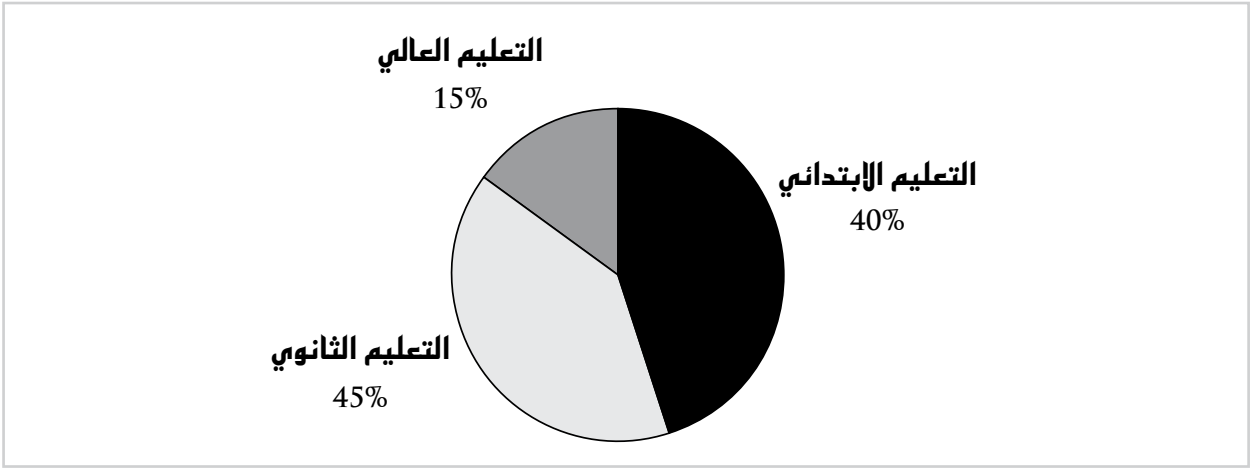

المصدر: اليونسكو 2013.

لا شك في أن الاستثمار الهائل الذي أقدم عليه المغرب في الحقل التربوي قد أتى أُكلَه في السنين الأخيرة. لكن الطريق ما يزال طويلا أمام بعض القطاعات كتطوير مَحو الامية أو الرفع من مؤشِّر نمو .IDE التربية

3– معطيات 2009 (اليونسكو 2013). تتفاوت هذه المعطيات بقدر ملموس بحسب المصدر المستند إليه. فحسب البنك الدولي، بلغت نسبة الناتج الداخلي الخام المخصصة للتربية 10،3 بالمائة عام 2011 (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2013).

4– إن المعدل الصافي للتمدرس في الابتدائي يشمل الأطفال الذين هم في سن الولوج إلى هذه المرحلة التعليمية والذين هم مسجلون بإحدى المدارس الابتدائية أو بإحدى المؤسسات الثانوية.

الجدول 1.6 مؤشِّرات تربوية

الإنفاق على التربية (نسبته من الناتج الداخلي الخام)	5،4%
حصة المدرس/التلميذ	26
نسبة الانتقال من الابتدائي إلى الثانوي	82%
نسبة المكوث في القسم الابتدائي الخامس	0،828
نسبة المكررين في الابتدائي	11%
نسبة محو الأمية لدى الراشدين (+15)	56،1%
نسبة محو الأمية لدى الشباب (15-24)	79،5%
نسبة محو الأمية لدى الإناث	43،9%
المعدل الصافي للتمدرس في الابتدائي 4	0،899
مؤشر نمو التربية لدى الجميع	0،772
التصنيف ضمن مؤشر نمو التربية	106 (من بين 127 دولة)

المصدر: اليونسكو 2013 واليونسكو 2012ب، ص 297.

2.6 مراحل النظام التعليمي [5]

إن بنية النظام التعليمي في المستويات غير الجامعية تتَّخِذ الشكلَ الآتي:

الجدول 2.6 النظام التعليمي بالمغرب

المصدر: جامعة فالنسيا ووزارة التربية الوطنية 2011، ص 297.

1.2.6 التعليم الأولي

التعليم الأولي هو تعليم موجَّهٌ للأطفال المتراوحة أعمارُهم بين السنة الرابعة والسنة الخامسة. ومع أن هذا التعليم منصوص عليه في الميثاق، إلا انه ليس إجباريا ولا مجانيا في المغرب. لقد جرت العادة أن يلتحق هؤلاء الأطفال بالمدارس الخاصة، كالكتاتيب، حيث يتلقون تعليما ذا طابع تقليدي، أو دُور الحضانة حيث يتسم التعليم بطابعه العصري. ويُرتقب أن يتحقق تعميم التعليم الأولي في أفق 2015، بيد أن ذلك سيستوجب إعدادَ ما يكفي من الفضاءات والبرامج والعاملين المؤهلين.

5- إن نسبة التسجيل في التعليم الابتدائي هي نسبة تفوق المائة بالمائة لأن هناك تلاميذ مسجيلن لهم سن أكبر أو أصغر من السن النظري المطابق لهذه المرحلة التعليمية.

2.2.6 التعليم الابتدائي

هذا التعليم يشكل بداية التعليم الإجباري ويمتد على مدى ست سنوات، من السادسة إلى الحادية عشرة من العمر. تتألف هذه المرحلة من سلكين اثنين يستغرق الأول منهما سنتين، ويستغرق الثاني أربعَ سنوات. ويشكل الحصول على شهادة الدروس الابتدائية نهاية مرحلةَ التعليم الابتدائي.

وتتمثل الأهداف الأساسُ من هذا التعليم في اكتساب وتنمية اللغة العربية ولغة أجنبية أولى، وإدراج التكنولوجيات الجديدة، والاستئناس بلغة أجنبية ثانية على الصعيد الشفهي. غير أن هذه المهارة الأخيرة ما تزال تحتاج إلى الكثير من العمل للتمكن من تطويرها.

3.2.6 التعليم الثانوي والباكلوريا

ينتظم التعليم الثانوي في سلكين مستقلِيْن هما السلك الإعدادي، وهو إجباري، والسلك الثانوي التأهيلي (ما بعد الإجباري).

يستغرق التعليم الإعدادي ثلاث سنوات تمتد بين السنة الثانية عشرة والخامس عشرة من عُمْر التلميذ. ويلتحق بهذا السلك التلاميذُ الحاصلون على شهادة الدروس الابتدائية، والراغبون في متابعة الدراسة للالتحاق فيما بعد بعالم الشغل، أو لاختيار أحد التكوينات لاحقاً. وعند الانتهاء من هذه المرحلة، يمكن الحصول على شهادة التعليم الإعدادي التي تسمَح بولوج السلك التالي.

أما التعليم الثانوي التأهيلي، فيشتمل على ثلاثة مسالكَ تكوينية – المسلك العام والتقني والمهني– تقترن بنوعين من الباكلوريا: العامة والتكنولوجية المِهنية، نوعين يحوي كلٌّ منهما تخصصاتٍ مختلفةً وتكوينا مهنيا موجَزا.

أ) إن سلك التأهيل المهني هو سلك يمكن أن يلتحق به كل الراغبين فيه من التلاميذ، سواء مَن كان حاصلا على شهادة التعليم الإعدادي ومن لم يكن. وتستغرق الدراسة فيه مدة عام أو عامين حسب التخصصات. وهو تعليم يتم فيه متى أمكنَ إنجازُ تداريبَ في المحيط المهني. ويتم الاعتراف باستيفاء مدة التكوين وإنهاء هذا السلك بواسطة شهادة التأهيل المهني.

ب) أما الجذع المشترك، فلا يلج إليه إلا التلاميذُ الحاصلون على شهادة التعليم الإعدادي. يتعلق الأمر أساساً بسنة دراسية انتقالية تقع بين مرحلتي الإعدادي والتأهيلي. وتشتمل المقررات على جملة من المجزوءات منها ما هو مشترك وما هو اختياري، وذلك بحسب التخصص الذي يرتضيه التلميذ، ليحظى بعد ذلك بالتوجيه الملائم.

ج) أما سلك الباكلوريا، فيمتدُّ على سنتين ويشتمل على مسالكَ شتى :

1– الباكلوريا العامة التي تهيئ التلاميذ للدراسات العليا. هنا يحق للتلميذ أن يختار بين شعب مختلفة: من آداب وعلوم إنسانية، وفنون تطبيقية، وعلوم اقتصادية وتدبير، وعلوم تجريبية، وعلوم رياضية، وعلوم وتكنولوجيات كهربائية، وعلوم وتكنولوجيات ميكانيكية.

ويتم الانتهاء من هذا السلك بالحصول على شهادة الباكلوريا للتعليم العام، وهي شهادة تتيح الالتحاق بالتعليم العالي أو بالأقسام التحضيرية لولوج الجامعة.

2– أما الباكلوريا الخاصة بالتعليم التكنولوجي والمهني، فهي مخصَّصة للتلاميذ الذين تابعوا الدراسة بالجذع المشترك أو الحاصلين على شهادة التأهيل المهني. تستغرق الدراسة هنا سنتين ويجري الاعتراف بها بواسطة شهادة الباكلوريا للتعليم التكنولوجي والمهني، التي يتسنى بها الالتحاق بمختلف مؤسسات التعليم التقني العالي أو الولوج مباشرة إلى عالم الشغل.

4.2.6. التعليم الأصيل

التعليم الأصيل هو من آثار التعليم التقليدي. إنه تعليم ما يزال قائما في بعض المؤسسات، والهدف الأساس المتوخى منه هو دراسة اللغة العربية والمباحث الإسلامية وكذا العلوم الشرعية والتاريخ والفلسفة. وتشتمل الباكلوريا على شعبتين اثنتين هما شعبة العلوم الشرعية والادب، وشعبة العلوم. ويمكن متابعة الدراسات الاصيلة في مؤسسات التعليم العالي المختصة.

الجدول 3.6. عدد التلاميذ في كل سلك من الأسلاك التعليمية. السنة الدراسية 2011/2010

التعليم العمومي والخاص (الابتدائي، والإعدادي، والثانوي)	6.379.689
مجموع التعليم الخاص (الابتدائي، والإعدادي، والثانوي)	641.344
التعليم الأولي	740.196
التعليم الابتدائي العمومي	3.530.458
التعليم الابتدائي الخاص	470.855
التعليم الإعدادي العمومي	1.360.374
التعليم الإعدادي الخاص	96.475
التعليم الثانوي التأهيلي العمومي	847.513
التعليم الثانوي التأهيلي الخاص	74.014

المصدر : وزارة التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، 2011، ص 6.

5.2.6. التعليم الجامعي

إن نظام التعليم المغربي هو نظام يتسم بالتمييز بين شعبتين اثنتيْن هما الدراسات العامة، التي توفِّرها مختلفُ الكليات، والدراسات الخاصة، وهي دراساتٌ تتولى أمرها المدارس العليا (أو المدارس الكبرى) والمعاهد المتخصصة. ويجوز الالتحاق بهَذه الدراسات بصنفيها بعد نيل شهادة الباكلوريا. غير أن الولوجَ إلى المدارس العليا وإلى بعض المعاهد المتخصصة يستلزمُ، فضلا عن امتلاك نقط حسنة في الباكلوريا، تلقِّيَ تكوينٍ خاص لمدة سنتين في الأقسام التحضيرية، واجتيازَ مباراة الالتحاق بهذه المؤسسات.

وابتداء من السنة الجامعية 2004/2003، وبموجب مقتضيات الميثاق الوطني للتربية والتكوين، صار التعليم الجامعي متوافقا مع النظام العام الأوربي للشهادات، فأصبحت الجامعة تمنح شهادات الإجازة والماستر والدكتوراه/ LMD. هكذا عرفت تلك السنة الشروعَ في العمل بنظام بيداغوجي يقوم على عدد من المجزوءات في كل أسدس. وقد تخرَّج أول فوج من حاملي الإجازة الجديدة سنة 2007/2006، وهي السنة التي انطلق فيها العملُ بنظام الماستر، ليتخرج أول فوج من حامليه سنة 2008، وهي السنة التي تمَّ فيها الشروعُ أيضا في إصلاح نظام دراسات الدكتوراه.

تشكِّل الإجازة السلكَ الجامعيَّ الأول، وتستغرق الدراسة فيها ستةَ أسدسات يجوز بعدها لحامل هذه الشهادة الولوجُ إلى عالم الشغل أو الالتحاق بدراسات الماستر. ولا بد من الحصول على دبلوم التعليم الجامعي المهني أو على دبلوم التعليم الجامعي الاساسي للتمكن من نيل الإجازة المعنية.

أما الماستر فيشكل السلك الجامعي الثاني، وهو يعدُّ مرحلة يتأتى بها من التأهيل والتكوين ومن تعميق المعارف النظرية ما يكفي للخوض في البحث وارتياد آفاقه. ولنيل هذه الشهادة يتعين اجتياز أربعة أسدسات من الدراسة بعد الإجازة.

أما الثالث والأخير من بين الأسلاك الجامعية، فهو سلك الدكتوراه. ولنيل هذه الشهادة يتعين مناقشة أطروحة يستغرق تحضيرُها ثلاث سنين أو أربع من العمل حسب مقتضيات القانون. وهناك مؤسسات يتاح تحضير هذا السلك فيها.

الجدول 4.6 عدد الطلبة والأساتذة والمؤسسات في كل تخصص من تخصصات التعليم العالي. السنة الجامعية 2009/2010

التخصص	الطلبة	الأساتذة	المؤسسات
التعليم الأصيل	5.237	124	4
العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية	113.894	1.367	14
الآداب والعلوم الإنسانية	90.042	2.133	14
العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية	54.908	3.161	11
العلوم والتقنيات	11.086	1.041	7
الطب والصيدلة	11.005	1.335	5
طب الأسنان	1.067	90	2
الهندسة	8.826	493	15
التجارة والتدبير	4.830	164	9
التكنولوجيا	5.993	391	9
علوم التربية	796	58	1
الترجمة	321	15	1
تخصصات متعددة	–	–	11
المجموع	293.642	10.372	103

المصدر: وزارة التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، 2011 ب، ص 12 و 38.

3.6 أنواع المؤسسات ومسألة التمويل

تشتمل شبكة المؤسسات التربوية على قطاعين هما العمومي والخاص. فالتعليم العمومي، الذي تقوم الدولة بتمويله، يستقبل 94 بالمائة من التلاميذ المَدْرَسين. ومع ذلك، فالطاقة الاستيعابية للمؤسسات العمومية الموجودة في العالم القروي تبقى محدودة قياساً إلى طاقة نظيراتها الموجودة في المدن. أما الستة بالمائة المتبقية من الناشئة، فتتابع دراستها بالمؤسسات الخاصة،التي تندرج ضمنها المصالح الثقافية الأجنبية، وهي في معظمها فرنسية أو إسبانية أو أمريكية.

وفي ما يتصل بالمستويات التعليمية، فالابتدائي يدرَّس في المدارس، والإعدادي (الإجباري) في الثانويات الإعدادية، والثانوي ما بعد (الإجباري)، أي التأهيلي، في الثانويات التأهيلية، فيما تتابع الدراسات العليا في المؤسسات الجامعية، من كليات ومدارس عليا ومعاهد متخصصة.

إن هذه المؤسسات تنقسم إلى فئتين تختلفان بحسب صيغة الولوج إليها، فهناك ولوج مفتوح وولوج انتقائي. وثمة حالة خاصة هي جامعة القرويين بفاس، التي تشتغل وكأنها مؤسسةٌ خاصة رغم صبغتها العمومية.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنه تم إنشاء شبكة قوامها 192 مؤسسة خاصة للتعليم العالي في 18 مدينة من مدن المغرب (وزارة التعليم العالي 2011 ب :ص 69). وفي شهر شتنبر من عام 2009، دُشِّنت في الدار البيضاء أول جامعة خاصة بالمعنى الحقيقي، وأعلنتْ مؤسستان خاصتان أخرَيان عن فتح أبوابهما، إحداهما بالمدينة نفسها، والأخرى بالرباط. ويتمثل الهدف من هذه المؤسسات جميعها في تقديم تعليم ذي جودة بالفرنسية والإنجليزية.

4.6 فئة المتعلمين

إن نسبة التلاميذ المسجلين في التعليم الأولي في المغرب لا تتجاوز 58 بالمائة من مجموع التلاميذ المستوفين لسن الالتحاق بهذا السلك. كما أنه تعليمٌ يعرف توزيعا غير متكافئ بين المجال الحضري والقروي وشبه الحضري. ويتضح أنه خلال السنة الدراسية 2010– 2011 بلغ عدد الأطفال الملتحِقين بهذه المؤسسات 740.196.

والملاحظ أن التعليم الابتدائي هو الذي يسجِّل أعلى مستويات التمدرس، لكنه لا يصل إلى مجموع الساكنة على الرغم من إجباريَّته. فحسب إحصائيات وزارة التربية الوطنية، ارتفعَ عددُ المسجَّلين خلال السنة الدراسية 2010–2011 إلى 4.001.313، وذلك فيَ كِلا القطاعين، العمومي والخاص.

أما في السلك الثانوي، فقد كان عدد المسجلين 1.456.849 تلميذا في المرحلة الإعدادية، و921.527 في المرحلة التأهيلية. وبلغ عدد المتمدرسين في جميع الأسلاك 6.379.689 تلميذا.

الرسم البياني 2.6. نسبة التسجيل في كل سلك من الأسلاك التعليمية. 2010 [6].

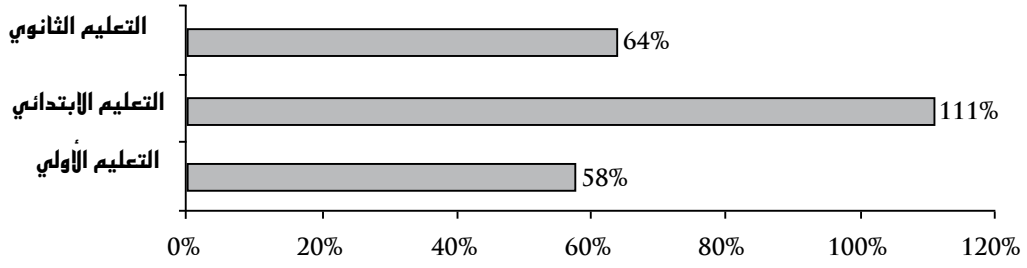

المصدر: اليونسكو 2013.

6- تم استقاء معطيات هذه الخاتمة من جامعة فالنسيا ووزارة التربية 2011. ص 302.

5.6. تعليم اللغات الأجنبية في المنظومة التربوية [7].

إن التنوُّعَ الذي يسمُ المشهدَ اللغوي في المغرب يجعل تدريس اللغات في منظومته التعليمية أمرا معقدا على نحو مخصوص. ففي المدرسة يتعلم التلاَميذ اللغة العربية باعتبارها اللغة الرسمية للبلاد. وتتوزَّعُ حصص تدريسها على إحدى عشرة ساعة في الأسبوع خلال السنتين الأولَيَيْن من الابتدائي، وستِّ ساعات خلال السنوات الدراسية الاربعَ التالية.

وقد شُرع منذ بدء السنة الدراسية 2004-2003 في تدريس الأمازيغية في الصفوف الدراسية الموجودة بالمناطق الناطقِ أهلُها بهذه اللغة.

أما اللغة الفرنسية، فيبدأ تدريسها في القسم الثالث الابتدائي، وتشتمل حصصُها على ثمان ساعات أسبوعية في كل من السنوات الأربع الأخيرة من الابتدائي.

وفي السنة الأخيرة من التعليم الثانوي الإعدادي يتم إدخال لغة أجنبية ثانية، وتخصَّص لتلقينها ساعتان في الأسبوع بموجب الإصلاح وما يقضي به من تعميم تدريس هذه اللغة في هذا السلك بأكمَله. وللتلاميذ أن يختاروا بين الإنجليزية والإسبانية والألمانية والإيطالية. غير أنه في معظم المؤسسات التعليمية لا يلقَّنُ من هذه اللغات إلا الإنجليزية، التي يبدو أنها خَيارُ الاسرِ المفضَّل، الامر الذي يصير معه حضور اللغات الأخرى حضورا باهتا.

ويتواصل تدريس اللغتين العربية والفرنسية في جميع مستويات هذه المرحلة، حيث تستغرق حِصص كلتَيهِما ستَّ ساعات أسبوعية كل سنة.

وعند الالتحاق بالجذع المشترك، يمكن للتلميذ أن يتابع دراسة اللغة الأجنبية التي كان يدرُسها في السنة السابقة، شرط أن يتوفر تدريسها في المؤسسة التي اختارها، وإلا فسيجد نفسه مضطرا إلى دراسة لغة جديدة من بين اللغات التي توفِّر المؤسسة تعليمها. وتخصص في الجذع المشترك ثلاث ساعات أسبوعية لتلقين هذه اللغة الثانية.

وبعد هذه المرحلة يتغير عدد الساعات المخصَّصة للغة الأجنبية الثانية ويتفاوت بحسب شعبة الباكلوريا التي ينتمي إليها التلميذ. هكذا تخصَّص خمس ساعات أسبوعية كل سنة لتلاميذ الشعبة الأدبية، وأربع ساعات أسبوعية لتلاميذ العلوم الإنسانية، وثلاث ساعات لشعبة العلوم. كما أن الامتحانات الخاصة باللغة تختلف باختلاف شعب الباكلوريا.

وتجدر الإشارة إلى أنه في التعليم الثانوي (ما بعد الإجباري)، بلغت نسبة المؤسسات التي يتوفر فيها تدريس اللغة الإسبانية 45 بالمائة من مجموع المؤسسات. فالإسبانية تأتي في المرتبة الثالثة من حيث عدد التلاميذ المسجلين بها، لكنها تبقى وراء الإنجليزية بمسافة كبيرة. بيد أن هذا الوضع بدأ يعرف بعضَ التغير لفائدة الإسبانية في مجموع مناطق المغرب باستثناء منطقة الشمال الغربي، حيث ما يزال لها حضورٌ لافت.

أما في التكوين المهني، فإنه يتم تدريس لغة أجنبية ثانية إلى جانب الفرنسية، ويرتهن اختيار هذه اللغة إلى حدٍّ بعيد بطبيعة التخصص الذي اختاره التلميذ. وبخصوص اللغة الإسبانية، يلاحظ أن لها حضورا مُهما في شعبة السياحة والفندقة.

أما في التعليم الجامعي، فإن كليات الآداب تتيح دراسة مختلف الألسن الأجنبية في شعب اللغات والآداب، من إسبانية وإنجليزية وغيرهما. وفي الإجازات الأخرى، تُلقَّن هذه اللغات، ومن بينها الإسبانية، بوصفها مواد اختيارية. الواقع أن الإنجليزية هي اللغة التي يُشترَط امتلاكها للتسجيل في مؤسسات الدراسات العليا التقنية والعلمية، وإن كان هذا الشرط ليس منصوصا عليه قانونيا. وهذا ما يفسِّر ما يلاحظ في الباكلوريا من كون الإسبانية يختارها تلاميذ الشعبة الأدبية أكثر مما يختارها تلاميذ الشعب العلمية.

وقد أحدثت الوزارة لجنةً وطنية للغات تروم تنسيق الشؤون المتعلقة بتلقين مختلف اللغات في المنظومة التربوية.

---

7 – أغلب المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة من جامعة فالنسيا ووزارة التربية الوطنية 2011، ص 306-305. ولتيسير قراءتها، ذكرنا فقط المراجع التي تتضمن معلومات مكملة لما يورده المصدر المذكور.

الفصل السابع . تدريس اللغة الإسبانية بالمغرب

1.7 تدريس اللغة الإسبانية بالمغرب كلغة أجنبية:

1.1.7 التعليم الأولي والابتدائي :

في هذه المرحلة، لا يتم تدريس أي لغة أجنبية ثانية في النظام التعليمي المغربي لحد الآن.

2.1.7 التعليم الثانوي الإعدادي والثانوي التأهيلي :

لقد عرف تعليم اللغة الإسبانية في السلك الثانوي الإعدادي تزايدا ملحوظا من حيث عدد التلاميذ (18642)، لكن عدد المؤسسات التي يدرَّس بها اللسان الإسباني لا يزال ضئيلا (138). كما أن إمكان متابعة الدراسة في مركز يتوفر فيه تدريس الإسبانية يبقى أمرا غير مضمون.

ويتعين على أساتذة هذا السلك أن يكونوا حائزين على شهادة الدراسات الجامعية المهنية DEUP أو على الإجازة في الإسبانية. وبعد اجتيازهم مباراة الدخول، عليهم إتمام سنة من التكوين تنتهي بامتحان يؤهلهم ليكونوا "أساتذة متدربين". وتتواصل هذه الفترة التكوينية سنة أخرى يحصُل الأستاذ في متمِّها على شهادة الكفاءة التربوية للتعليم الثانوي. وتتعاون إسبانيا مع وزارة التربية الوطنية المغربية لتكوين اساتذة اللغة الإسبانية بالمركز التربوي الجهوي (CPR) بطنجة، الذي يشكل المركز الوحيد المتخصص في تكوين أساتذة اللغة الإسبانية للتعليم الثانوي الإعدادي بالمغرب.

الجدول 1.7. اللغة الإسبانية كلغة أجنبية في التعليم الثانوي المغربي. السنة الدراسية 2010/2011.

الأكاديميات	الثانوي التأهيلي			الثانوي الإعدادي		
	المؤسسات	الأساتذة	التلاميذ	المؤسسات	الأساتذة	التلاميذ
سوس ماسة درعة أكادير	26	42	2569	19	18	2462
العيون بوجدور الساقية الحمراء	6	9	1386	4	4	1056
واد الذهب الكويرة الداخلة	4	4	157	–	–	–
كلميم السمارة	4	4	–	1	1	–
تادلة أزيلال بني ملال	14	20	1557	5	5	733
مراكش تانسيفت الحوز	24	49	2908	–	–	87
مجموع جهة الجنوب	78	128	8587	29	28	4338
دكالة عبدة	4	11	288	5	3	605
الشاوية ورديغة سطات	5	7	1030	7	3	615
الدار البيضاء الكبرى	41	76	8691	25	25	2859
الرباط سلا زمور زعير	22	47	2701	3	4	480

الغرب الشراردة بني حسان القنيطرة	12	26	2159	1	1	–
مجموع جهة الجنوب	84	167	14569	41	36	4559
طنجة تطوان	38	101	11848	31	31	4545
الحسيمة تازة تاونات	17	25	1136	13	14	1337
الجهة الشرقية	27	53	3385	6	5	399
مجموع جهة الشمال	82	179	16369	50	50	6281
فاس بولمان	36	51	5901	9	8	1815
مكناس تافيلالت	28	60	6425	9	9	1649
مجموع جهة الوسط الشرقي	64	111	12326	18	17	3464
المجموع	308	585	52151	138	131	18642

المصدر: عمل شخصي تم إنجازه استنادا إلى معطيات مستقاة من التقارير المقدمة من طرف أساتذة ومفتشي اللغة الإسبانية بوزارة التربية الوطنية المغربية. بيانات لم تُنشَر.

لقد أُدرِجَ تدريس اللغة الإسبانية في التعليم الثانوي المغربي منذ الستينيات، لكن حضورها ظل متفاوتاً غيرَ متكافئ على مرِّ السنين. والحالُ أنه حتى في أحسن الفترات، لم تستطع نسبة متعلمي هذه اللغة أن تتجاوز 9 بالمائة من مجموع التلاميذ. ويلاحَظ على كل حال أن تلاميذ الثانوي الإعدادي يميلون حاليا إلى اختيار اللغة الإنجليزية في معظمهم، ويستمرون كذلك لدى مرورهم إلى المرحلة التالية، وهي الجذع المشترك. وقد أثّر هذا في موقع اللغة الإسبانية في النظام التعليمي المغربي، وفي وضعيتها التي لم تستقرَّ بعد ولم يستتبَّ أمرُها. ورغم ما يلاحَظ من اهتمام باللسان الاسباني، إلا أن مساحة انتشاره لا تعدو في ظاهر الأمر كونَها مساحة لغة ثالثة تأتي بعد الفرنسية والإنجليزية. بيد أنه بالنَّظر إلى ما تتسِم به وضعيةُ هذا البلد اللغوية من تعقيد، فإن هذا الخيار لا يخلو من صعوبات وعقبات.

الجدول 2.7: متعلِّمو اللغة الإسبانية في التعليم الثانوي المغربي السنة 2011–2010:

	المؤسسات	الأساتذة	التلاميذ
الثانوي التأهيلي	308	585	52151
الثانوي الإعدادي	138	131	18642
المجموع	446	716	70793

المصدر: عمل شخصي تم إنجازه استنادا إلى معلومات مستقاة من التقارير المقدمة من طرف أساتذة ومفتشي اللغة الإسبانية بوزارة التربية الوطنية المغربية. بيانات لم تُنشَر.

ومهما يكن من أمر، فإن مقارنة البيانات الخاصة بالسنوات الدراسية 2008/2009 و2010/2011 تظهر ارتفاعا في عدد تلاميذ اللغة الإسبانية، وكذلك في عدد الأساتذة والمؤسسات التي توفِّر تعليم هذه اللغة.

الجدول 3.7: تنامي حضور اللغة الإسبانية في التعليم الثانوي المغربي:

	المؤسسات	الأساتذة	التلاميذ
السنة الدراسية 2010–2011	446	716	70793
السنة الدراسية 2008–2009	323	562	60849

المصدر: عمل شخصي تم إنجازه استنادا إلى معطيات مستقاة من التقارِير المقدمة من طرف أساتذة ومفتشي اللغة الإسبانية بوزارة التربية الوطنية المغربية (بيانات لم تُنشر) وكذا من جامعة فالنسيا ووزارة التربية الوطنية 2011، ص 304.

ويتعين أن يكون أساتذة التعليم الثانوي التأهيلي حاصلين على الإجازة. والملاحظ أن مسارَهم التكويني بالمدارس العليا للأساتذة (ENS) بكل من فاس وتطوان يسلك مسلكا شبيها بذلك الذي يُتَّبع في تكوين أساتذة الثانوي الإعدادي.

وأخيرا، فإن اللغة الإسبانية تلقى طلبا متزايدا في مجال التكوين المهني، وذلك نظرا لأهمية قطاع السياحة في اقتصاد المغرب، ولتزايد عدد السياح الإسبان الوافدين إلى المغرب، ولكون الكثير من التلاميذ الذين يتمُّون دراستهم بالمعاهد المتخصصة في التكنولوجيا التطبيقية والفندقة والسياحة سرعان ما يحصلون على عقود عمل مع رجال الأعمال الاسبان.

3.1.7 التعليم الجامعي :

تدرس اللغة الإسبانية وآدابها حاليا في سبع مؤسسات جامعية مغربية هي :

1. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط؛
2. كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق بالدار البيضاء؛
3. كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس؛
4. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان؛
5. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير؛
6. الكلية المتعددة التخصصات بالناضور؛
7. مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة.

إن تطور عدد الطلبة المسجلين في هذه الشعبة يظهر قدرا كبيرا من الاستقرار عبر الزمن وإن كان هناك انخفاض طفيف في عدد الطلبة الذين اختاروا هذا التخصص منذ السنة الجامعية 2008، وهي السنة التي سجلتْ العدد الأكبر من هؤلاء الطلبة. وخلال السنة الدراسية 2011/2012، بلغ عدد طلبة اللغة الإسبانية وآدابها 2524 طالبا.

الجدول 4.7: تطور عدد الطلبة في التعليم الجامعي المغربي (2000 – 2012):

	2000 2001	2001 2002	2002 2003	2003 2004	2004 2005	2005 2006	2006 2007	2007 2008	2008 2009	2009 2010	2010 2011	2011 2012
الإجازة	2228	2581	2751	2676	2884	3201	2892	3386	2757	2400	2425	2524
الماستر DESA-DESS	14	10	7		21	40	37	41	108	91	73	115
الدكتوراه	63	63	63	40	29	27	25	33	16	13	43	53
المجموع	2305	2654	2821	2716	2934	3268	2954	3460	2881	2504	2541	26

المصدر: معلومات أوردتها وزارة التربية الوطنية المغربية. بيانات لم تنشَر.

يتضح أن عدد أساتذة اللغة الإسبانية وآدابها ظل مستقرا في السنوات الأخيرة، شأنه شأن عدد طلبة المسجلين في هذه الشعبة.

الجدول 5.7: تطور عدد الأساتذة في شعبة اللغة الإسبانية وآدابها. 2011–2000:

	2000 2001	2001 2002	2002 2003	2003 2004	2004 2005	2005 2006	2006 2007	2007 2008	2008 2009	2009 2010	2010 2011
الإجازة	66	70	71	76	79	65	62	63	64	67	72

المصدر: معلومات أوردتها وزارة التربية الوطنية المغربية، بيانات لم تنشَر.

إن ما يلاحَظ فيه حقا نموٌ واضح في السنوات الأخيرة هو عدد الطلبة الذين يتمكنون من إنهاء دراساتهم والحصول على الإجازة في اللغة الإسبانية وآدابها. وحسب وزارة التربية الوطنية المغربية، فإن 434 طالبا حصلوا على الإجازة في السنة الجامعية 2009/2010.

الرسم البياني 1.7: تطور عدد المجازين في اللغة الإسبانية وآدابها في التعليم الجامعي المغربي. 2000/2010.

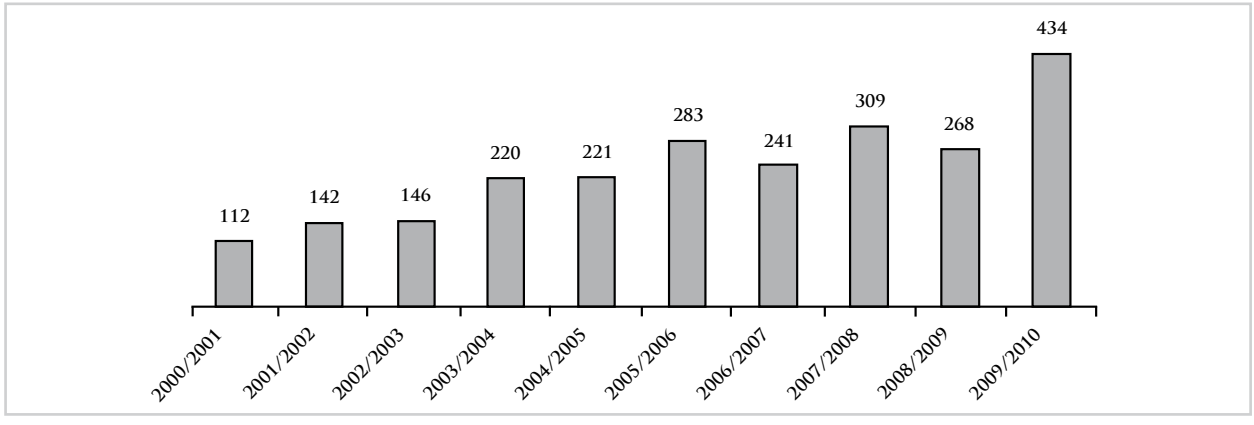

المصدر: معلومات أوردتها وزارة التربية الوطنية المغربية. بيانات لم تنشَر.

وبالإضافة إلى الدراسات في شعبة اللغة الإسبانية وآدابها، فإنه يتم كذلك تدريس الإسبانية بوصفها لغة تكميلية في سبع كليات وثمان مدارس جامعية.

وينبغي أن نضيف أيضا إلى العدد الإجمالي لطلبة الإسبانية في التعليم العالي، عددا يناهز 700 طالب يدرسون هذه اللغة في مراكز تكوين الاطر، من بينهم 170 يدرسونها في المعهد العالي الدولي للسياحة بطنجة، و237 في المعهد العالي للتقنيات السياحية بالمحمدية، و141 بمدرسة علوم الإعلام بالرباط (جامعة فالنسيا ووزارة التربية الوطنية 2011، ص 304).

وينبغي في هذا السياق التنويهُ على نحو مخصوص بمعهد الدراسات الإسبانية البرتغالية، التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط، الذي انشئ في 2002 وبدأ نشاطه عام 2005. وهو يشكل اليوم إحدى المؤسسات المرجعية لجميع المختصين في الدراسات الإسبانية بالمغرب، إذ ينظم أنشطة أكاديمية وثقافية مرتبطة بالعالم الإسباني (من معارض ومحاضرات وحفلات وأعمال مسرحية...)، وقد نشر عددا من الإصدارات (39) من بينها 23 مؤلفا ينصبّ على موضوعات إسبانية صرفة، مما يثري رصيد المكتبة الإسبانية بالمغرب.

وفي الآونة الأخيرة، في سنة 2011 تحديدا، فتحتْ أبوابَها بالرباط جامعةٌ خاصة (الجامعة الدولية بالرباط) تروم تقديم تعليمٍ ذي جودة بالفرنسية والإنجليزية والإسبانية، ويضطلع بالإشراف على تدريس اللغة الإسبانية فيها معهدُ سرفانطيس.

وحريٌّ بنا أن نشير أخيرا إلى أن القطاع الخاص يوفر تدريس الإسبانية ليس فقط في مؤسسات التعليم العالي، بل أيضا في بعض المدارس التي تهيئ التلاميذ لاجتياز امتحان ولوج الجامعات الإسبانية (ن.م).

2.7 حضور وزارة التربية والثقافة والرياضة :[8]

إنَّ لوزارة التربية والثقافة والرياضة الإسبانية مستشاريةً للتربية توجد بالسفارة الإسبانية بالرباط، وهي هيئة يتمثل هدفها الأساسُ في تقوية العلاقاتَ القائمة بين البلدين في المجال التربوي وتطوير الانشطة الثنائية في الميدان نفسه.

1.2.7 المؤسسات :

تقوم المستشاريةً بتدبير وتسيير شبكة من المؤسسات يشرف فيها 351 أستاذاً على تعليم عدد من التلاميذ تعدادُه 4669 تلميذا[9]. وتمثل هذه الشبكة أقوى حضور لوزارة التربية بالمغرب، حيث تشتمل على عشر مؤسسات أربعٌ منها تقدم تعليما متكاملا يشمل جميع مستويات النظام التعليمي الإسبًاني، من التعليم الأولي إلى الثانوي التأهيلي (وهي موجًودة بالحسيمة والدار البيضاء والناضور والرباط). وهناك أيضا مؤسستان تعليميتان تقدمان تعليما ثانويا بطنجة وتطوان، وتتوفر هذه الأخيرة كذلك على مركز للتكوين المهني. ثم إن هناك ثلاثَ مدارسَ ابتدائية في كل من طنجة وتطوانَ والعرائش، وتوفر هذه الاخيرة أيضا تعليما ثانويا إعداديا. إنها مراكز ذات سمعة ومنزلة معترف بهما، حيث يفوق الطلبُ المقاعدَ المتوفرة فيها. ويلاحظ أن حوالي 75 بالمائة من التلاميذ هم من ذوي الجنسية المغربية، و23 بالمائة من ذوي الجنسية الإسبانية، أما الباقي فهم من جنسيات مختلفة.

إن هذه المراكز الإسبانية تسهم إسهاما فعالا في نشر اللغة والثقافة الاسبانيتين. فبقطع النظر عن التكوين الأكاديمي الصرف بالإسبانية، الذي يستكمَل بدروس في اللغة العربية، هناك كذلك برنامج شامل من الأنشطة التي لها هدف تربوي وثقافي واضح، حيث تقام عمليات تبادل بين المؤسسات الإسبانية ونظيرتها المغربية، وتجرى مسابقات أدبية، وتنظم نوادٍ للقراءة، واولمبياد للرياضيات، وحفلات، ومسابقات رياضية... كما تنظم سنويا اسابيعُ ثقافيةٌ كاسبوع المسرح المدرسي بالإسبانية، وأنشطة تربوية يُحتفى فيها بأيام معينة مثل يوم الدستور، ويوم المرأة، ويوم البيئة، ويوم السلام، واليوم بدون دخان وغيرها.

8- معطيات السنة الدراسية 2013-2012. والملاحظ أنه من بين ال 351 أستاذا، لم يدرج أستاذان من البعثة الإسبانية الموجودة بمدينة العيون بالصحراء.

9- وزارة الشؤون الخارجية والتعاون : MAEC
الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي من أجل التنمية : AECID (المترجم).

وتضطلع مستشاريةً التربية بالسفارة بنشر وتدبير برنامج شامل للمنح التي تقدمها وزارة التربية للمتفوقين من التلاميذ. وهي تشرف أيضا على المنح الجامعية الجديدة التي تخصِّصها جامعات قشتالة–لامانشا وغرناطة ومالقة وسالامانكا وفالنسيا، لتلاميذ المؤسسات الإسبانية الموجودة بالمغرب، وتحديدا للحاصلين منهم على نتائج جيدة في امتحان التأهيل لولوج الجامعات الإسبانية (SELECTIVIDAD) والراغبين في متابعة دراساتهم الجامعية باسبانيا. وتتولى المستشاريةً أيضا أمرَ الإجراءات الخاصة بمعادلة الشهادات لفائدة التلاميذ الراغبين في متابعة دراستهم الجامعية بإسبانيا.

وفضلا عن ذلك، تتولى المستشاريةً تفعيل برنامج للنشر من خلال إعداد ونشر مجموعة من الكتب والمؤلفات تنصب على تجارب تعليمية مبتكرة صادرة عن المؤسسات التعليمية، كما يتم نشر عدد من المجلات مثل مجلة Aljamía، التي لها محتوى مؤسساتي وثقافي، ومجلة Cuadernos de Rabat (أي دفاتر الرباط) التي تقدم محتوى تعليميا تكوينيا. كما تحرص المستشارية على إعداد عُدّةٍ تدريسية وموادَّ تعليمية أخرى في أشكال وصيغ مختلفة قصد تكوين المدرسين ومساعدتهم في مَهامِّهم.

الرسم البياني 2.7: تطور عدد تلاميذ في جميع المؤسسات بالمغرب. 2002/2013.

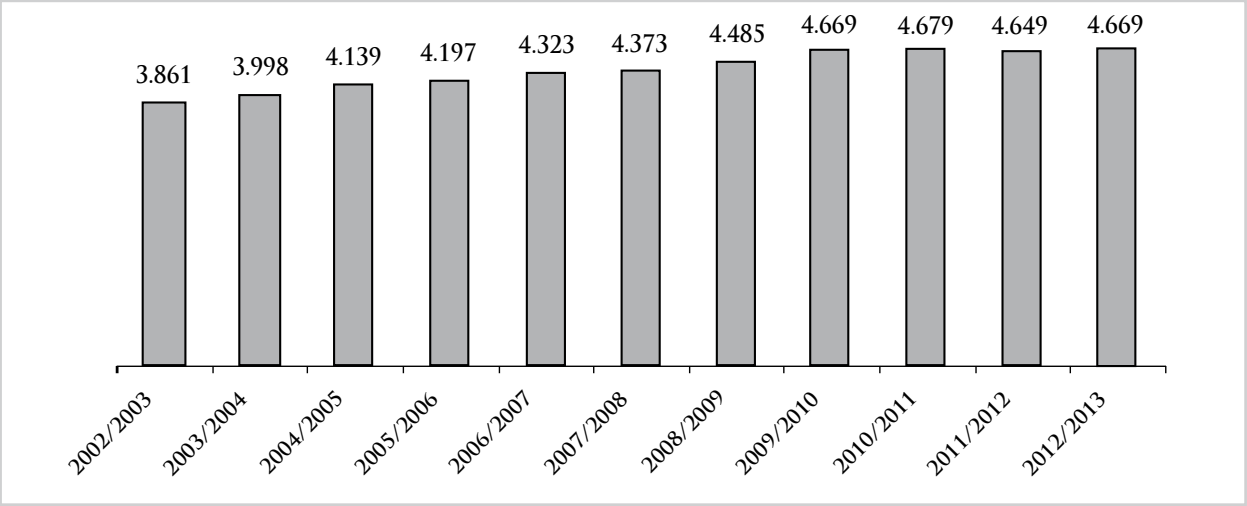

المصدر: وزارة التربية والثقافة والرياضة بإسبانيا، بيانات لم تنشَر.

2.2.7 تكوين الأساتذة :

تضطلع مستشارية التربية بتسيير وتوجيه التكوين المستمر لفائدة الأساتذة العاملين في شبكة المراكز التابعة لها. ويجدر التنويه هنا بالأهمية الخاصة التي يكتسيها مشروع التحيين العلمي والمنهجي لأساتذة اللغة العربية العاملين في مجموع المؤسسات الإسبانية الموجودة بالمغرب. إنه مشروع رأى النور في بداية السنة الدراسية 2006–2005، وما يزال قيد التفعيل بهدف تجديد العُدَّة التعليمية على نحو فعال.

في هذا السياق، يسهر المستشارون التقنيون العاملون بالمستشارية على تنظيم أنشطة التكوين الخاصة بالمدرسين المغاربة، وذلك بطريقتين اثنتين هما التكوين الأولي للمدرسين الجدد والتكوين المستمر للأساتذة المزاولين. وتتمثل هذه الأنشطة في دعم التكوين الأولي الذي يتلقاه الأساتذة المغاربة بالمركز التربوي الجهوي (CPR) بطنجة، حيث يتم تكوين مدرِّسي التعليم الإعدادي.

ويستكمَل تكوينُ هؤلاء الطلبة الأساتذة بإجراء دورة تكوينية بإسبانيا تسهر على تنظيمها مستشارية التربية وتتكفل بها إحدى الجامعات الإسبانية.

إن الأنشطة المرتبطة بالتكوين المستمر لمدرِّسي الإسبانية المغاربة تقوم على برنامجين أساسيين. أما الأول منهما، ويتم بتعاون مع معهد سرفانطيس، فيتمثل في تقديم دروس تنصب على تحيين وتحديث الجوانب الديداكتيكية والمنهجية، وهي دروس تنظَّم كل سنة بتعاون مع وزارة التربية الوطنية، ويضطلع بتقديمها بها مستشارون ومفتشون مغاربة. وأما الثاني، فمدارُه مشاركة الأساتذة والمفتشين المغاربة في دورات تكوينية تجرى بإسبانيا للتحيين في مجال منهجية التدريس.

ودعماً لهذا البرنامج، رصدت وزارة التربية الإسبانية ستين منحة كل سنة مخصصةً للمشاركة في هذه الدورات التي تنظمها جامعات مختلفة، والتي تستغرق ثلاثة أسابيع من فصل الصيف. وفضلا عن ذلك، يُنظَّم منذ خمس سنوات برنامجٌ تكويني آخر بالمغرب تشرف على تسييره مستشارية التربية رفقة جامعات إسبانية مختلفة. كما تتعاون المستشارية مع معهد سرفانطيس في تدبير جميع البرامج التكوينية المخصصة للأساتذة المغاربة.

3.2.7 مراكز الموارد :

تستخدم مراكز الموارد نظامَ الاقتراض لتضعَ رهن إشارة مدرِّسي الإسبانية كلغةٍ أجنبية، وجميع المختصين في الدراسات الإسبانية، مجموعة من المراجع والكتب والموارد السمعية البصرية وغيرها. وتوجد في المغرب ستة مراكز للموارد التعليمية الخاصة باللغة الإسبانية (وهي مراكز تابعة لمستشارية التربية، وتقع في كل من أكادير والدار البيضاء وفاس والرباط وطنجة وتطوان). ويوجد على رأس هذه المراكز مستشارون تقنيون يقومون بأنشطة مرتبطة بصياغة مقررات وبرامج تدريس الإسبانية كلغة أجنبية في التعليم النظامي المغربي، سواء عن طريق إعداد مواد تدريسية لمختلف المستويات أو مواد لتكوين الأساتذة. ويحرص هؤلاء المستشارون، متى اقتضى الأمر ذلك، على إرشاد مجموعات العمل المكونة من المدرِّسين وتوجيهها لتحقيق الغايات التعليمية. إنهم يسهرون في ذات الآن على تتبع بعض المشاريع التجريبية الخاصة بالعدة التدريسية، وكذا على تحليل المحيط الدراسي، واستقاء المعطيات والتقييم إلخ.

كما تعمل مراكز الموارد التابعة للمستشارية على النهوض باللغة والثقافة الإسبانيتين ونشرهما، وذلك عن طريق تنظيم وتنشيط جوائز في شتى مجالات الحقل التربوي. فهناك جائزة "لوركا" المخصصة للتلاميذ، وجائزة "ماريا ثامبرانو" للابتكار في المجال التربوي وهي مخصصة للأساتذة، وكذلك جائزة "رفائيل البرتي" للشعر، وجائزة "إدواردو ميندوثا" للقصة القصيرة، وهي مخصصة للمبدعين في الحقل الأدبي. إن الإعلانات الخاصة بهذه الجوائز وكذا مختلف المعلومات والوثائق الإشهارية تنشَر بانتظام في جميع الأكاديميات المغربية وفي مختلف المؤسسات الرسمية التي يوجد بها قسم للإسبانية، والمنتشرة في كل جهات البلاد.

ومن جانب آخر، ما فتئت المستشارية الثقافية بالسفارة تضطلع منذ عقود من الزمن بتدبير برامج مهمة في التعاون أبرزُها في ما يتصل بمجال التربية برنامجُ التعاون بين الجامعات، وبرنامج المِنَح MAEC – AECID[10] وبرنامج الأساتذة الزائرين، الذي استؤنف العمل به في السنة الجامعية 2014–2013 بجامعتي فاس وأكادير.

3.7. عمل معهد سرفانطيس

يعتبر المغرب، بعد البرازيل، البلد الذي يوجد به أكبر عدد من مراكز معهد سرفانطيس. ويشكل تعليم اللغة، وصيانة المكتبات، والسهر على تدبير عدد كبير من الأنشطة الثقافية المحاور الثلاثة الرئيسة التي تنتظم عملَ هذا المعهد في كل من الدار البيضاء والرباط وفاس وتطوان وطنجة ومراكش. وتوجد أيضا ملحقاتٌ لمعهد سرفانطيس بكل من الحسيمة والناظور والعرائش وأكادير والصويرة. ويتألف مجموع المدرسين العاملين بهذه المراكز من 33 أستاذا إسبانيا و167 أستاذا من المغرب.

10- في البيانات الخاصة بالسنة الدراسية 2011–2010، تحت عنوان "التكوين المهني (2)" تم إدماج الأسلاك التكوينية المتمثلة في التكوين المهني، المستوى المتوسط (3903 تلميذ) والتكوين المهني، المستوى الأعلى (1343 تلميذا). وفي البيانات المتعلقة بالفترة 2004–2000، تحت عنوان "برنامج المؤهلات المهنية الأولى" PCPI، أدرج التلاميذ التابعون للبرنامج الملغى الآن، برنامج الحماية الاجتماعية (Garantia Social). وفي البيانات الخاصة بالمرحلة 2003–2000 ، وتحت عنوان "التربية البدنية والرياضية"، أدرج التلاميذ الذين لم يرد نوع تعليمهم في أرشيف الإحصاءات.

النشاط التعليمي :

إن في تسجيل ما يزيد عن 12000 تلميذ خلال السنة الدراسية 2012/2013 ما يضمن تحقيقَ الهدف العام المتمثل في نشر اللغة والثقافة الإسبانيتين، وهو عدد ظل مستقرا مع زيادة طفيفة في الوقت الحالي.

الجدول 6.7: نشاط معاهد سرفانطيس بالمغرب

(السنة الدراسية 2013–2012)

مراكز معهد سرفانطيس	عدد التسجيلات	عدد التلاميذ	عدد الساعات لكل تلميذ
الرباط	3.210	2.120	156.082
الدار البيضاء	4.441	2.546	155.311
طنجة	1.911	1.393	111.724
مراكش	2.001	1.137	61620
تطوان	1.270	960	67607
فاس	775	544	43127
المجموع	13.608	8700	595471

المصدر: معهد سرفانطيس. بيانات لم تنشر.

لقد ازداد الطلب في السنوات الأخيرة على تعليم اللغة الإسبانية لفئتي الأطفال والمراهقين. وقد أفضى الارتفاع الملحوظ في عمليات التسجيل بهذا النوع من الدروس خلال السنة الدراسية 2012/2013 إلى تعزيز التعليم الموجَّه لهاتين الفئتين بوصفه صار يشكل نزعة قوية تحكم النشاط الأكاديمي في معاهد سرفانطيس بالمغرب برمَّتها.

وحري بنا أن نلفت النظر بالأخص إلى الاستمرارية التي يعرفها مشروعان تعليميان لهما طابع نوعي ويستهدفان فئة مخصوصة، مشروعان لهما مسارٌ طويل في مركزَيْ طنجة وتطوان. يتعلق الامر من جهة ببرنامج تطوير مهارات القراءة والكتابة، المخصص للتلاميذ الذين لديهم عسر في الكتابة، وهو موجود في المعهدَين المذكورين؛ ومن جهة أخرى ببرنامج تدريس الإسبانية للمكفوفين وإدماجهم مع غير المكفوفين، وهو برنامج يجري به العمل في معهد تطوان.

وفيما يتعلق بتعلُّم الإسبانية عن بعد، وصل عدد الرخص لدروس اللغة الإسبانية في الفصل الافتراضي المخصص للغة الإسبانية إلى 8265 سنة 2012. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى الشروع في استعمال هذا الفصل الرقمي في كل من الجامعة الدولية بالدار البيضاء والجامعة الدولية بالرباط، وذلك لتيسير الاطلاع على اللغة والثقافة الإسبانيتين، حيث تم إدراجُ نماذجَ تتماشى مع مواصفات المجتمع الرقمي وما له من أبعادٍ تربوية وتكنولوجية.

ويتضح أن الحوافز التي تحدو المتعلمين في أغلب الأحيان إلى دراسة اللسان الإسباني في مراكز معهد سرفانطيس بالمغرب هي عموما كالآتي :

الجدول 7.7: أسباب تعلم الإسبانية بمعهد سرفانطيس:

الرغبة في متابعة الدراسة بإسبانيا	17 بالمائة
كون الإسبانية هي اللغة الأجنبية في الثانوي التأهيلي المغربي	16 بالمائة
وجود أهل يتكلمون الإسبانية أو يقيمون باسبانيا	12 بالمائة
الرغبة في الحصول على عمل بإسبانيا	11 بالمائة
الاهتمام بالآداب والثقافة الإسبانيين	9 بالمائة
كون الأطفال يدرسون في مركز إسباني	7 بالمائة
العمل في شركات مرتبطة باسبانيا	4 بالمائة
وجود علاقات مؤسساتية مع إسبانيا (حالة بعض الموظفين)	3 بالمائة
الرغبة في المصيف بإسبانيا	3 بالمائة
أسباب أخرى	22 بالمائة

المصدر: «مركيبيجي» 2004.

دبلومات الإسبانية كلغة أجنبية : توجد بالمغرب في الوقت الحاضر عشرةُ مراكزَ لاجتياز امتحان الحصول على دبلوم الإسبانية كلغة أجنبية DELE، الذي يمنحه معهد سرفانطيس باسم وزارة التربية الإسبانية. والملاحَظ أنه خلال الفترة الممتدة ما بين عامَي 2010 و2013، وهي السنوات التي أتم فيها المعهد صياغة وتعديل مستويات اللغة الإسبانية المقترنة بدبلومات DELE لتطابقَ الإطار المرجعي الأوربي المشترك للغات (MCER)، أجريت في المغرب 24 دورة تدريبية لتأهيل المشرِفين على الامتحانات الخاصة بهذا الدبلوم، ما أفضى إلى إعطاء أساتذة الإسبانية ما يقارب 160 من الاعتمادات الجديدة.

ويلاحظ من جانب آخر أن عدد المسجَّلين في الامتحانات السنوية الخاصة بدبلوم الإسبانية كلغة أجنبية عرف ارتفاعا طفيفا في السنوات الأخيرة، وقد كان هذا الارتفاع ملحوظا في مركزي الرباط والدار البيضاء ما بين 2010 و 2012، بينما عرفت مراكز مراكش وتطوان وفاس بعض التراجع في عدد المرشحين.

الجدول 8.7: عدد المرشحين لدبلوم الإسبانية كلغة أجنبية (DELE) في 2012

مراكز معهد سرفانطيس	عدد الدبلومات
الرباط	257
الدار البيضاء	348
طنجة	110
مراكش	101
تطوان	129
فاس	110
المجموع	1055

المصدر: معهد سرفانطيس.

برامج التكوين : لقد أسهم معهد سرفانطيس في البرامج التي تشرف عليها الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي من أجل التنمية AECID بالمغرب، إذ قام –من جملة ما قام به من أنشطة– بمواصلة العمل في المسار الذي وضعته هذه الوكالة، مسار تكوين الأساتذة الإسبان التابعين للوكالة ليشرفوا على الامتحانات الخاصة بـدبلوم DELE وعلى تدريس اللغة الإسبانية عن طريق شبكة الانترنيت بمعهد سرفانطيس.

إن الأنشطة التكوينية التي ما فتئ معهد سرفانطيس ينظمها على امتداد هذه السنوات في مراكزه بالمغرب هي أنشطة اتضحَ أنها تستجيب لاحتياجات الأساتذة الإسبان والمغاربة من حيث التكوين، وكذا لاحتياجات المفتشين العاملين بالتعليم النظامي. مدارُ الأمر هنا هو إقامةُ دورات في التكوين الأولي لأساتذة الغد، وأيضا تنظيم دوراتٍ لاستكمال التكوين وأيامٍ دراسية مخصصة للمدرسين المزاولين من أجل تحسين الأداء الديداكتيكي.

الجدول 9.7: عدد الأنشطة التكوينية وعدد المشاركين فيها. السنة الدراسية 2013–2012

المركز	الأنشطة التكوينية	المشاركون
الدار البيضاء	4	72
فاس	5	83
مراكش	1	14
الرباط	7	120
طنجة	2	90
تطوان	2	41
المجموع	21	420

المصدر: معهد سرفانطيس.

يتبين أن عدد الأنشطة التكوينية وعدد المشاركين فيها سجَّلا تزايداً في مركزي فاس ومراكش قياسا إلى معطيات السنة الماضية.

وقد نظم معهد سرفانطيس سنة 2013، بتعاون مع مستشارية التربية بالمغرب، خمس دورات تكوينية، اثنتين منها بفاس وواحدة في كل من الرباط وطنجة ومراكش.

الفصل الثامن : التلاميذ والطلبة المغاربة باسبانيا

على الرغم من الانخفاض الذي عرفته حركة دخول المهاجرين المغاربة إلى إسبانيا منذ سنة 2009، إلا أن عدد المغاربة الذين يدرسون بالمؤسسات غير الجامعية بإسبانيا لم يتوقف عن التزايد في الإحدى عشرة سنة الماضية. ومما أسهم إلى حد بعيد في هذا الإرتفاع ظاهرة التجمع العائلي، التي جعلت تدفق المغاربة الذين هم في سن التمدرس إلى إسبانيا يستمر بوتيرة مطردة. ومن جهة أخرى، فإن التزايد التدريجي الذي شهده معدل التمدرس لدى المغاربة، ليس فقط بإسبانيا، بل أيضا بالمغرب، هو تزايد أفضى إلى الرفع من نسبة المتعلمين المغاربة المسجلين بالمدرسة الإسبانية.

الرسم البياني 1.8: تطور عدد التلاميذ المغاربة في التعليم غير الجامعي حسب نوع التعليم.

الفترة [11] 2000–2011:

	2000/2001	2001/2002	2002/2003	2003/2004	2004/2005	2005/2006	2006/2007	2007/2008	2008/2009	2009/2010	2010/2011
المجموع	30.465	38.611	47.691	59.658	70.048	83.379	96.633	108.770	121.224	131.303	143.424
التعليم الأولي	6.231	8.395	10.704	14.143	16.640	19.543	22.393	25.440	30.848	34.993	39.565
التعليم الإبتدائي	13.265	16.338	20.343	25.779	30.899	37.378	42.793	48.568	52.257	54.524	57.568
التعليم الخاص	137	169	240	332	388	459	527	684	785	864	907
التعليم الثانوي إجباري	9.147	11263	13.310	15.503	17.125	20.119	22.487	25.247	28.935	30.376	32.092
سلك الباكالوريا	487	579	738	871	1.053	1.241	1.452	1.586	1.645	2.033	2.712
التكوين المهني	508	684	972	1.440	1.928	2.336	2.873	3.142	3.511	4.325	5.246
برنامج المؤهلات المهنية	462	881	1.085	1.289	1.563	1.784	2.479	2.229	2.299	3.110	4.200
التعليم الفني	10	6	11	16	27	32	50	58	60	60	76
تعليم اللغات	198	267	270	285	424	486	578	814	881	1.017	1.053
التربية البدنية و الرياضية	20	29	18		1	1	1	2	2	1	5

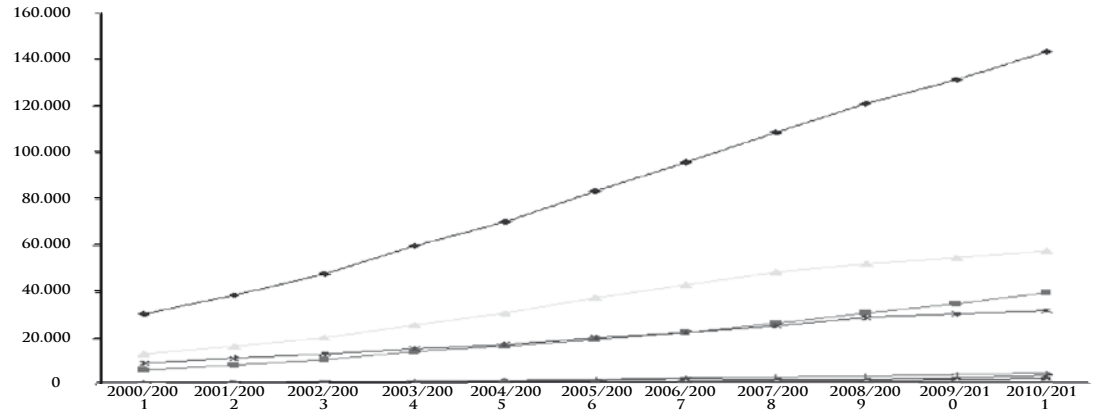

المصدر: المرصد الدائم للهجرة 2012.

11 - التي وقعت في الرباط في 14 أكتوبر 1980. انظر موقع الجريدة الرسمية الإسبانية: BOE.es.

إن أغلب التلاميذ المغاربة يضعون آمالا كبيرة في النظام التربوي الإسباني، ذلك أن نسبة 73 بالمائة منهم تأمل الولوجَ إلى الجامعة، و75 بالمائة تتمنى أن تزاول بإسبانيا مهناً وتحوز مناصب تستلزم امتلاك شواهد أكاديمية؛ كما أن 78،8 بالمائة من هؤلاء يَرون في تمدرُس الأطفال حتى سن السادسة عشرة أمراً إيجابيا يتأتى به لهذه الناشئة أن تكتسب مستوى أفضل من الكفاءة والتأهيل. ثم إن معظمَهم يظهر حماسا كبيرا إزاء تعلم المواد الدراسية ("رويث روماف" و"مرينُو ماطا" : 2009 ص 4).

لكن يبدو أن هذه الأماني لا تلبث أن تتبخر وتتلاشى رويدا رويدا كلما تقدم هؤلاء المتعلمون في مشوارهم التعليمي. فمن بين التحديات الكبرى التي يواجهها التلاميذ المغاربة في المدرسة الإسبانية، نجد الحاجز اللغوي الذي يلزمهم تخطيه، علما أنهم يتكلمون لغة شديدة الاختلاف عن اللسان الإسباني كما هو حال اللغة العربية. هذا يجعلهم في وضعية صعبة قياسا إلى غيرهم من المهاجرين الآتين من أمريكا اللاتينية، والذين لغتهم الأم هي الإسبانية.

إن هذا العائق، متى أضفنا إليه اعتبارات أخرى ذات طابع اقتصادي وثقافي مقترنة بالمحيط الأسري لهؤلاء المتعلمين المغاربة، يجعل من اندماجهم في المدرسة أمراً عسيراً، ويسهم بنصيبٍ وافر في تفاقم نسبة الهدر المدرسي في صفوفهم.

وبالإضافة إلى التلاميذ المغاربة المسجَّلين في التعليم الابتدائي والثانوي الإسباني، هناك عدد من الطلبة الذين يفدُون إلى إسبانيا للالتحاق بالدراسات الجامعية والدراسات العليا. وعلى خلاف ما نلمسُه عند التلاميذ المشار إليهم آنفا، فإن احتمال رجوعَ هؤلاء الطلبة إلى بلدهم الأصلي بعد إتمام دراساتهم يبقى احتمالا قويا راجحاً. فشد الرحال من أجل الدراسة يندرج عموما في إطار ما يسمى بالهجرة الدائرية.

إن هؤلاء الطلبة يضطلعون لا محالة بدور بارز على صعيد نشر اللغة الإسبانية في المغرب. إنهم برجوعهم إلى بلادهم يزيدون من عدد الناطقين بالإسبانية، ولا يلبثون أن يتبوأوا مناصب مرموقة في عالم الأعمال أو في الإدارة المغربية بفضل ما يتميزون به من تفوق لغوي إزاء عموم السكان.

ولنشر أخيرا إلى أن هؤلاء الطلبة ينتمون في الأغلب الأعم من الأحوال إلى الطبقتين الوسطى والعليا، إذ إن السفر للدراسة في الجامعات الإسبانية يتطلب نفقات باهظة وموارد مالية لا يتوفر عليها أكثر المغاربة. ولا غرابة، إذ يتضح في ضوء تحليل الساكنة الطلابية المغربية من حيث عمل الأب أن 28 بالمائة من الآباء هم موظفون، فيما 14 بالمائة هم من رجال الأعمال (كبارا ومتوسطين وصغارا) و12 بالمائة هم من أصحاب المهن الحرة.

يتضح إذن بما لا يدع للشك مجالا أن الطبقات الوسطى والموسرة هي التي ترسل العدد الأوفر من الطلبة، وذلك بالنظر إلى الشروط المطلوب استيفاؤها للحصول على التأشيرة، وهي شروط تتضمن في المعتاد إثبات القدرة المادية.

ومن جملة القرائن والمؤشرات الأخرى الدالة على هذه الحقيقة نفسها المستوى التعليميُّ للآباء: ذلك أن نسبة 59 بالمائة من الآباء تجاوزوا المرحلة الإعدادية، منهم 19،8 بالمائة تابعوا دراسات عليا، بينما 8،7 بالمائة فقط لم يلتحقوا بالمدرسة («لوبيث غارثيا» 2004 : ص 97).

إن هذه العوامل جميعَها هي عواملُ تقوِّي لا محالة دور هؤلاء الأشخاص وتعزز قدرتَهم كوسطاء يعملون على نشر اللغة والثقافة الإسبانيتين. ومع ذلك فإن عدد الطلبة المغاربة بإسبانيا يبقى محدودا (1473 سنة 2011)، ومرد ذلك أساساً إلى كون اللغة التي تدرَّس في المدرسة المغربية والتي تستعمَل أداة تبليغ في التخصصات التقنية بالجامعة إنما هي اللغة الفرنسية. لذا، فإن الطالب المجاز في أحد تخصصات الهندسة إنما يختار فرنسا كخيار أولَ إذا كان يرغب في إتمام دراساته العليا أو في التكوين العملي في إحدى المهن بالخارج. ولا غرو، ففرنسا تعدُّ الوجهة الأولى التي يقصدها معظم خرِّيجي التخصصات التقنية من الجامعات المغربية.

وإضافة إلى هذا العائق اللغوي، ينبغي أن نشير أيضا إلى أن سياسة منح رخص الإقامة للطلبة المغاربة من طرف السلطات الإسبانية لم تيسِّر كثيراً تواجد هؤلاء بإسبانيا («غونثاليث إنريكي» 2011). بل أكثر من ذلك، فقد اتضح من خلال منحى تطور عدد تأشيرات الدراسة الممنوحة للطلبة المغاربة أن حصول هؤلاء على هذه الوثيقة في تراجع مستمر منذ سنة 2007.

الرسم البياني 2.8.: تطور عدد تأشيرات الدراسة الممنوحة للطلبة المغاربة 1999–2011.

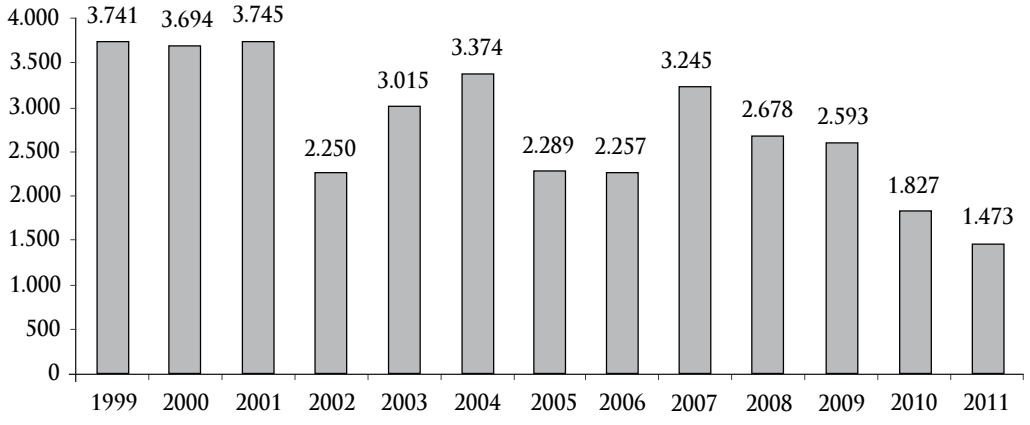

المصدر: المرصد الدائم للهجرة 2012.

الجزء الثالث:
الإسبانية في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية بالمغرب

الفصل التاسع. نظرة عامة

إن تحديد دور اللغة الإسبانية وحضورها في الحقل الثقافي المغربي هو أمر لا يخلو من صعوبة. ذلك أنه لئن كان من العسير أصلاً إيجادُ مؤشرات صحيحة قمينة بأن تبين مدى حيوية هذه اللغة بين المغاربة، فإن جلَّ هذه المؤشرات تتسم أيضا، إن وجدت، بطابع غير ملموس وإذن عصيٍّ على القياس.

سنتطرق في هذا الفصل الذي نستهل به هذا الجزء من بحثنا إلى تحليل المؤشرات الأكثر تمثيلية، بيد أن هناك عناصرَ ومقومات من الثقافة الإسبانية، كالرياضة والموسيقى، والطبخ، تحتل بوجه عام حيِّزاً هاما في المحادثات التي تجري بين المغاربة أنفسهم، وكذا بينهم وبين السياح الإسبان الذين يزورون المغرب.

ومع أن التبادل الثقافي بين المغرب وإسبانيا ضارب في القدم كما هو معلوم، فإن التعاون المؤسساتي بين الدولتين، كما نعرفه اليوم، لم يبدأ إلا سنة 1980 من خلال التوقيع على اتفاقية التعاون الثقافي بين الحكومة الإسبانية وحكومة المملكة المغربية[1]. وقد صار هذا التعاون الثنائي يندرج تدريجيا إبانَ السنوات الأخيرة في إطار عمل الاتحاد الأوروبي، خصوصا إثرَ التوقيع سنة 1996 على الاتفاق الأورومتوسطي بين المغرب والاتحاد الاوروبي[2]، الذي يراد منه النهوض بقيم التسامح والتعارف بين الثقافتين، عن طريق خلق مجموعات مختلطة من الشباب الأوربي والمغربي، وكذلك عبر التعاون الثقافي عامة بدعم اقتصادي من بروكسيل.

إن التعاون الثقافي الإسباني المغربي بحصر المعنى هو تعاونٌ يحدِّده التفاوتُ في درجة النمو الاقتصادي والتباينُ في مستوى الثروة بين البلدين. يترتب عن هذا أن الدولة الإسبانية هي التي تأخذ عادة المبادرة لتقومَ بتمويل برامج التعاون الثنائي أو البرامج الخاصة بالعمل الإسباني في المغرب. حقا، فمتى أخذنا بالاعتبار مدى التجانس الثقافي القائم بين المغرب وإسبانيا ومستوى الإنفاق الفردي على الثقافة في هذا البلد، اتضح لنا أن المغرب إنما يمثل سوقا ثانوية للمنتَجات الثقافية الإسبانية.

1 – قرار المجلس والمفوضية الأوربيين بتاريخ 24 مارس 2000، المتعلق بإبرام الاتفاق الأورومتوسطي الذي ينص على خلق شراكة بين المجموعة الأوربية والدول الأعضاء بها من جهة، والمملكة المغربية من جهة ثانية.:http://eur-lex.europa.eu/LexUriServ/LexUriServ.do?uri=CELEX:32000D0204:ES:NOT .

2 – توقعات خاصة بسنة 2011، وقد أنجزت في 2010.

الرسم البياني 1.9. الأسواق المستهدفة من المنتَج الثقافي الإسباني[3]

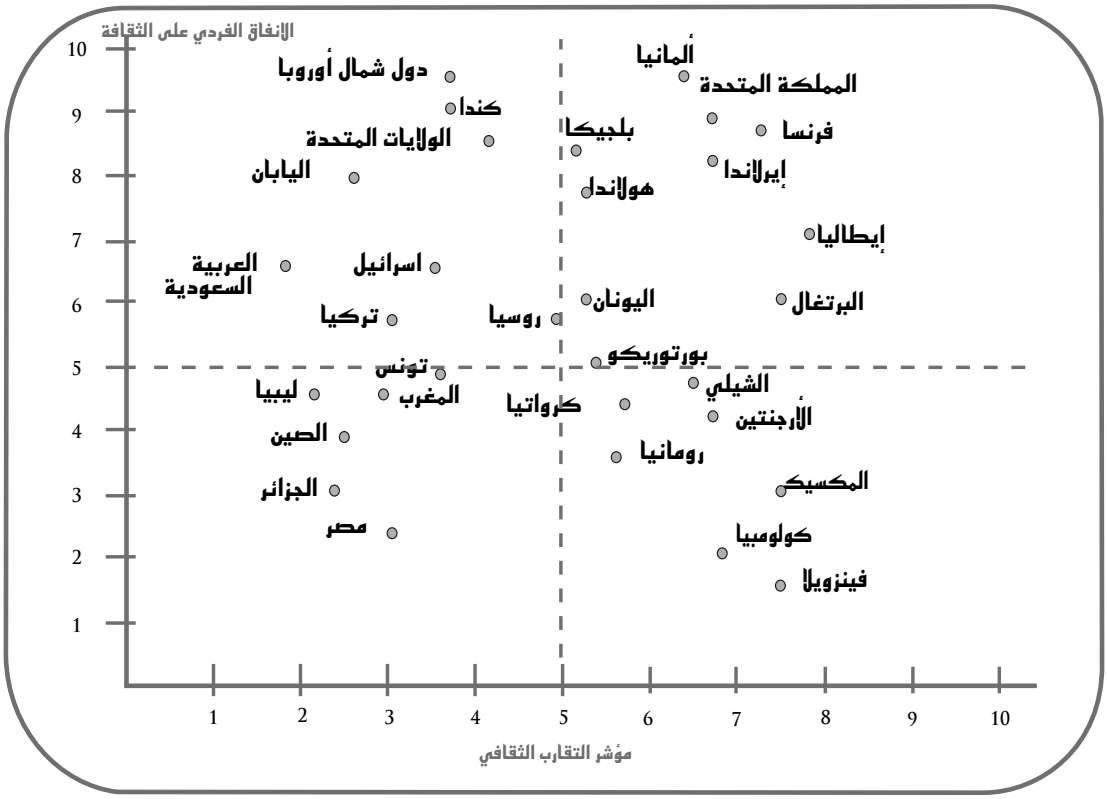

المصدر: الوكالة الأندلسية للنهوض بالشؤون الخارجية "إكستندا" (EXTENDA، 2010) ص: 36.

كما يتبين من هذا الرسم البياني، يقع المغرب في المربع السفلي الأيسر، مما يعني أنه من بين الدول الأقل اجتذاباً للصادرات الثقافية الإسبانية. ومع أنه يتجاوز، من حيث هو سوق تتلقى هذه المنتَجات، أقطاراً كمصر والجزائر والصين وليبيا، إلا أنه يأتي بعيداً خلف بلدان من قبيل فرنسا وإيطاليا والمملكة المتحدة والبرتغال، التي يبدو أنها وجهة تستقبل على نحو أفضل المنتجَات الثقافية الإسبانية. ورغم ذلك، فإن قرب المغرب من إسبانيا، وما يجمع بين العدْوتين من روابط تجارية وثقافية قويّة منذ أمد بعيد، يجعل من المغرب أحد الأقطار التي يتسم العمل الثقافي الإسباني فيها عادة بكونه أكثر نشاطا وكثافة.

ولا يخفى على أحد ذلك النشاط المكثف الذي ما فتئت تضطلع به على مر السنين مؤسساتٌ كمعهد سرفانطيس، والمديرية العامة للتعاون والتواصل التابعة لوزارة الثقافة ومستشارية الثقافة والتعاون بسفارة إسبانيا. إنه عمل أفسح السبيل في بعض الحالات أمام إبرامَ اتفاقيات مثل "مذكرة التفاهم" الموقعة في 30 غشت 2004 من طرف وزيري الثقافة بالبلدين، والتي ينصب محتواها على مجالات تدخل عدة، من النهوض بتدريس اللغة والآداب، وعقد اجتماعات ثنائية يحضرها خبراء في العلوم والآداب، ودعم مجموعة من البرامجَ والحفلَات الموسيقية، وتنظيم أنشطة سينمائية ومسرحية وغيرها. وقد تم في الآونة الأخيرة إبرامُ اتفاقية وقّعتْ في 3 أكتوبر 2012، وتتعلق بالشراكة الإستراتيجية في مجال التنمية والتعاون الثقافي والتربوي والرياضي.

3- : Africanismo تيار ساد بين الساسة والمفكرين الإسبان في بداية القرن العشرين. وكان مهتما بكل ما له علاقة بالمغرب من منظور استعماري (المترجم).

وبالإضافة إلى الحكومة المركزية الإسبانية، فإن بعض الإدارات الإقليمية سعت هي الأخرى في تقوية أواصرها وتوطيد روابطها الثقافية مع المغرب. وقد كان انشطَها في هذا السياق الحكومةُ الأندلسية، التي فضلاً عن كونها تشرف على تسيير البرامج الاجتماعية في المنطقة الحدودية مع المغرب، فإنها تستشعر نفسها نوعا ما وريثة لروح الماضي الأندلسي.

وبصرف النظر عن العمل الذي تقوم به الإدارة المركزية والأقاليم المستقلة، يتبيَّنُ أن المنظمات غير الحكومية التي تنشط في البلد الجار، هي هيئاتٌ تؤثر بدورها، علو نحو مباشر او غير مباشر، في نشر الثقافة الإسبانية بالمغرب.

ولا بدَّ أن نشير في الأخير إلى أن أغلبية المغاربة يرَون أن الثقافة هي أداة تلعب دوراً مهما في التقريب بين البلدين، كما يتضح من الجدول التالي:

الجدول1.9: أهمية البعد الثقافي في التقريب بين المغرب وإسبانيا حسب الفئات العمرية (بالنسبة المئوية).

الفئة العمرية	نعم	لا	المجموع
أقل من 20 سنة	8،5	10،3	8،6
	(90،7)	(9،3)	(100،0)
من 20 إلى 30 سنة	18،1	16،7	18،0
	(92،7)	(7،3)	(100،0)
من 30 إلى 40 سنة	24،6	29،5	25،0
	(90،8)	(9،2)	(100،0)
من 40 إلى 50 سنة	27،0	23،1	26،8
	(92،9)	(7،1)	(100،0)
من 50 إلى 60 سنة	13،9	6،4	13،3
	(96،2)	(3،8)	(100،0)
أكثر من 60 سنة	7،8	14،1	8،3
	(86،7)	(13،3)	(100،0)
المجموع	100.0	100.0	100.0
	(92،1)	(7،9)	(100.0)

المصدر: أفايا وكراوي 2005، ص 163.

وعلى الرغم مما قد يطرأ من خلافات بين البلدين، إلا أن 92،1 بالمائة من المغاربة يرون في الثقافة وسيلة من شأنها أن تلطف من هذه الخلافات. وإذا كانت الاسباب والمبرِّرات التي يُستند إليها هنا ذات طبيعة متباينة، فإن المغاربة يربطون عموما التبادل الثقافي بتشجيع الاستثمارات الإسبانية والدفع قُدُما بالمعاملات والصفقات بين البلدين (ن.م.). ومما يبعث على الاستغراب أن التصنيف حسب الاعمار لا يبيِّن قدرا كبيرا من التفاوَت، الأمر الذي يُبرز بجلاء كيف أن أجيال الحاضر، وإن كانت لم تعش في فترة الحماية، إلا أنها تؤمن هي الاخرى بالدور المؤثر للثقافة من حيث هي اداة للتقريب بين البلدين.

غير أنه يُستشفُّ من التصنيف حسب المناطق أن جهتي طنجة والحسيمة تتقاسمان هذه النظرة (100 بالمائة)، بينما نجد أن سطات ومراكش، اللتين كانتا من قبل تحت النفوذ الفرنسي، تبديان قدرا أكبر من التحفظ، حيث تقدر النسبة فيهما ب 61،7 بالمائة و77،9 بالمائة على التوالي.

يتضح إزاء هذا المشهد أن ما يعطيه المغاربةُ من أهمية للبعد الثقافي باعتباره وسيلة لتقوية الروابط مع إسبانيا، وما نلمسُه من استثمار قوي في العمل الثقافي الإسباني بالمغرب، كل ذلك يشكل لا محالة أرضية خصبة للنهوض باللغة الإسبانية ونشرها في البلد الجار.

يرجع التواجد الإسباني في مشهد النشر بالمغرب إلى ما قبل عهد الحماية؛ فرغم بلوغه الذروةَ في فترة الحماية، إلا أن الحملات العسكرية التي كانت قد بدأت أواسط القرن التاسع عشر واستمرت حتى سنة 1927 افضت إلى ظهور الإصدارات الأولى بالإسبانية في شمال المغرب. ذلك أن مصالحَ إسبانيا الاستعماريةَ، في سياق التوجه الإفريقي[4]، فتحت الباب على مصراعيه أمام إنشاء عدد من المطابع اتخذت قنواتٍ لنشر اللغة والثقافة الإسبانيتين («موغا روميرو» 2007 : ص78–77).

ومنذ الفترة التي سبقت بداية عهد الحماية، كانت مغامرة التأليف والنشر تحمل بصمة الحملات العسكرية المتعاقبة. هكذا نجد أنه إلى حدود ما قبل حملة 1893 – 1894، كانت الأرشيفات تسجل حضور بعض الأسماء مثل: «أ. ماركيث دي برادو»، و«روبِرتو أغيرِّي»، و«مانويل خوان ديانا»، و«أنطونيو كانوفاس ديل كاستيّو»، و«ليون غاليندو» و«فيرا» و«خواكين كوسطا». وينبغي ان نضيف إلى هؤلاء عدداً من رواة أخبار حرب إفريقيا[5]، ثم مجموعة غيرَ متجانسة من الكتاب عُهد إليهم بوصف وتحديد المصالح الإسبانية بالمغرب، والبحث في تاريخ المغرب، وتبيان المعاقل الإسبانية في شمال إفريقيا (ن. م: صَ 85).

لقد كان من آثار الحرب الأهلية الإسبانية أن أفسحت السبيل أمام تغيير موضوعاتي طالَ إصدارات المطابع المغربية. هكذا رأت النور إبان هذا الصراع أولى الكتب والمقالات التي انتصر أصحابها للعمل العسكري، مستندين في ذلك إلى مؤلفات عدد من المختصين في الدراسات الإفريقية من ذوي الصلة بمدينتي سبتة ومليلية (ن. م: ص 96).

وتعد مرحلة ما بعد الحرب الأهلية الإسبانية أكثر الفترات غزارة من حيث عدد الإصدارات التي تطرق أصحابها لموضوع الحماية، وهي مرحلة أسهمت فيها دور النشر المغربية إسهاما مكثفا بتعاون في أحيان كثيرة مع مندوبية الشؤون الأهلية. في هذه المرحلة، ظهرت بتطوان مؤسسة Editora MARROQUI (= دار النشر المغربية) ومكتبة «كريماديس» (في 1940) التي تركت بصمة من الجودة والتميز في عدد غير يسيرٍ من الإصدارات (ن. م. ص 99).

وقد كان من آثار حصول المغرب على استقلاله سنة 1956 أن أفضى أيضا إلى العزوف عن الدراسات حول منطقة الحماية وحول المسألة الإسبانية المغربية بصفة عامة، وهو ما ترتب عنه تقلصٌ في عدد الإصدارات باللغة الإسبانية الآتية من التراب المغربي. وقد استوجبَ الأمرُ أن ننتظر حلولَ السبعينيات لكي نرى، داخل الحقل الأكاديمي، انبعاثا جديدا للدراسات حول القضية العربية عامة والمسألة المغربية خاصة؛ بيد أن السواد الأعظم من هذه الإصدارات إنما رأى النور انطلاقا من التراب الإسباني.

والملاحظ في الوقت الراهن أن لصناعة الكتاب الإسبانية بعضَ الحضور في السوق المغربية، ويرجع ذلك في نصيب منه إلى طلب المؤسسات الإسبانية الموجودة في جميع ربوع المغرب (معهد سرفانطيس والمؤسسات التعليمية)، خصوصا بطنجة وتطوان والرباط والعرائش.

4 – حملة احتلال شمال المغرب (المترجم).
5–انظر http://www.fondation.org.ma/fondation1__fr/bibliotheque.html.

ومن ثم فإن تظاهرة ثقافية من قبيل المعرض الدولي للنشر والكتاب، الذي ينظم كل سنة بالدار البيضاء، هي تظاهرة تفتح الباب على مصراعيه أمام قدوم المقاولين الإسبان الراغبين في ولوج سوق النشر المغربية. ولا غرو في ذلك، فالمساحة المخصصة لإسبانيا في هذا المعرض ما فتئت تتسع أكثر فأكثر، والفضل في ذلك يرجع بقدر كبير إلى المديرية العامة للكتاب (التابعة لوزارة الثقافة المغربية) وما تتوخاه من إعطاء إسبانيا تواجداً أبرزَ وحضوراً أقوى في هذه التظاهرة. ذلك أن المغرب يشكل السوق الرئيسية لقطاع النشر الإسباني في مجموع إفريقيا حيث تبلغ نسبته زهاء 21 بالمائة من رقم المعاملات الإجمالي الذي ينتجه هذا القطاع بالقارة السمراء. ومع ذلك فالمغرب يأتي في المرتبة الخامسة في إفريقيا من حيث عدد النسخ الإسبانية المصدَّرة إليه، يأتي بعد جمهورية الكونغو الديمقراطية، والكاميرون، وأوغندا والغابون (الفدرالية الإسبانية لغرف الكتاب «فيديكالي» FEDECALI : 2012، ص 98). وتجدر الإشارة إلى انه في 2011، صنِّف المغرب لأول مرة بين الدول العشرين الأولى في العالم التي تستقبل كتبا باللسان الإسباني خاصة بالتعليم غير الجامعي، كما صنِّف ضمن الدول الخمس وعشرين الأوائل التي تستقبل الكتب ذات المحتوى العملي. (ن. م: ص 98).

الجدول 1.10: تصدير الكتب الإسبانية إلى المغرب حسب المواد 2011.

	الثمن بالأورو	النسخ العدد %		القيمة بالأورو %	
المجموع	669.373	100،00	110.983	100،00	6،03
آداب	100.176	14،97	15.631	14،08	6،41
كتب الأطفال والشباب	77.072	11،51	27.067	24.39	2،85
التعليم غير جامعي	221.360	33،07	27.211	24،52	8،13
علمي تقني	1.309	0،22	79	0،07	16،57
علوم اجتماعية	160.977	24،05	20.822	18،76	7،73
قانون واقتصاد	456	0،07	39	0،04	11،69
تبسيط العلوم	55.039	8،22	5.409	4،87	10،18
كتب عملية	27.972	4،18	10.804	9،73	2،59
دين	224	0،03	19	0،02	11،79
قواميس وموسوعات	18.655	2،79	2.416	2،18	7،72
رسوم	5.400	0،81	1.415	1،27	3،82
أخرى	733	0،11	71	0،06	10،32

المصدر : «فيديكالي»، ص: 103.

يلاحظ في هذا الجدول أن ما أرسل إلى المغرب من كتب عام 2011 وصل تَعدادُه إلى 110.983، وبلغت قيمته زهاءَ 0.7 مليون أورو. ويجب أن نشير إلى أن المعطيات الواردة في الجدول تتعلق فقط بالكتب، حيث إن إسبانيا لا تصدر إلى المغرب منشورات من قبيل ما يباع في الأكشاك.

إن حقل التعليم غير الجامعي المغربي هو أكبر مستورِد للكتب الإسبانية، إذ وصل رقم المعاملات الإجمالي إلى 221،360 أورو، وهو ما يمثل نسبة 33،07 بالمائة من مجموع الصادرات. اما ثاني حقل من حيث الاهمية، فهو حقل العلوم الاجتماعية، بنسبة قدرها 24 بالمائة من المجموع.

ويتضح أنه في هذا الحقل المعرفي كما في التعليم غير الجامعي، تستحوذ دروس تعليم الإسبانية على حصة الأسد مما يستورَد، مما يعني أن تعلم اللغة هو المحرك الاساسي للواردات من الكتب الإسبانية.

ومما يلفت النظرَ أيضا تواجدُ المنتجاتِ الأدبية وكتب الأطفال والشباب بنسبتي 14.97 بالمائة و11،51 بالمائة على التوالي.

إن الأصناف الأربعة المشار إليها تمثل نسبة تناهز 84 بالمائة من مجموع صادرات الكتب الإسبانية إلى الضفة الأخرى من المضيق. ومن جهة أخرى، فقد بلغ متوسط السعر 6،03 أورو في 2011، ما يبين المجهود الذي يبذله قطاع النشر الإسباني للتكيف مع اقتصاد البلد المستقبِل. والظاهر انه مجهود يتواصل بداب، فقد كان التفاوت في ثمن هذه الكتب بين سنتي 2011 و2010 تفاوتا ادنى واقل من مؤشِّر أسعار الاستهلاك في المغرب لسنة 2011.

وفيما يتعلق بتطور صادرات قطاع النشر إلى المغرب، يتبين أنها اتسمت بالتغير والتفاوت منذ 2006. فمع أنه قد لوحظ ما بين عامي 2008 و2010 نوعٌ من الاستقرار في الطلب المغربي على الكتب بالإسبانية، إلا أن سنة 2011 سجلت انخفاضا حادا (بلغ نسبة 44،48 بالمائة) في حجم ما صُدّر إلى المغرب. والحال أن هذا إنما يعكس على نحو ما تداعيات الأزمة الاقتصادية وما أحدثته من آثار في قطاع النشر برُمَّته؛ فالكثير من صادراته هي كتب تخص مناهج تدريس اللغة، كتب كان بالإمكان الاتفاق على اقتنائها من قبل المدارس والأكاديميات المغربية في السنة السابقة، ولعل في هذا ما يفسر ارتفاع الصادرات الإسبانية سنة 2010 قياسا إلى ما كانت عليه سنة 2009.

الرسم البياني 1.10: تطور صادرات قطاع النشر الإسباني إلى المغرب.2011 (بآلاف الأورو).

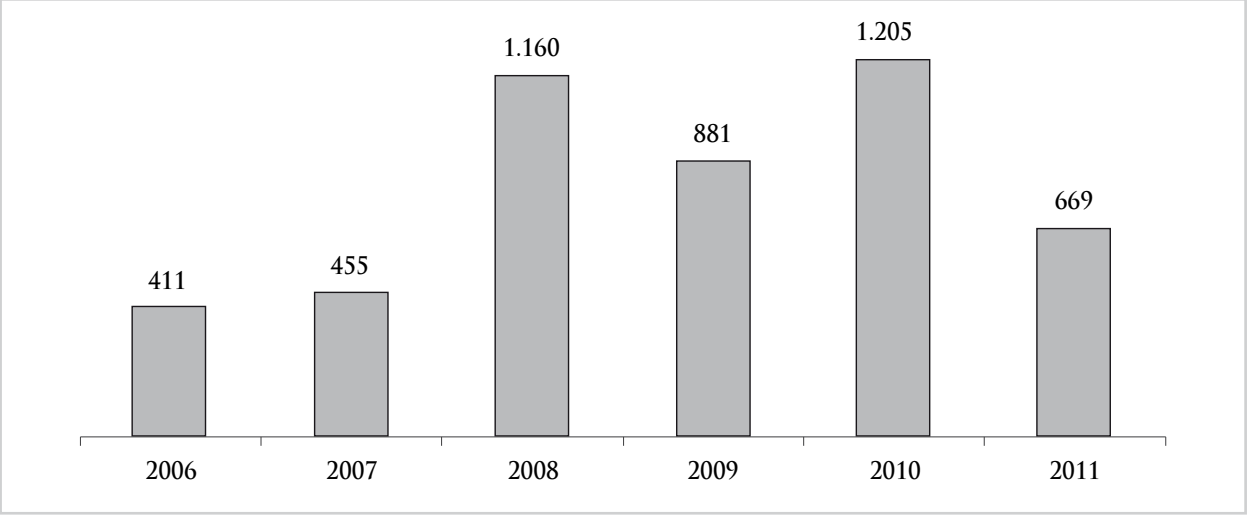

المصدر: "فيديكالي"2012،2011، 2010، 2009، 2008، 2007.

الملاحظ أنه في عام 2011، عرفت أبرز التخصصات وأكبرُها حجماً بعض التقلّص في رقم معاملاتها، باستثناء كتب تبسيط العلوم ومؤلفات العلوم الاجتماعية.

ويمكن القول إن في التزايد الذي شهدته صادرات هذا المبحث الأخير – الذي تحتل كتب تعلم اللغة نصيبا وافرا منه – وهو تزايد بلغ نسبة 49 بالمائة مقارنة مع حجمه سنة 2010، ما يقود إلى الاعتقاد أن الثقافة واللغة الإسبانيتين أصبح لهما شيئا فشيئا موطئُ قدم في البلد الجار ("فيديكالي" 2012: ص 104). ولا غرابة، فمن بين البلدان الواقعة خارج أوربا، يعد المغرب ثالث وجهة للصادراتً الإسبانية من كتب تدريس اللغة (بمبلغ قدره 0،4 مليون أورو)، ولا تتخطاه في ذلك إلا البرازيل (بما قدره 1،9 مليون أورو) والولايات المتحدة (بما قدره 1،30 مليون أورو) (ن. م : ص 97). هذا يظهر بجلاء ما يثيره تعلّم هذه اللغة من اهتمام وإقبالٍ في المملكة المغربية.

وبالإضافة إلى كون المغرب يقوم باستيراد المؤلفات المكتوبة بالإسبانية، هناك كذلك إنتاج مغربي صرف لعدد من الإصدارات بالإسبانية، وإن كانت ضئيلة الحجم إذا ما قورنت بنظيراتها المكتوبة بلغات أخرى أكثر شيوعا، مثل العربية والفرنسية. حقا، فحسب دراسة استقصائية نشرتها الأمم المتحدة في الفترة الممتدة من 2002 إلى 2004، يتضح أن الإسبانية، ب 11 إصداراً، مثلت نسبة قدرُها 0،37 بالمائة من مجموع إنتاج قطاع النشر المغربي. أما العربية، فتصدَّرت قطاع النشر (بنسبة 70،89 بالمائة) متبوعة بالفرنسية (24،30 بالمائة)، ثم الإنجليزية (2،12 بالمائة). إن هذه المعلومات تبين أن اللغة الإسبانية حاضرة في عالم النشر بالمغرب وإن على استحياء. لكنه حضور تتجاوز به قليلا اللغة الأمازيغية من حيث عدد الإصدارات.

ولا بد أن ننوه أيضا في هذا السياق بالدور الذي تضطلع به الجامعات المغربية، التي لها نشاطُها الخاص في ميدان النشر، وهو نشاط دؤوب سمته التميز والجودة قياسا إلى ما تقدمه دور النشر التجارية.

الرسم البياني 2.10: توزيع إنتاج قطاع النشر المغربي حسب اللغات. 2002–2004، بالنسبة المائوية وبعدد الإصدارات.

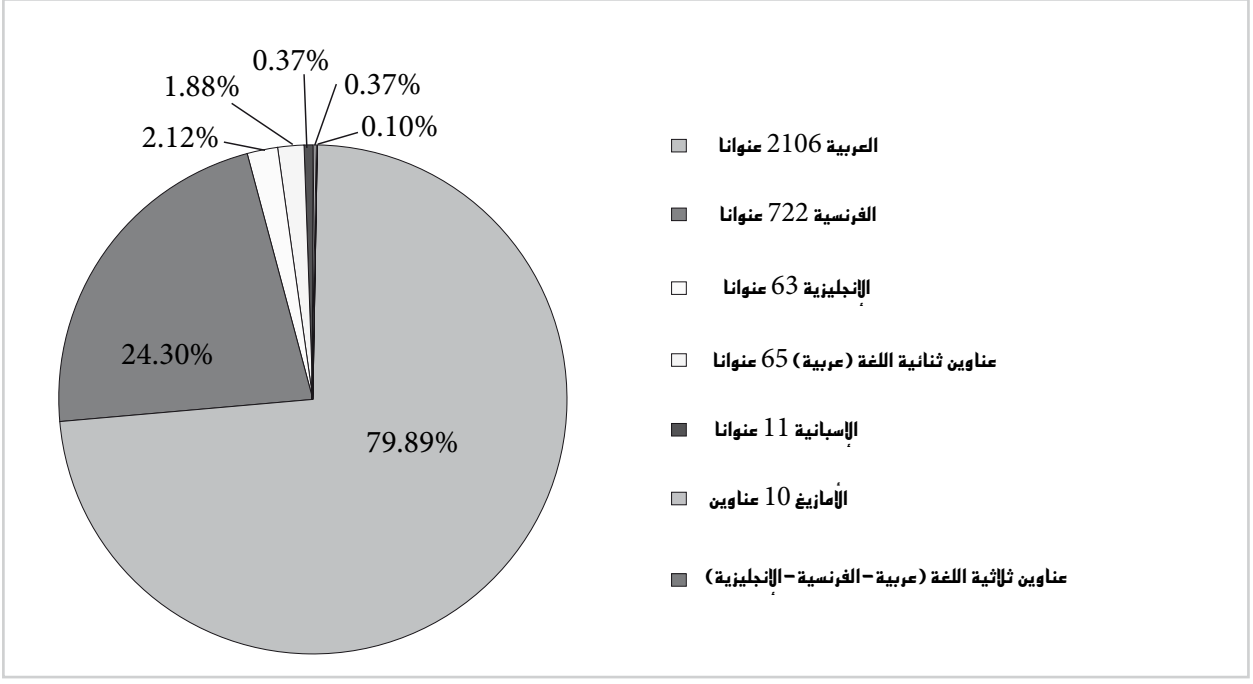

المصدر: اليونيسكو 2006، ص: 35.

إن مساهمة الناشرين تبقى محدودة مقارنة مع الإصدارات التي تتم على حساب المؤلف. هكذا سجلت فترة 2004–2002 مساهمة 93 ناشرا بإنتاج تعداده 913 عنوانا (30،73 بالمائة من الإنتاج الإجمالي) مقابل 948 عنوانا (31.91 بالمائة) أصدرها الكتاب على نفقتهم. أما باقي المنشورات، فتأتي من المجلات (7،78 بالمائة)، والجمعيات (7،47 بالمائة) والمؤسسات العليا (5،79 بالمائة)، والوزارات (4،98 بالمائة)، والمصالح الرسمية (2،79 بالمائة)، ومراكز البحث (2،73 بالمائة) إلخ. وحريٌّ بنا أن نشير أيضا إلى أن مساهمة دور النشر ربما تكون أقل وأدنى، إذ إن بعض إصداراتها قد تكون في حقيقة الأمر تمت على حساب المؤلف بطريقة مقنَّعة (اليونسكو: 2006، ص25).

ومن جملة ما يتسم به الإنتاج على حساب المؤلف شيوع استعمال اللغة العربية أولا، وهيمنة الأدب ثانيا (ن. م: ص 25).

الجدول 2.10: توزيع إنتاج قطاع النشر على حساب المؤلف حسب اللغة 2002–2004.

اللغات	العناوين	النسبة المائوية
العربية	737	77،74
الفرنسية	187	19،73
الأمازيغية	5	0،53
الإنجليزية	9	0،95
الإسبانية	8	0،84
ثنائي اللغة (العربية – اللاتينية)	2	0،21
ثلاثي اللغة (العربية، الفرنسية، الانجليزية).	0	0،00
المجموع	948	100.00

المصدر: اليونسكو 2006، ص: 35.

الملاحظ أن 72،72 بالمائة من الإنتاج بالإسبانية هو إنتاج يتحمل الكاتب أعباءه، وهو ما يمثل 0،84 بالمائة من مجموع هذا الخيار في النشر. إن هذا يبيِّن، من ناحية، ما تبديه صناعة النشر المغربية من قليل الاهتمام بالإصدارات المكتوبة باللسان الإسباني، إذ إنها طيلة الفترة الممتدة من 2002 إلى 2004، لم تُخرج إلى السوق سوى ثلاثة عناوين بالإسبانية. ومن ناحية أخرى، يستشَفُّ من الأرقام أن الفضاء المؤسساتي قد يكون هو المحرك الرئيسيَ لهذه الإصدارات المكتوبة بالإسبانية، لأن البعض منها ربما هو عبارة عن إصدارات مؤسساتية مقنَّعة. وأخيرا، ففي ذلك إشارة أيضا إلى أن ثمة زمرة من الكتاب المغاربة اختارت اللغة الإسبانية أداةً للإبداع.

وهناك وسيلة أخرى جمَّة الفائدة في قياس مدى ذيوع اللغة والثقافة الإسبانيتين في المجتمع المغربي، وهي ترجمة الكتب، سواء من اللسان الإسباني إلى العربي أو من العربي إلى الإسباني. الواقع أنه على غرار ما جرى في باقي مغامرات قطاع النشر، ظل تاريخ الترجمة بين المغرب وإسبانيا رهيناً شديد الارتباط بالفترة الزمنية الممتدة من حرب تطوان (1860–1859) إلى ما حدث مؤخرا من هجرة المغاربة صوب إسبانيا («فرناندیث بارِّییًّا» و»رودریغیث لوبیث» 2007 : ص 283).

الملاحظ أنه إلى حدود سنة 2006، ترجم إلى الإسبانية زهاء مئة عمل لكتاب مغاربة، وهو عدد قليل بالنظر إلى علاقة الجوار التي تجمع بين البلدين. وتنتمي أكثر هذه الأعمال إلى مجال السرد.

أما في ما يتصل بالترجمات من الإسبانية إلى العربية، فيتبيَّن أن ضآلة النشاط الاستعماري الإسباني وانحسار رقعته في العالم العربي تركت بصماتها واضحة في تواجد الكتاب الإسبان في قطاع النشر المغربي. فحتى أواسط القرن العشرين تقريبا، ظلت الترجمات القليلة التي كان بالإمكان رؤيتها على رفوف المكتبات المغربية تقتصر على كتاب نالوا جوائز دولية شان «كاميلو خوسي ثيلا»، أو مؤلفين ذوي صيت عالمي مثل «فيديركو غارسيا لوركا» (ن.م: ص292). بيد أن هذا الوضع طفق يتغير شيئا فشيئا، إذ نرى اليوم عددا لا يحصى من الترجمات لكتاب معاصرين من إسبانيا وأمريكا اللاتينية.

ومهما يكن من أمر، فلا يسوغ القول إن الكتب المنقولة من الإسبانية إلى العربية تنتَج إنتاجاً غزيرا حقا، لا سيَّما إذا ما قارنَّاها بما يُنجَز من ترجمات من اللسان الفرنسي إلى العربي.

الجدول 3.10: توزيع الإنتاج المترجَم من قطاع النشر المغربي حسب اللغة 2002–2004.

اللغات	عدد العناوين	النسبة المائوية
فرنسية – عربية	78	70،91
إسبانية – عربية	15	13،64
عربية – فرنسية	8	7،27
إنجليزية – عربية	3	2،73
عربية–إنجليزية	2	1،82
أمازيغية – إنجليزية	1	0،91
إنجليزية – فرنسية	1	0،91
عربية – أمازيغية	1	0،91
فارسية – عربية	1	0،91
المجموع	110	100،00

المصدر: اليونسكو –2006 ص: 17.

يتضح من هذا الجدول أن الإسبانية تحتل المرتبة الثانية في إنتاج قطاع النشر المغربي من الكتب المترجمة، وذلك بخمسة عشر عملا مترجما (13،64 بالمائة من المجموع)، الأمر الذي يبيِّن مدى الاهتمام الموجود بالثقافة والآداب الإسبانيين في المغرب. ورغم ذلك، فهناك فرق شاسع بين الإسبانية والفرنسية، إذ نرى هيمنة واضحة للترجمة من الفرنسية إلى العربية خلال الفترة –2002 2004، بإصدار 78 عنوانا (70،91 بالمائة). ومع ذلك، فالترجمات من الإسبانية إلى العربية تفوق عدداً الكتبَ المنقولة من اللسان الإنجليزي إلى العربي، وهو أمر لا يخلو من طرافة اعتبارا لما تمتاز به اللغة الإنجليزية من إشعاع دولي وما تتسم به من غزارة في إنتاجها الادبي والعلمي.

وقد حافظت اللغة الإسبانية على هذه المرتبة إبان الفترة الممتدة من 2004 إلى 2008 إذا ما أُخذنا بالاعتبار عدد الرخص الممنوحة للترجمة. ومما أسهم بنصيب وافر في الإبقاء على هذه الوضعية بين الإصدارات المغربية العمل الذي اضطلعت به في مجال النشر مؤسساتٌ مثل معهد سرفانطيس، الذي ساعد على مد الجسور الثقافية بين البلدين، إذ سهر على ترجمة أعمال لمؤلفين من الضفتين. هكذا فإلى غاية سنة 2008، قام معهد سرفانطيس بمدينتي الرباط وطنجة بإصدار خمسة عشر كتابا مترجما من الإسبانية إلى العربية (معهد سرفانطيس بالدار البيضاء 2008 : ص 5).

يتعلق الأمر بالمؤلفات الآتية :

Marruecos en la imaginación de Ramón J. Sender	المغرب في المتخيل، من تأليف «رامون خ. سيندر»
Antología poética de Jorge Guillén	مختارات شعرية، من نظم «خورخي غييين»
Antología poética de Ángel González	مختارات شعرية من نظم «أنخيل غونثاليث»
Sobre una piedra extrema / Andrés Sánchez Robayna	على حجرة متطرفة، من تأليف «أندريس سانتشيس روبابنا»
La llama azul / Basilio Rodríguez	الشعلة الزرقاء، بقلم «باسيليو رودريغيث»
Un mismo fuego / Carlos Marzal	النار نفسها، من تأليف «كارلوس مارثال»
Poesía española contemporánea	شعر إسباني معاصر
Palabras a la oscuridad / Francisco Brines	كلمات للظلام، من تأليف «فرانسيسكو برينيس»
La oveja negra y demás fábulas / Augusto Monterroso	الشاة السوداء وخرافات أخرى، من تأليف «أوغوستو مونتروسو»
En busca del dinosaurio: Antología de microrrelatos hispanoamericanos	بحثا عن الديناصور: قصص قصيرة مختارة من أمريكا اللاتينية
La lengua de la revolución y otros ensayos / José María Ridao	لغة الثورة ومقالات أخرى، من تأليف «خوسي ماريا ريداو»
Si o vello Sinbad volvese as illas / Álvaro Cunqueiro	لو صار السندباد...، من تأليف «ألفارو كونكيرو»
El paseo de la viuda / Antón Castro، Nicolas Melini	تجوال الأرملة، من تأليف «أنطون كاسترو» و«نيكولاس ميليني»
Poesía catalana actual	الشعر الكاطالاني المعاصر
Fronteras de cristal / Juan Goytisolo	حدود من زجاج، من تأليف «خوان غويتيسولو»

ومن الأمارات والدلائل الأخرى التي تشهد على حضور الإسبانية في الثقافة المغربية الأهمية التي يوليها الوسط الأكاديمي لهذه اللغة. فالدراسات بالإسبانية حول المغرب خصوصا والثقافة العربية عموما تحتل أيضا مكانة متميزة في المكتبات المخصصة لهذا النوع من المباحث.

هذا ما يستخلَص في أدنى تقدير من تحليل قائمة المصادر والمراجع الموجودة بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية. إن هذه المكتبة، التي فتحت ابوابها امام العموم في 1985، تحتوي على رصيد من الدراسات المغاربية قلّ نظيره غنىً وثراءً. فقد بلغ عدد المؤلفات والمصنفات فيها 620،000 سنة 2008؛ أما لغات الاشتغال الاساسية فيها، فهي العربية (39 بالمائة)، والفرنسية (39 بالمائة)، والإنجليزية (16 بالمائة)، والإسبانية (5 بالمائة)[6].

وهناك قطاع آخر ذو حضور بارز في نشر الثقافة الإسبانية، ومن ثمَّ في نشر اللغة الإسبانية على نحو غير مباشر، إنه قطاع فنون الرسم والتخطيط. فهذا القطاع لا يسهم فقط في تأمين حضور الفنانين والمصممين الإسبان بالمغرب، بل كذلك في تعزيز صورة إسبانيا والعلامة المقترنة بها في البلد الجار.

ولئن كان من البدهي أنه يصعب قياس مدى التأثير الذي قد يحدثه هذا القطاع في تعلم الإسبانية، إلا أن إسهامه في صياغة المتخيل المغربي في صلته باللغة الإسبانية وأهلها يبقى مع ذلك إسهاما لا يستهان به. ولا غرو في ذلك، فقد بلغ رقم المعاملات الخاص بصادرات هذا القطاع من إسبانيا إلى المغرب عام 2011 مبلغا يفوق بأربعة أضعاف ما حققته الكتب الموضوعة للقراءة.

ومتى أدخلنا في الحسبان أنه بين هذه الصادرات توجد كتب تتحدث عن ثلة من الفنانين، ومنهم فنانون إسبان، اتضح لنا كيف أن هذه الصادرات بحجمها الكبير توحي ضمنيا بانتشار واسع للثقافة الإسبانية بالبلد الجار. ثم إن هذا الانتشار يبدو مستمرا متواصلا في الزمن كما يوضح ذلك الرسم البياني الخاص بتطور هذا القطاع ما بين 1998 و2011.

الرسم البياني 3.10: تطور الصادرات الإسبانية إلى المغرب، قطاع فنون الرسم والتخطيط. 1998-2011 (بآلاف الأورو).

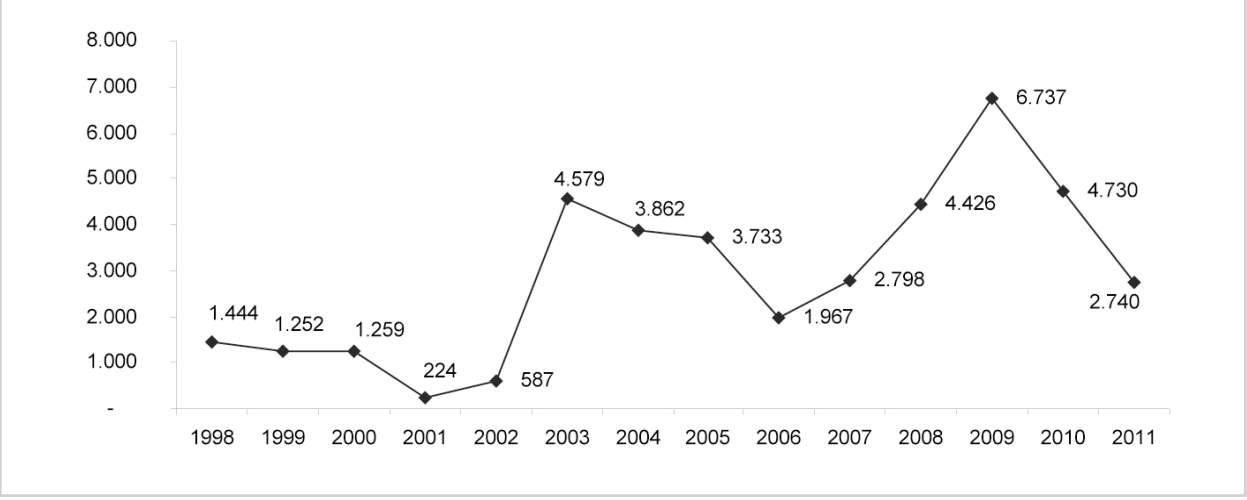

المصدر: "فيديكالي" 2012، ص 103؛ و2007، ص 29.

6 – قناة دوزم الدولية (2M Internacional) أول قناة تلفزية خاصة في المغرب. كانت تبث برامجها مشفرة قبل أن تمر بسبب مصاعبها المالية إلى أيدي الدولة، التي تملك حاليا 70% من أسهمها.

الفصل الحادي عشر. القطاع السمعي البصري

ترجع بدايات الإذاعة والتلفزة بالمغرب إلى القرن الماضي، فقد بدأ البث الإذاعي عام 1928 والبث التلفزي عام 1951. ويتضح أن بقاء هذه الوسائل في يد الدولة لأمد طويل لم يُسهم بنصيب وافر في تطوُّرها على نحو ثابت ومتناغم (اليونسكو 2007 :52 ص). هكذا وجب أن ننتظر عقد الثمانينيات كي ترى النورَ أول قناة إذاعيةً خاصة فيَ المغرب هي إذاعة البحر الابيض المتوسط الدولية «ميدي 1»، وكذا أول قناة تلفزية تبث خارج حدود البلاد، وهي قناة «دوزيم» الدولية[7].

ورغم ذلك، فقد أقدم المغرب في العقد الأخير على إصلاح عميق لقطاعه السمعي البصري، إصلاح يروم تحديث الإذاعة والتلفزة العموميتين، وفتح المجال أمام القطاع الخاص، وذلك استنادا إلى رؤية إستراتيجية وخطة عمل مهدت الطريق نحو التغيير.

ويمكن إجمال مقوِّمات هذا الإصلاح ومقتضياته في ما يلي: إحداث الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري (HACA)[8]؛ وإلغاء احتكار الدولة للبث في 2002؛ وإصدار قانون للاتصال السمعي البصري في فبراير 2005؛ وإحداث القنوات الموضوعاتية والجهوية الجديدة ابتداء من سنة 2003؛ والتوقيع على دفتر التحملات الخاص بالعقود وببرامج القنوات العمومية؛ وأخيرا، منح تراخيص لفاعلين جدد من الخواص (ن. م).

وفي ماي 2006، منحت السلطة العليا للاتصال السمعي البصري (HACA) إحدى عشرة رخصة، عشر رخص تخص الإذاعة وواحدة تخص التلفزة (IVEX 2011 ص 9 (=المعهد الفالنسي للتصدير).

وتتولى الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة (SNRT) الإشرافَ حاليا على إدارة القنوات التلفزية الآتية:

- القناة الفضائية الأولى؛
- المغربية (وهي موجهة للجاليات المغربية بالخارج)؛
- الرابعة / SNRT4 (وهي قناة تربوية)؛
- الرياضية (وهي قناة رياضية)؛
- السادسة / SNRT6 (وهي قناة دينية)؛
- الأولى العيون (وهذه أول قناة تلفزية جهوية بالمغرب العربي، وهي تابعة للمندوبية الإقليمية للشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة بمنطقة الصحراء المغربية)؛
- أفلام تي.في TV Aflam (وهي قناة سينمائية)؛
- تامازيغت (وهي قناة موجهة لسكان منطقة الريف).

7- http://www.haca.ma/index.jsp?id=62

8- انظر http://www.snrt.ma/grille__programmes.php.

وتجدر الإشارة إلى أنه داخل هذا الإطار التنظيمي، يتسم العرض الإذاعي والتلفزي المغربي باللغة الإسبانية بكونه غاية في الضآلة. فالقناة الفضائية الأولى تدرج في برامجها، في الساعة 20:14 بعد الظهر، نشرةَ أخبارٍ يومية بالإسبانية لا تتعدى مدتُها نصف الساعة[9]. وتقدم القناة الإذاعَية الدولية ساعة من البث كل يوم بالإسبانية، وهي مدة زمنية أقل من الساعة ونصف الساعة المخصصة للبث بالفرنسية والإنجليزية (يحيى 2011)، وعلى كل حال، فهذه البرامج إنما هي موجهة للجالية المغربية الناطقة بالإسبانية، وليس للسكان المغاربة.

الواقع أن أبرز مؤشر يتأتّى به قياسُ مدى حضور الإسبانية في المجال السمعي البصري المغربي هو العدد الهائل من الهوائيات الموجودة بالمغرب. فمع أنه لا تتوفر معلومات دقيقة حول عددها، إلا أن هذا العدد قدِّر بنحو مليوني صحن هوائي في عام 2013 («كوهي انشيا» 2003 : ص21).

لقد كان هناك إقبالٌ كبير في التسعينيات من القرن الماضي على برامج التلفزة الإسبانية في المناطق المغربية التي تلتقَط فيها إشارتُها، وبالأخص على مباريات كرة القدم، التي كانت تشدُّ انتباه جمهور غفير شغوف بتتبع البطولة الوطنية الإسبانية. وبالإضافة إلى شمال المغرب، حيث تشاهَد القنوات الإسبانية على امتداد السنة، هناك مدنٌ أخرى كثيرة تلتقط فيها إشارة هذه القنوات. بيد أنه رغم كون كرة القدم الإسبانية ما فتئت تستهوي الجمهور المغربي وتستأثر باهتمامه، إلا أن الإقبال على مشاهدة التلفزة الإسبانية أخذ يتضاءل ويضمحلّ في السنوات الأخيرة، ومرد ذلك في نصيب منه إلى تنامي وتكاثر العرض التلفزي الآتي من القنوات الأجنبية بفضل التطور التكنولوجي، وكذلك إلى بروز شبكة الأنترنيت واقتحامِها المشهدَ الإعلامي المغربي.

ومهما يكن من أمر، فإن نسبة 56 بالمائة من جمهور المشاهدين المغاربة يفضلون القنوات التلفزية الأجنبية على الوطنية. هذا على الأقل ما يستشَفُّ من الدراسة التي نشرتها مؤسسة «ماروك ميتري»[10]، التي لا تقدم مع ذلك تفاصيل دقيقة عن القنوات الأكثر استمالة للجمهور. غير أن استقصاء أجريَ سنة2011 في صفوف عدد من الطلبة المغاربة بيَّن أن الأغلبية يميلون أكثر إلى مشاهدة قنوات الشرق الأوسط (76 بالمائة)، بينما لاَ تجذب القنوات الغربية سوى نسبة 7 بالمائة من المستجوَبين.

ومتى أخذنا بعين الاعتبار كونَ هذه النسبة (7 بالمائة) تضم أيضا القنوات الناطقة بالفرنسية والإنجليزية، اتضح لنا أن نسبة مشاهدة الإسبانية تبقى ضئيلة. ومع ذلك فلما كان ترجيحُ القنوات الأجنبية يبدو أغلبَ وأعمَّ في شمال البلاد (60 بالمائة)، فأكثر الظن أن التلفزة الناطقة بالإسبانية هي من بين القنوات الأكثر استقطابا للجمهور.

وهناك عامل آخر بالغ الأهمية يتسنَّى به تقييم وضع اللغة والثقافة الإسبانيتين ضمن القطاع السمعي البصري المغربي، إنه حضور المنتَج الثقافي الآتي من إسبانيا ومن بلدان أخرى ناطقة بالإسبانية. وينبغي الإشارة في هذا السياق إلى انه على الرغم مما يمثله القطاعُ السمعي البصري المغربي كوجهةٍ مفيدة للمنتَج الإسباني، إلا أن حجم هذه السوق يظل هزيلا في الوقت الراهن.

أما الصناعة السينمائية، فرغم أنها تتقدم بخطى بطيئة، إلا أنها ما تزال في بداياتها وينحصر إنتاجُها في حوالي عشرة أفلام مغربية في السنة، ونظير هذا العدد من الأفلام الأجنبية. والحال أن تصوير فيلم أمريكي أو فيلمين مَن الإنتاجات الضخمة يشكل حصة الأسد من عائدات هذه الصناعة في السنة، مع ما يعنيه ذلك من تبعية.

وحري بنا أن نشيرٍ إلى أنه منذ أن اختار «ألفريد هيتشكوك»، في سنة 1956 ، مدينة مراكش لتصويرٍ مشاهد عدة من شريطه «الرجل الذي كان يعرف اكثر مما ينبغي»، راح عدد كبير من المخرجين من ذوي الصيت العالمي يصوِّرون أفلاما بالمغرب حيث يستهويهم تنوع المناظر والثراء المعماري ولا سيما عنصر الضوء.

---

9 – شركة مختصة في قياس نسب المشاهدة في المغرب. والمعطيات الواردة هنا تخص شهر أبريل 2012.

10– انظر موقع http://www.boe.es/diario__boe/txt.php?id=BOE-A-2001-20993

ولئن كانت مدينتا مراكش والدار البيضاء تزخران بمشاهد طبيعية قل نظيرها، فإن ورزازات، المدينة الصغيرة الواقعة جنوب جبال الأطلس على مشارف الصحراء، تمثل منذ أمدٍ بعيد أهمَّ قِبلة تجذب أهل الإنتاج السينمائي بالمغرب.

الواقع أن من سمات المغرب، مقارنة مع بلدان أخرى منافسة، أنه يتوفر على بُنى تحتية ملائمة، ويتسم بالاستقرار السياسي ويمنح حرية تامة للإنتاج. ثم إن السلطات المغربية واعيةٌ تمام الوعي بأهمية هذا القطاع وطاقاته الهائلة تحديدا، سواء تعلق الامر بنشر الثقافة المغربية أو بجلب العملة الصعبة. حقا، فالمغرب يمنح دعما مؤسساتيا قويا للصناعة السمعية البصرية، معتبرا إياها مصدرا هاما للمداخيل ونشاطا يتيح خلق مناصب الشغل، خاصة في بعض القطاعات مثل قطاع السياحة. لذا شجعت السلطات تنظيم العديد من المهرجانات السينمائية، ومن أبرزها «مهرجان مراكش الدولي»، كما عملت على إبرام اتفاقيات إنتاج مشترك مع إحدى عشرة دولة، من بينها إسبانيا.

في هذا السياق جاءت اتفاقية الإنتاج المشترك والتبادل السينمائي، التي أبرمت بين المملكة الإسبانية والمملكة المغربية، ودخلت حيز التنفيذ في أكتوبر 2001[11]. وكان الهدف المتوخى منها «الإسهام في تطوير الصناعات السينمائية، وتنمية التبادلات الاقتصادية والثقافية بين البلدين». غير أن هذه التبادلات لم تكن كثيرة فعلا منذ إبرام الاتفاقية.

الجدول 1.11: الإنتاجات المشتركة بين إسبانيا والمغرب. 2002–2011.

السنة	عدد الإنتاجات المشتركة	الدول المشاركة
2002	0	إسبانيا–المغرب إسبانيا، فرنسا، المغرب
2003	0	
2004	0	
2005	1	
2006	1	
2007	0	
2008	0	
2009	0	
2010	0	
2011	0	

المصدر: معهد التصوير السينمائي والفنون السمعية البصرية (ICAA) والمركز السينمائي المغربي (CCM).

كما يلاحظ، اقتصر الأمرُ خلال الفترة الممتدة من 2002 إلى 2011، على إنتاجين مشتركين لا غير بين المغرب وإسبانيا، مما يبين أن هذه الاتفاقية لم يكن لها وقعٌ كبير. أما الأفلام الإسبانية المعروضة بدور السينما المغربية، فيبقى عددها متواضعا أيضا إذا احتكمنا إلى عدد رخص العرض التي يقدمها المركز السينمائي المغربي.

11 – حسب قيمة الصرف في 2004.

الجدول 2.11: الأفلام الإسبانية الحاصلة على رخصة التوزيع : 2004-2011

السنة	العدد	المجموع	إنتاج مشترك مع
2004	2	251	1.الولايات المتحدة 2. الولايات المتحدة وفرنسا الولايات المتحدة وإسبانيا
2005	0	276	
2006	0	264	
2007	0	188	
2008	0	162	
2009	3	150	
2010	1	135	
2011	0	194	

المصدر: المركز السينمائي المغربي (CCM).

الملاحظ أنه ما بين 2004 و 2011، لم تحصل سوى ستة أفلام إسبانية على الترخيص لعرضَها بدور السينما المغربية. وفضلا عن ذلك، فمعظم هذه الاعمال لم تكن إسبانية خالصة، بل كانت إنتَاجا مُشتركا مع دول أخرى. ومهما يكن من أمر، فقد انخفض العدد الإجمالي المرخص له منذ 2004 حتى 2010 انخفاضا تدريجيا، مما يعني تزايدا في حصة مشاهدة السينما الإسبانية بالمغرب. ويسوغ لنا أن نستخلص من هذا التزايد أن اتفاقية التعاون في القطاع السينمائي الموقعة بين إسبانيا والمغرب بدأت تؤتي أكلها.

ويلاحظ من جهة أخرى أن عائدات الأفلام الإسبانية لم تكن مرتفعة حقا هي الأخرى. مثال ذلك أن الفيلمين الوحيدين اللذين هما من إنتاج إسباني صرف، واللذين تم عرضهما سنة 2004، لم يحققا من العائدات سوى 216.000 درهم، أي ما يساوي نحو 20.000 أورو[12]. وعلى كل حال، ينبغي القول إن إسبانيا لم تتمكن قط من أن تضع أحد أفلامها المعروضة بالمغرب بين الأشرطة الثلاثين الأولى من حيث العائدات. وليس المشهدُ بأحسنَ حالاً من هذا من جهة الجنسيات. فقد كانت سنة 2010 هي السنة الوحيدة التي استطاعت فيها إسبانيا أن تكون بين الدول الأجنبية الثمانية الأولى من حيث ما حققته من عائدات؛ وما كان ذلك إلا بفضل إنتاج مشترك مع الولايات المتحدة.

ولنشرْ أخيرا إلى أن تصوير أفلام إسبانية في الضفة الأخرى من مضيق جبل طارق لا يمثل نسبة عالية ضمنَ إجماليِّ إنتاج السينما الإسبانية، وذلك على الرغم من أن تكاليف الإنتاج بالمغرب هي أقل من نظيراتها بأوربا والولايات المتحدة بنسبة تتراوح بين 10 بالمائة و 30 بالمائة. أضف إلى ذلك أن الدولة تعفي شركات الإنتاج الأجنبية من الضريبة على القيمة المضافة المفروضة على السلع والخدمات الاساسية المتعلقة بالإنتاج والتي يتم اقتناؤها بالمغرب.

12 - بوابة الأنترنيت الوطنية للمملكة المغربية 2013.

الجدول 3.11: أفلام ومسلسلات إسبانية تم تصويرها بالمغرب 2011–2009.

السنة	العدد	العنوان	المخرج	الفئة	المبلغ بالأورو
2009	3	La balada del Estrecho (أنشودة المضيق) Lope (لوبي) Burka por amor (نقاب للحب)	«خايمي بوطييًّا» Jaime Botella «أندروش وادنتون» Andruch Waddington «مانويل إسطوديُّو» Manuel Estodillo	فيلم طويل فيلم طويل فيلم تلفزي	6237 417.018 409.712
2010	0				
2011	1	El tiempo entre costuras (الزمن بين خياطات)	«إيميليو أ.بينو» Emilio A. Pino	مسلسل	

المصدر: المركز السينمائي المغربي.

يتضح أنه ما بين 2009 و 2011، صورت جزئيا بالمغرب أربعة أعمال إسبانية تتمثل في شريطين طويلين، وشريط تلفزي وحلقة من أحد المسلسلات التلفزيونية، وذلك بميزانية إجمالية قدرها 832.967 أورو.

الفصل الثاني عشر. الإسبانية في الصحافة التقليدية والرقمية

يلاحظ أنه من بين مجموع الدوريات المغربية وتعدادها 618، توجد 448 دورية مكتوبة بالعربية، و164 بالفرنسية، و5 بالأمازيغية[13]. أما المجلات الإسبانية التي حاولت أن تجد لها حيِّزاً في السوق المغربية، فلم تصبْ نصيبَها من النجاح وآل أمرها إلى الاندثار. والمجلة الوحيدة التي لا تزال على قيد الحياة حتى الآن هي مجلة «أتلايار» ATALÁYAR. ذلك أنه منذ أن اختفت جريدة La Mañana (ويعني عنوانها الصباح) في 2006، فإنه لا وجود للصحافة اليومية المكتوبة بالإسبانية. غير أن الأمر لم يكن كذلك على الدوام، إذ سبق لقطاع نشر الصحف والدوريات الإسبانية أن عرف بعض الازدهار ردحاً من الزمن في فترة الحماية.

لقد اقتصَر حديثُنا على مسألة إصدار الكتب دون غيرها في الفصل العاشر، وذلك في معرض تحليلنا للمعطيات المتعلقة بعالم النشر. إلا أنه يجدر بنا أن نشير إلى أنه حتى حلول أواسط القرن العشرين تقريبا، كانت الوسيلة الأساس للتعبير الأدبي والفكري في المغرب والعالم العربي تتمثل في المجلات والصحف («فرناندیث باریّا» و»رودریغیث لوبث» 2007: ص 284–283).

الواقع أنه في الفترة ما قبل الاستعمارية والاستعمارية، فتحت أبوابَها بمدينة سبتة ست وثلاثون مطبعة مدنية وست مطابع عسكرية، وأيضا إحدى وعشرون مطبعة بطنجة («موغا روميرو» 2007: 79). وفي هذه المطابع رأت النورَ أول النصوص والمجلات المكتوبة بالإسبانية، مجلات مثل El eco de Tetuán (وتعني صدى تطوان) التي كان يديرها «بيدرو أ. الاركون»، ومجلة Noticiero de Tetuán El (= أخبار تطوان). كما ظهرت زُمرة من الجرائد ينتصر أصحابُها للمصالح الإسبانية إبَّان حملة تطوان. وفي مليلية، أفضت حملة «مارغايو» إلى ظهور أول صحيفة مطبوعة تابعة لها وهي Diario de Melilla (= يومية مليلية). وخلال الثلث الأول من القرن العشرين، كانت دورية El Telegrama del Rif (= تلغرام الريف) من الإصدارات التي تعدَّ مرجعية في منطقة الحماية (ن. م : ص80).

لقد كان لهذه الدورية من الأهمية ما جعلها تضع الأسس لظهور مجموعة من المنشورات بمليلية بلغ عددها خمسا وعشرين دورية محلية، أهمها La Gaceta de Mellilla و La Africana و El Cisne (والمعنى جريدة مليلية، والإفريقية، والإوزة على التوالي،) وغيرها (ن. م:ص 82).

وقد أفسحت صحيفة Telegrama del Rif ، وصحف أخرى كانت تصدر بمدينة مليلية، السبيل أمام نشر كثير من المضامين على نطاق واسع في شمال المغرب، وهي مضامين أنتجتها ثلّة هامة من الصحافيين الإسبان، خاصة في المدة المتراوحة بين هزيمة أنوال (1921) وفترة التهدئة (1927). ومن جملة أهل الصحافة الذين تركوا بصماتهم في العديد من الجرائد والأخبار والكتب «فكتور رويث البنيث»، و»لويس دي اوتايثا» و»رفائيل لوبيث رييندا»، وآخرون (ن. م : ص 8).

وقد أتاحت مجلة La Revista de Tropas Coloniales (= مجلة الجيوش الاستعمارية)، التي أنشئت سنة 1924، بروزَ خطاب عملي أضحى يتبناه كتاب إسبان مستقرون بالمغرب، كما أنها صرَفتْ اهتمامَ المؤسسات الإسبانية إلى المغرب (ن. م: ص 89).

ولما جاء عهد الاستقلال، أغلقت كثير من الدوريات أبوابها على غرار ما حدث في مسألة إصدار الكتب، إلى أن لفظت أنفاسَها في عام 2006 آخرُ جريدة مكتوبة بالإسبانية. ومنذ ذلك الحين، لم يعد بالإمكان الحديث عن صحافة إسبانية صادرة بالمغرب، بل صار الحديث بالاحرى عن صورة إسبانيا في الصحافة المغربية، وهي صورة ترتبط وترتهن أحيانا كثيرة بالتوازنات والمصالح السياسية. أما نظرة معظم المغاربة إلى إسبانيا، فهي قلَّمَا تخضع للتقييم من قبل وسائل الإعلام؛ بل أكثر من ذلك، فإن سكان منطقتي الشمال والجنوب، حيث كانت الحماية الإسبانية تبسط نفوذها، قليلا ما يؤخذون بالاعتبار عند تحديد معالم هذه النظرة (أفايا وكراوي 2005: ص 63). بيد أن الكلام عن وسائل الإعلام بالمغرب وأثرها في الرأي العام هو أمر يستوجب لزاماً تحري الكثير من الحيطة والحذر، إذ إن عدد الدوريات التي يقرأها المغاربة يبقى ضئيلا قياسا إلى عدد السكان، الذي يبلغ الإثنين وثلاثين مليون نسمة (ن. م: ص 59).

13– إحصاءات الأنترنيت في العالم (2013): إحصاءات خاصة باستعمال الأنترنيت في إفريقيا.
Internet World Stats (2013): Internet Usage Statistics for Africa. http://www.internetworldstats.com/stats1.htm#africa

لقد ولَّى الآنَ زمنُ ذلك الخطاب الأحادي الذي كان يسود في الصحافة المغربية بخصوص العلاقات القائمة بين المغرب وإسبانيا. ومما يفسر بقدر كبير أحادية ذلك الخطاب أن المعلومة حول العلاقات مع الخارج كانت تأتي من مصدر واحد دون سواه، وهو وكالة المغرب العربي للأنباء (MAP) . لم يكن للصحف حينَها ولوجٌ مباشر إلى وكالات الأنباء الأجنبية، مثل وكالة الأنباء الفرنسية (AFR) ووكالة «رويتر». ثم إن أكثر الجرائد انتشارا مثل يومية «العلم» و«الاتحاد الاشتراكي» و«لوبنيون»L'Opinion كانت لسانا ينطق باسم أحزاب سياسية معينة، ومن ثم فهي إنما تعكس التوجهات التي ترتضيها هذه الأحزاب.

أضف إلى ذلك أن زمرة الصحافيين الناطقين بالإسبانية تبقى ضئيلة قليلة العدد مقارنة مع نظيرتها من أهل الصحافة الناطقين بالعربية أو الفرنسية، الأمر الذي لطالما شكّل وما يزال عائقاً يقف دون نقل نظرة متوازنة عَن إسبانيا، وهو عائق زاد من حدَّته ما نراه من غياب تام لصحافيين معتمَدين في إسبانيا منتمين إلى صحف مغربية (مجدوبي 2007: ص 504–503). أما الآن فَقد تغيرت الأمور إذ نجد على سبيل المثال أن لوكالة المغرب العربي للأنباء مكتبيْن كبيرين بكل من مدريد وبرشلونة. وبالمثل، توجد حاليا ستُّ وسائل إعلام إسبانية معتمَدة بالمغرب.

ومع ظهور الصحافة المستقلة في المغرب، راح يتلاشى الإجماع الإعلامي حول الشؤون الدبلوماسية القائمة بين البلدين، وبدأت ترى النورَ تعددية إعلامية ما زالت في طور تعزيز أسسها وتوطيد أركانها (ن. م: ص 505)، وينبغي أن نلفت النظر في هذا الصدد إلى كون دستور 2011 يتضمن مبدأ احترام حرية الرأي.

والملاحظ أنه في السنوات الأخيرة، شهد حضور إسبانيا في الصحافة المغربية تنامياً قويا إلى أن أضحت البلدَ الأجنبي الذي يحتل الحيز الأكبر في الأخبار التي تَوردها اليوميات المغربية (ن. م: ص 502)، وإن كان هَذا الحضور يرتبط في أكثر الأحيان بأحداث ذات طابع عرَضي ظرفي. ولا بد أن نَشير أيضا في هذا السياق إلى وجود ظاهرة الهجرة التي تتواصل وتيرتُها بلا انقطاع. ذلك أن إسبانيا، وقد صارت بلدَ استقبال للمهاجرين بعد أن كانت بلدَ عبور، أضحت موضوعا يُطلب بخصوصه قدرٌ أكبرُ من المعلومات، إذ في ربوعها يعيش عددٌ من الأقارب والأصدقاء، أو لأنها بكل بساطة الوجهةُ التي يقصدها كل من يرغب في الهجرة (ن. م: ص 472).

ومما أسهم بنصيب وافر في هذا الحضور المتنامي لإسبانيا في الصحف المغربية ما عرفته العلاقات التجارية والثقافية من تزايد في حجمها ووتيرتها، وكون التعاون بين البلدين صار أفضل وأقوى في جميع المجالات. ومن جانب آخر، أصبحتْ لإسبانيا في الصحافة المغربية صورةٌ أقوى وأرسخُ بوصفها بلدا ذا قوة اقتصادية وذا حضور متنامٍ في الساحة الدولية («رُوخُو» 2007: ص 472).

وحري بنا أن نشير في هذا السياق إلى أن صورة إسبانيا في الصحافة المغربية هي صورةٌ تجتمعُ فيها جوانبُ سلبية وأخرى إيجابية. إن هذه الازدواجية التي تسم النظرة إلى إسبانيا هي سمة تكاد تكون حاضرة في جميع وسائل الإعلام المغربية. فمن ناحية، هناك إشادةٌ بإسبانيا لما حققته من إقلاع اقتصادي، ولما بلغتْهُ ثقافتها من حضور متزايد خارج العالم الناطق بالإسبانية، ولصُعود نجمها في الساحة الدولية، ولما تثيره من الاهتمام بماضيها العربي.

ومن ناحية أخرى، فإن المسائل ذات الصلة بالماضي الاستعماري، والموقف الذي تتبناه الحكومة الإسبانية من بعض القضايا الثنائية، هي عناصر ما فتئت تشكل الجانب الأقل إشراقا في صورة إسبانيا في البلد الجار (ن. م : ص475). الواقع أن هذه النظرة إزاء إسبانيا والإسبان هي في نصيب كبير منها نظرة صاغتْها وبلورتْها وسائل الإعلام، وهذه لا تتسم كلُّها بالاستقلالية. ولعل في هذا ما يؤدي أحياناً إلى جعل النظرة التي تُنشرها وسائل الإعلام المغربية لا تتوافق مع نظرة المجتمع المغربي في مجمله.

إزاء هذا المشهد، ينبغي الإشارة إلى أن تغلغل شبكة الأنترنيت على نحو متزايد صار يفضي الآن إلى تحطيم الحواجز التي تضعها الرقابة الإعلامية، ممهداً الطريق امام تعدد الآراء من خلال الصحافة الرقمية، وهذا امرٌ لا يستهان به، لا سيَّما إذا علمنا أن المغرب، الذي بلغ تعداد مستخدمي الانترنيت فيه 16.477.712 مستخدم، هو البلد الأول في مجموع القارة الإفريقية من حيث ذيوع استعمال الشبكة العنكبوتية (بنسبة 51 بالمائة)[14]. إن أكثر من نصف السكان المغاربة يقضي ما يفوق أربع ساعات في اليوم مُبحراً على الشبكة، حسب النتائج التي توصل إليها استقصاء نشرته 2012) Averty Market Research et Intelligence)، بتعاون مع Maroc Numeric Cluster (تجمع مقاولات المغرب الرقمي) ويبقى الحاسوبُ المحمول أكثرَ ما يستعمَل من أجهزة الاتصال (بنسبة 88 بالمائة)، يليه الهاتف المحمول (55 بالمائة) ثم حاسوب المكتب (41 بالمائة).

الرسم البياني 1.12: تطور نسبة المغاربة الذي يستعملون الأنترنيت 2000–2011.

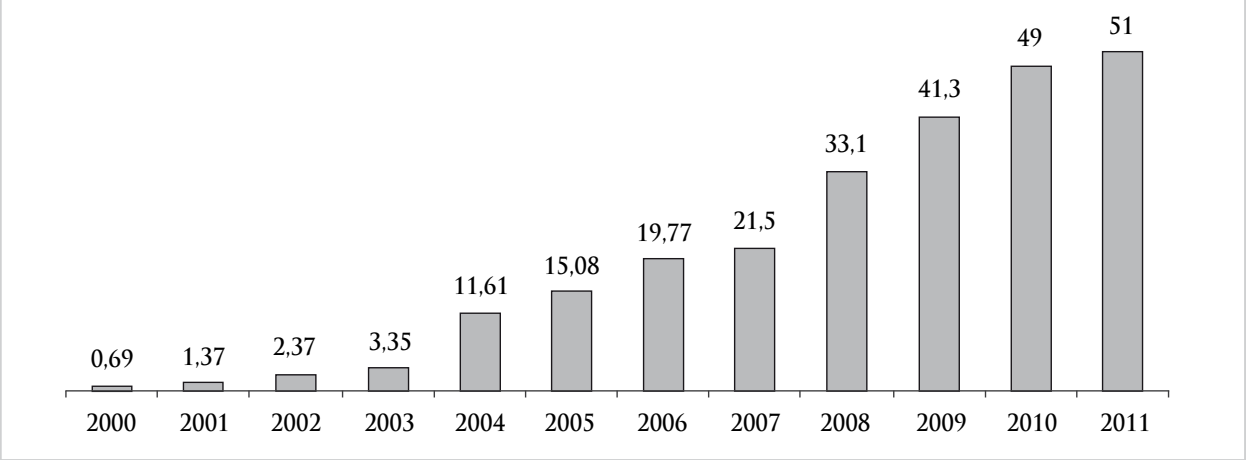

المصدر: الاتحاد الدولي للاتصالات. معطيات يناير 2013.

إن ظهور هذه الوسائل الجديدة بات يشكل تهديداً واضحا يُحْدق بالصحافة المكتوبة، التي راحت حصَّتُها من السوق تتناقص وتضمحلّ يوما بعد يوم[15]. ومع ذلك، فإن قطاع الصحافة الرقمية المغربية ما يزال في طور التكوين ويعاني من اختلالات ونقائص كثيرة مقارنة مع الصحافة المكتوبة، من قصور في تكوين الكثير من الصحافيين، وغياب للتمويل المناسب وانعدام الإطار التشريعي وغير ذلك.

ويتضح في ضوء دراسة أنجزتها الرابطة المغربية حول موضوع الصحافة الإلكترونية ونشرتها عام 2012 أن جلَّ الصحافيين الذين يشتغلون في وسائل الإعلام هذه (46 بالمائة) هم هواة لم يتلقوا أي تكوين صحافي. أضف إلى ذلك أن الصحافيين الذين يشاركون في هذه المشاريع إنما يفعلون ذلك رغبة منهم في التعبير عن آرائهم الشخصية (31 بالمائة) ودون الحصول على أي مقابل مادي (83 بالمائة)، ذلك أن أكثر هذه الوسائل ليست حتى مكونة كشركات إعلامية. إن ما يقارب نسبة 62،5 بالمائة من وسائل الإعلام الإلكترونية إنما تعتمد على تمويلها الخاص بحكم أن نسبة عائدات الإشهار لا تتجاوز 44،28 بالمائة. ومع ذلك نجد أن من سمات هذه الوسائل الرقمية الانتظام في تحيين المعلومات، فضلا عن وضوح خطِّها التحريري (84 بالمائة).

إنها معطياتٌ تبيِّن جميعُها مدى قوة الأنترنيت بوصفها قناة لارتياد الفضاء الإعلامي المغربي. ولا غرابة، فهذا المشهد المتغير بلا انقطاع يشكل مجالا فسيحا يتيح بامتياز الرفع من حصة السوق لدى الصحافة المستقلة والأجنبية، بما فيها الصحافة الإسبانية، خاصة إذا أدخلنا في الحسبان كون 95 بالمائة من مضامين شبكة الأنترنيت التي يقصدها المغاربة هي مضامين آتية من الخارج (اليونسكو: 2007، ص 64).

14- هيئة مراقبة البث وتوزيع المطبوعات والإشهار OJD ‘فرع المغرب.
OJD Maroc (Organisme de justification de la diffusion): http://www.ojd.ma/site/ma/leschiffres.php
15 – منتدى المغاربة بإسبانيا. 2012.

وعلى غرار ما يجري في الصحافة المكتوبة، تبقى اللغة الأكثر استعمالا في الصحافة الإلكترونية المغربية هي العربية (بنسبة 79 بالمائة)، تليها الفرنسية ثم الأمازيغية. والحال انه يسجل هنا حقا حضورٌ للغة الإسبانية ولو بنصيب ادنى[16].

ومن جهة أخرى، فإن كون ما يزيد عن 20 بالمائة من هؤلاء الصحافيين يشتغلون في جهة طنجة تطوان، والنسبة نفسها تمارس بالجهة الشرقية ومنطقة الريف، قد يقود إلى الاستنتاج أن هناك صلةً ما بين تواجد الثقافة الإسبانية بقدرٍ أكبر في المنطقة المعنية وتكاثر وسائل الإعلام الإلكترونية.

وتشكل شبكة الأنترنيت في هذا السياق الوسيلةَ التي ارتضتها أغلبيةُ الحركات الاجتماعية المغربية أداة تتوسَّل بها في التعبير عن آرائها بسهولة ودونما حاجة إلى ميزانيات باهظة. أضف إلى ذلك أنه، باستثمار متواضع نسبيا، يصير بمقدور هذه الحركات ان توسع من دائرة تأثيرها وتصل إلى جميع أنحاء المعمور بحثا عن مؤيدين ينتصرون لقضاياها. والظاهرُ أن للإسبانية في هذه العمل من الأهمية ما للإنجليزية تقريبا كما يتضح من دراسة تجريبية أجريت على عينة تعدادُها 18 صفحة من صفحات "الويب" تنتمي إلى حركات اجتماعية متنوعة المشارب. لكن أكثر الظن ان ذلك مردُّه فقط إلى الإشعاع الدولي القوي الذي تتمتع به الإسبانية وليس إلى الصلة التاريخية القائمة بين إسبانيا والمغرب.

الجدول 1.12 : اللغات المستعمَلة في مواقع الحركات الاجتماعية المغربية

الموقع	الحركة	الأمازيغية	الفرنسية	العربية	الانجليزية	الإسبانية
http://www.aljamaa.net/ar/index.asp	جماعة العدل والإحسان	x	x			
http://www.alislah.org/	الوحدة والإصلاح	x				
http://www.pjd.ma/pjdstat/#	العدالة والتنمية	x				
http://www.mouminate.net/ar/index/index.shtml	أخت الحياة الخالدة	x				
http://www.adfm.ma/index.php?lang=ar	الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب (ADFM)	x	x		x	
http://www.maroc.attac.org/attacmaroc/index.php	جمعية أطاك[5] (ATTAC)	x	x			
http://essaouira-amdh.blogspot.com/	الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، الصويرة AMDH	x	x			
http://amdh-section-de-rabat1.skyrock.com/	الجمعية المغربية لحقوق الإنسان الرباط	x	x			
http://www.e-joussour.net/ar	جمعية جسور	x	x		x	
http://www.forumalternatives.org/rac?lang=fr	منتدى بدائل المغرب (FMAS)	x	x	x	x	
http://ageddim.jeeran.com/	مدونة أكديم ageddim	x		x		x
http://ameghnas.blogspot.com/	مدونة أمغناس ameghnas	x	x	x		x
http://alfatiya.maktoobblog.com/	مجموعة الشبيبة	x				
http://marocchomeurss.blogspot.com/	مجموعة المنتدى	x				
http://www.annahjaddimocrati.org/	النهج الديمقراطي	x				
http://psu.apinc.org/index.php	الحزب الاشتراكي الموحد	x	x			
http://www.cdt.ma/	الكونفدرالية الديمقراطية للشغل	x				
http://www.umt-usf.com	الاتحاد المغربي للشغل	x	x			

المصدر: ابن موسى 2011، ص 152.

16- 55 جمعية أطاك هي جمعية هدفها فرض الضرائب على الصفقات المالية والنهوض بالعمل المواطن. وهي جمعية مناهضة للعولمة الرأسمالية. تأسست بداية بفرنسا عام 1998. وسرعان ما تحولت إلى شبكة عالمية (المترجم).

ومهما يكن من أمر، فإن ظهور صحف ودوريات إلكترونية باللسان الإسباني تتناول بالوصف وبالتعليق ما يروج في المغرب من أخبار ومن قضايا راهنة هو مكسب يُنظر إليه بعين الرضى من لدنِ الناطقين بالإسبانية بِالضفتين. هذا ما يبيِّنُه استقصاء انجزته يومية Marruecos Digital (اي المغرب الرقمي).

الرسم البياني 2.12: أجوبة على السؤال «ما رأيك في بوابة بالإسبانية حول المغرب؟».

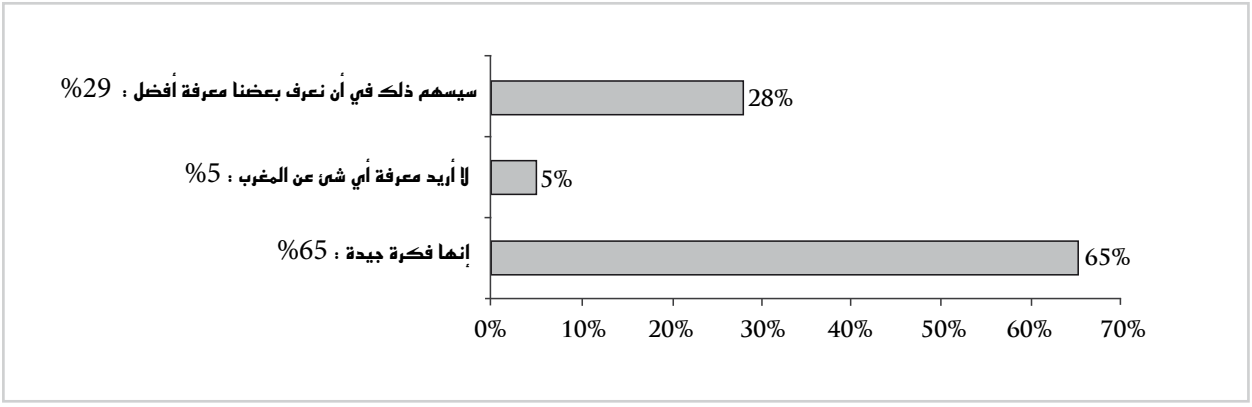

المصدر: "المغرب الرقمي". حجم العينة: 422 جوابا.

وبصرف النظر عما يوجد في المغرب من دوريات إلكترونية مكتوبة بالإسبانية، فإنه بإمكان المغاربة تتبع اليوميات الإسبانية الأكثر انتشارا من خلال نُسخها الرقمية. ومن ثم فإن هذه الصحف تشكل مصدرا يمدُّ هؤلاء القراء بمعلومات حول البلد الذي يقيم به عددٌ غير يسير من مواطنيهم. إن ارتياد هذه المواقع لا يسهم فقط في تمكين هؤلاء من الحفاظ على مستواهم اللغوي في الإسبانية، بل هو أيضا أداةً يتأتى بها لهم عقد المقارنة مع ما يرد في مختلف الصحف المغربية من معلومات حول العلاقات بين البلدين. هكذا فإن تعدد المصادر يتيح في آخر المطاف تكوين نظرة أكثر موضوعية إزاء إسبانيا بخصوص بعض القضايا.

وعلى كل حال، فالصحف الرقمية التي يُقبل عليها المغاربة أكثر من غيرها ليست هي تلك التي تقدم أخبارا عامة حول إسبانيا وبقية العالم، مثلElmundo.es و El pais.es ، وإنما هي الصحف ذات المحتوى الرياضي. فمن بين الـ 500 موقع الأكثر استعمالا من قبل المغاربة، هناك فقط ثلاثة مواقع إسبانية، من بينها موقعان اثنان لصحيفتين رياضيتين هما Marca.com وAs.com.

الجدول 2.12: المواقع الإسبانية الأكثر استعمالا من طرف المغاربة

صفحة الويب	موقعها بين الخمسمائة صفحة الأكثر استعمالا بالمغرب	موقع المغرب بين الدول بحسب عدد الزيارات للصفحة
Marca.com	256	ليس بين العشرة لأوائل
غوغل إسبانيا	279	–
As.com	412	9

المصدر: www.alexa.com (بتاريخ 2013-01-6).

يتضح أنه على الرغم من الشعبية التي تتمتع بها وسائل الإعلام الرياضية الإسبانية، إلا أن ما يقبل عليه المغاربة من المعلومات الواردة باللسان الإسباني ليست فيما يبدو معلومات تحمل من الأهمية ما يجعلها قمينةً بالتأثير في صياغة وتصميم الحملات الإشهارية الموجهة إلى المغرب. ولا غرابة، إذ نجد أن تطبيقً غوغل المسمى Google Ad Planner والمختص في التخطيط للحملات الإشهارية بالأنترنيت، هو تطبيق لا يُعتدُّ فيه حتى باللغة الإسبانية كسبيل للوصول إلى جمهور محدَّد المعالم والمواصفات داخل المغرب.

وإذا أدخلنا في الاعتبار أن قسم التخطيط الإشهاري بالأنترنيت يستخدم معطيات يتم تفصيلها استنادا إلى إحصاءات مرتبطة بحركة الإبحار بالشبكة، فإنه يتضح أن الحصة التي يمثلها الجمهور المغربي داخل سوق التجارة الإلكترونية بالإسبانية تبدو حصة ضئيلة في نظر المسؤولين عن التسويق داخل الشركات. ويغدو الأمر أشد وضوحا متى لاحظنا هذا الغياب للسان الإسباني عن المخططات التي تصممها الأوساط المقاولاتية لتوجهها إلى التراب المغربي، وقارنا هذا الغياب مع درجة حضور لغات أخرى كالعربية أو الفرنسية أو الإنجليزية، التي تدرج فعلاً في هذا التطبيق لتخاطب كلَّ من يرغب في الوصول إلى جمهوره عن طريق حملات إشهارية تتبوأ مكانها في المواقع التي يشتدُّ الإقبال عليها في المغرب.

الفصل الثالث عشر . ظاهر أخرى من الحياة الاجتماعية والسياسية مرتبطة باللغة الإسبانية

1.13: اليهود السفارديون

يمكن إرجاع تواجد اليهود السفارديين بالمغرب إلى سنة 1391 على وجه التقريب، وهي السنة التي بدأت فيها ملاحقة هذه المجموعة بشبه الجزيرة الإيبيرية. وقد ساعد قدومُها إلى المغرب على تضخيم صفوف الجماعات اليهودية المحلية المستقرة سلفا هناك بأعداد وافرة، والمتسمة بحيوية فكرية فائقة.

ورغم أن مجيء السفارديين إلى ربوع المغرب ظل متواصلا خلال القرن الرابع عشر، إلا أنه عرف تسارعا ملموسا في 1492، عندما أرغَم الملكان الكاثوليكيان اليهودَ على الاختيار بين أن يُطرَدوا أو يعتنقوا الديانة المسيحية. وعلى الرغم من هذا الطرد الجماعي، فإن تدفق المهاجرين السفارديين قد تواصل خلال القرن السابع عشر جراء ما كانوا يكابدونه من ملاحقة محاكم التفتيش. ولنشرْ أيضا إلى أن هذه الهجرة تزامنت مع تلك التي قام بها المسلمون الأندلسيون («كاستين مايسترو» 2004 : ص 6).

ومن الطريف أنه يوجد شبَهٌ واضح بين المدن التي حلَّ بها المسلمون وتلك التي نزلَ بها السفارديون، ومرد ذلك بالأساس إلى كون أكثر المواقع حيوية من الناحية الاقتصادية هي التي استهوت هاتين المجموعتين وشدت اهتمامَهما. وقد كان هذا حالَ الحواضر الكبرى والموانئ التجارية.

ولنا في مدينة تطوان مثال واضحٌ يدلل على هذا الكلام: فهذه المدينة التي أعاد بناءَها ثلة من اللاجئين قدموا من غرناطة، أضحت قبلة قصدتْها واستقرت بها جالية من السفارديين كبيرة العدد، إذ بلغت نسبتها 10 بالمائة من مجموع السكان. ولا غرابة، فقد كان من أثر الحجم الديمغرافي والحيوية الاقتصادية والفكرية التي اتسمت بها هذه الجالية أن جعلا تطوان تسمى «أورشليم الصغرى».

وينسحب نظيرُ هذا الكلام على مدينة سلا، التي استقبلت جموعاً من الجالية السفاردية وصارت مركزا للعمليات إبان النصف الأول من القرن السابع عشر، بحيث أضحت تسمى «جمهوية القرصنة».

وعلى امتداد القرنين السادس عشر والسابع عشر، استقر اليهود السفارديون أساسا بعدد من الأرياف والمدن الخاضعة لنفوذ المسلمين، مثل تطوان والشاون والقصر الكبير. ومنذ متم القرن السابع عشر، استقروا كذلك في مدنٍ مثلِ طنجة والعرائش وأصيلة لما استرجعها المسلمون من الإسبان والبرتغال.

وقد استطاعت الجماعات اليهودية هناك، إذ كانت تتألف من زُمَر من المؤسسين الناطقين باللسان الاسباني، الحفاظ على ازدواجية لغوية خاصة بها كأقلية دينية، فاستخدمت العربية أداة للتعامل التجاري مع المسلمين أو مع يهود الجنوب، بينما استعملت الإسبانية في الملاّح وفي المحيط الأسري. هذه الإسبانية كانت تسمى «الحكيتية» («ليفي» 2005: ص 48).

هكذا فخلافا للسفارديين المستقرين بدول أوربية (كفرنسا وهولندا وإيطاليا وإنجلترا)، الذين اندمجوا في هذه المجتمعات ولم يعودوا يتكلمون الإسبانية منذ القرن الثامن عشر، ظل السفارديون القاطنون بالمغرب محافظين على استعمال اللغة وبعض السمات الثقافية الإسبانية.

ومع مطلع القرن العشرين، أخذ الاحتلال الأوربي للمغرب يغير شيئا فشيئا من نمط الحياة التقليدي الذي كان يسير عليه عدد كبير من اليهود المغاربة، موسعا بذلك أكثر فأكثر الهوة الثقافية الفاصلة بينهم وبين الأغلبية المسلمة، ومعيقا العلاقات بين الطائفتين. وقد أسهم هذا الاحتلال من ناحية أخرى في توطيد وتكثيف صلات السفارديين المغاربة مع إسبانيا وفرنسا، وفي تسريع مسار تغريبهم («دلبرافو» 2006). وما هي إلا عقود قليلة حتى اندثرت «الحكيتية» وامحى أثرها تقريبا إذ لم يعد يستعملها سوى المسنين من الطبقة الشعبية، بينما ارتضى باقي السكان الفرنسية أو الإسبانية كلغتين للثقافة والتواصل. وقد كان من آثار هذه الوضعية، فضلا عن الدعاية الصهيونية القوية التي راجت آنئذ، أن جعلت الكثير من اليهود يرون في الهجرة الخيار الأمثل في مرحلة عنوانها الأزمة («كاستيان مايسترو» 2004: ص 17).

وبظهور دولة اسرائيل عام 1948، عمد أكثر من 90.000 يهودي، بينهم حشد كبير من السفارديين، إلى مغادرة المغرب. وظل هذا التدفق متواصلا خلال السنوات التالية، ومما يفسر ذلك بنصيبٍ كبير مناخ التوتر الذي ساد إبان النزاعات التي نشبت في 1956 و1967.

هكذا آل الأمر في منتصف الستينيات إلى أن تحولت واحدة من أكبر الجاليات اليهودية التي عرفها العالم العربي ذات يوم إلى جالية تكاد تكون منعدمة («ليفي» 2001: ص 141–132؛ «تفراني « 2000 ص 303–299).

2.13: اتفاقيات التوأمة بين المغرب واسبانيا[17]

التوأمة عبارة عن اتفاق يتم بين مدينتين أو منطقتين مختلفتين، لكن مشتركتين في بعض الخصائص والسمات، بحيث تقرران رفع علاقاتهما إلى أعلى مستوى فتعطيان أولوية خاصة للأعمال المشتركة واللقاءات الثنائية. إن الأسباب التي يمكن أن تقرب بين مدينتين قد تكون متعددة، كالقرب الجغرافي، والروابط التاريخية، والمشاكل المشتركة، والتضامن، وحركات الهجرة وغيرها.

وفيما يتصل باتفاقيات التوأمة التي قامت بين اسبانيا والمغرب، يعد استعمال الإسبانية في بعض مناطق المغرب والثقافة المشتركة بين البلدين عاملين حاسمين يَسَّرا إبرام اتفاقيات ذات أولوية في التعاون الثنائي.

ومهما يكن من أمر، فإن التوأمة تأتي نتيجة للتعاون الدؤوب والمثمر على مدى سنوات عديدة بين إدارتين تعملان معا من أجل إطلاق أعمال ومشاريع في مجالات متعددة من قبيل الثقافة، والتنمية الاقتصادية المحلية، والخدمات العمومية والسياسات الاجتماعية. ويجب الإشارة في هذا السياق إلى أن هذه الروابط التي تقوم بين مدن وجهات مختلفة هي روابط تنبثق دوما من النطاق المحلي، حيث إن سكان هاته المدن والجهات هم الذين يحددون طبيعة العلاقات في ما بينهم، بينما ينحصر دور الإدارة المحلية أو الإقليمية في دعم هذا النوع من التعاطف وترسيمه.

إن مسار التعاون والعمل المشترك بين مدينتين هو مسارٌ يتم رسم معالمه عبر السنين من خلال التوقيع بدءا على اتفاقيات تعاون يتم تمديدُها لتؤول في آخر الأمر إلى اتفاقية توأمة. ومن ثم فإن اتفاقية التعاون هي الوثيقة الأولى التي تتيح للإدارتين الشروع في العمل يدا في يد. ويتم إبرام الاتفاقية وينعقد الإجماع حولها بعد إجراء ما يلزم من لقاءات تقنية وعقب تحديد سياق العمل المشترك. يمكن أن يكون هذا السياق إطارا عاما للعمل تحدد ضمنه الأولويات، أو إطارا ذا طابع أخص تفصل فيه الإجراءات والأعمال المزمع تنفيذها. وبعد صياغة مضامين الاتفاقية، يجب أن تصادق عليها الهيئات المختصة في الإدارتين، ثم يتم تحديد رزنامة الزيارات التي سيقوم بها ممثلو المدينتين أو الجهتين، ثم تبرم الاتفاقَية.

والملاحظ في إسبانيا أن مسطرة الحصول على التوأمة شبيهة بالمسطرة المتبعة في إبرام اتفاقية التعاون: إنها تبدأ بزيارات تقنية للمدينتين، ثم تأتي المصادقة على النص من طرف مجلس البلدية أو مجلس الجهة، ثم يلي ذلك زيارة الممثلين السياسيين للتوقيع على اتفاقية التوأمة.

17- حسب مصدر مغربي. منظمة التعاون من أجل التنمية الاقتصادية..

أما في المغرب، فيتطلب توقيع بروتوكول التوأمة مسارا يستغرق أمدا أطول. إنه مسار يمكن أن يستمر لسنوات عدة، ويتطلب في آخر المطاف مصادقة القصر الملكي.

الجدول 1.13: اتفاقيات التوأمة بين إسبانيا والمغرب في مراحلها المختلفة.

	المدينة المغربية	المدينة الإسبانية	تاريخ الذهاب	تاريخ الإياب
في المرحلتين	الرباط	أشبيلية	02/12/1985	14/01/1986
	الرباط	مدريد	16/05/1988	14/09/1988
	العرائش	ألمونْييكار	16/05/1992	13/12/1992
	الشاون	روندا	16/05/1993	04/09/1993
	مراكش	غرناطة	18/10/1993	02/07/1994
	الرباط	أورناتشوس	–	
الذهاب	تطوان	غرناطة	18/11/1988	
	فاس	قرطبة	12/06/1990	
	طنجة	ويلبا	28/02/2004	
في انتظار المصادقة الفعلية	الحسيمة	ألمرية	03/09/1982	
	مراكش	مرسية	21/08/1984	
	سطات	بورغوس	08/10/1988	

المصدر: شبكة التوأمة بين المدن الأندلسية والإسبانية.

الجزء الرابع:
اللغة الإسبانية في الفضاء المقأولاتي المغربي

الفصل الرابع عشر. حضور المقاولات الإسبانية ومقاولات أمريكا اللاتينية بالمغرب وأثرها في انتشار الإسبانية

لئن كان الهدف الأساس من الصفقات التجارية التي تجري على الصعيد الدولي يتمثل في ما تجنيه الدول من فوائدَ اقتصادية، فإن هذه الصفقات لا تخلو من أن تشكل أيضا قناة يتأتّى بها تبادلٌ ثقافي ولغوي عظيم الشأن. إن كل منتَج إسباني يلج أرض المَغرب إنما يصاحبه ويقترن به من السمات والملامح الثقافية الخاصة به ما يفضي في كثير من الأحيان إلى التأثير في تصور المَغاربة ونظرتهم إلى إسبانيا وإلى لغتها عموما. ثم إن تصدير المنتجات الإسبانية إلى المغرب يقتضي بذل مجهود هائل في ملاءمة المنتج وتكييفه مع خصائص البلد المستقبل. ذلك أن تسويق المنتج، من مرحلة إشهاره في وسائل الإعلام الوطنية إلى ترجمة بطائقه إلى لغة البلد المستقبل، هو عملية تستلزم تفكيرا عميقا حول ثقافة البلديين وخصوصياتهما اللغوية. وحري بنا أن نضيف إلى ذلك أنه يتولد في آخر الأمر، نتيجة لهذا العمل التسويقي، ضربٌ من النشاط اللغوي باللسان الإسباني (من ترجمة وتأويل وتحديد للمواقع وغيرها) يفضي في الأمد البعيد إلى التأثير في الطلب الإجمالي على هذه اللغة في البلد الجار.

ولنشر من جانب آخر إلى أن المنتجات الإسبانية معروفة جدا في شمال المغرب حيث تلتقَط القنوات التلفزية الإسبانية. ومن هذه المنتجات ما يحظى بتقدير كبير من المغاربة كما هو حال بعض أنواع زيت الزيتون وعصير الفواكه («كوهي أنشيا» 2003: ص 2–21).

وأخيرا، فإن استقرار عدد من المقاولات الإسبانية بالمغرب يشكل دعامة بالغة الأهمية في ما يتصل بتعزيز اللغة والثقافة الإسبانيتين في الضفة الأخرى من المضيق. إنه يعني تصدير جملة من العادات والأعراف المقاولاتية إلى هذا البلد، وهي عادات وأعراف لا يمكن فصلها في كثير من الأحيان عن اللغة. وكثيرا ما يقترن هذا الاستقرار أيضا بقدوم العاملين الإسبان إلى المغرب رفقة عائلاتهم، ما يعني تزايدا بينا في صفوف المجموعة الناطقة بالإسبانية في هذه الربوع. وبمقتضى طبيعة النشاط الذي يمارسه هؤلاء، فإنهم يشكلون عموما فاعلين بارزين من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي يجعلهم يُحْدثون وقعاً بيِّنا وأثراً جليا في نظرة المغاربة إلى إسبانيا وإلى اللغة الإسبانية.

ولطالما كان المغرب موقعا جذابا بالنسبة إلى الاستثمار الذي تقبل عليه المقاولات الإسبانية خارج حدود منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE. ولا غرابة، إذ يقدَّر أن هناك في المغرب أكثر من 700 مقاولة إسبانية تنشط في قطاعات إنتاجية مختلفة («إسيكس» ICEX 2012 = المعهد الإسباني للتجارة الخارجية).

الرسم البياني 1.14. الاستثمار الخارجي المباشر بالمغرب. 2010 (بالنسبة المائوية)

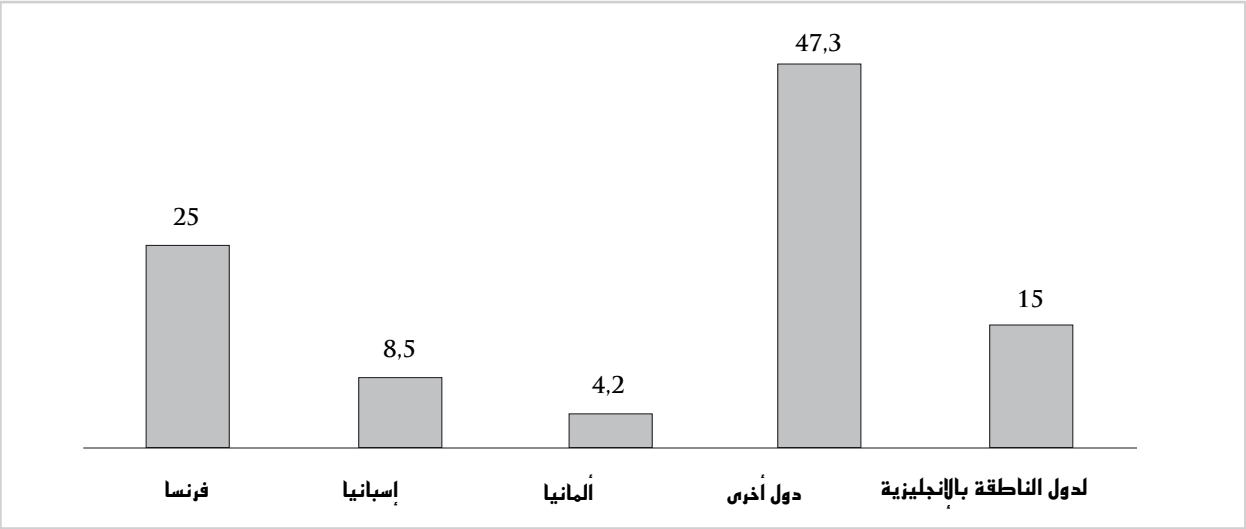

المصدر: معطيات منظمة التعاون من أجل التنمية، وقد تم استقاؤها من "أوروموניטور" 2012، ص 29.

يتضح أنه في عام 2012، ارتفعت حركة الاستثمار الخارجي المباشر بالمغرب إلى ما يناهز 32 مليار درهم (أي نحو 2.900 مليون أورو)، وهو ما يعني تزايداً يقارب نسبة 6 بالمائة قياسا إلى سنة 2011. وفي مقدمة الدول الأكثر إستثمارا في المغرب، نجد فرنسا لسنة اخرى (فرنسا التي استثمرت عام 2011 أقل من نصف ما استثمرته عام 2010 ، لكنها لم تلبث أن رفعت من حركة استثماراتها بنسبة قدرها 40 بالمائة سنة 2012)؛ ثم تأتي الإمارات العربية المتحدة والولايات المتحدة، اللتين رفعتا من استثمارهما بنسبة 70 بالمائة و 50 بالمائة على حدة عام 2011 (وهذه هي السنة الثانية على التوالي التي تنمِّي فيها دولة الإمارات استثمارها بنسبة 70 بالمائة).

أما إسبانيا، فتحتل المرتبة الرابعة باستثمار قدره 1.324،1 مليار درهم (أي ما يساوي 120 مليون أورو تقريبا)، وهو ما يدل على انخفاض بنحو 20 بالمائة للسنة الثانية على التوالي، بعد الانخفاض المسجَّل سنة 2011.

والظاهر أن موقع إسبانيا ينمُّ عن نوع من الاستمرارية في الزمن إذا ما أخذنا بالاعتبار معطيات الاستثمار الخارجي المباشر خلال الفترة الممتدة ما بين 2004 و 2010. إن إسبانيا، التي تبلغ حصتُها 11،9 بالمائة من إجمالي الاستثمار الخارجي المباشر بالمغرب، تأتي إذن خلف فرنسا (بنسبة 48،6 بالمائة)، لكنها تسبق دولة الإمارات العربية المتحدة (التي تقف نسبتها عند 7،3 بالمائة). ويتضح أن أولَ وجهة لهذا الاستثمار هي قطاع الصناعة، الذي تشكل إسبانيا أول مستثمر فيه بحصة قدرها 33 بالمائة من مجموع الاستثمار الخارجي المباشر المراكم[1]. بيد أن هناك مجالات أخرى تستأثر باهتمام المستثمرين الإسبان بالمغرب، كقطاع العقار (10 بالمائة)، والقطاع المصرفي (13 بالمائة)، والطاقة والمعادن (8 بالمائة)، والتجارة (8 بالمائة).

1- إن ثاني بلد يأتي بعد إسبانيا من حيث حجم الاستثمار بالمغرب في عام 2010 هو بنما. ومع ذلك فحصة هذا البلد لا تتجاوز من مجموع الاستثمار الأجنبي بالمغرب. منظمة التعاون من أجل التنمية الاقتصادية.0,05%

ومع ذلك، فالملاحظ أن الاستثمار الخارجي المباشر الآتي من إسبانيا يأتي خلف مجموع الاستثمار الآتي من الدول الناطقة بالإنجليزية (ونسبته 15 بالمائة). ومتى أدخلنا في الحسبان كون إسبانيا تمثل تقريبا مجموع الاستثمار الخارجي المباشر القادم من البلدان الناطقة بالإسبانية[2]، اتضح لنا أن هذا الأمر ينطوي على دلالات لا يستهان بها على صعيد نشر الإسبانية كلغة عالمية للأعمال والتجارة بالمغرب. ذلك أنه على الرغم من قوة الاستثمار الإسباني بالمغرب، إلا أن الفرنسية والإنجليزية تقترنان في الأذهان بالقوة الاقتصادية والنجاح الاستثماري أكثر مما هو حال الإسبانية. ومع ذلك، فلا بد من الإشارة أيضا إلى أن مستوى الاستثمار الإسباني بالمغرب تأثر أيما تأثر بالمناخ الاقتصادي الذي عانت منه إسبانيا في السنين الأخيرة. فإذا ما عقدنا مقارنة بين ما كان عليه هذا الاستثمار سنة 2008 وما صار إليه سنة 2011، فإننا نلاحظ أن هناك فارقا واضحا من ناحية الكم. وهذا يقودنا إلى الاعتقاد أن الدورة الاقتصادية هي نوعا ما المسؤولة عما عرفته اللغة الإسبانية من حضور باهت ونكوص محتمل في المشهد المقاولاتي المغربي في السنين الأخيرة. إنه انزواءٌ مردُّه إلى ما يقترن باللغة من قوة اقتصادية، وإلى كون النشاط اللغوي ما كان ليتولد ويتحرك في المغرب جراء غياب الاستثمار الإسباني في ربوع هذا البلد.

الرسم البياني 2.14. حركة الاستثمار الإسباني الصافي بالمغرب. 2011–2000 (بآلاف الأورو)[3].

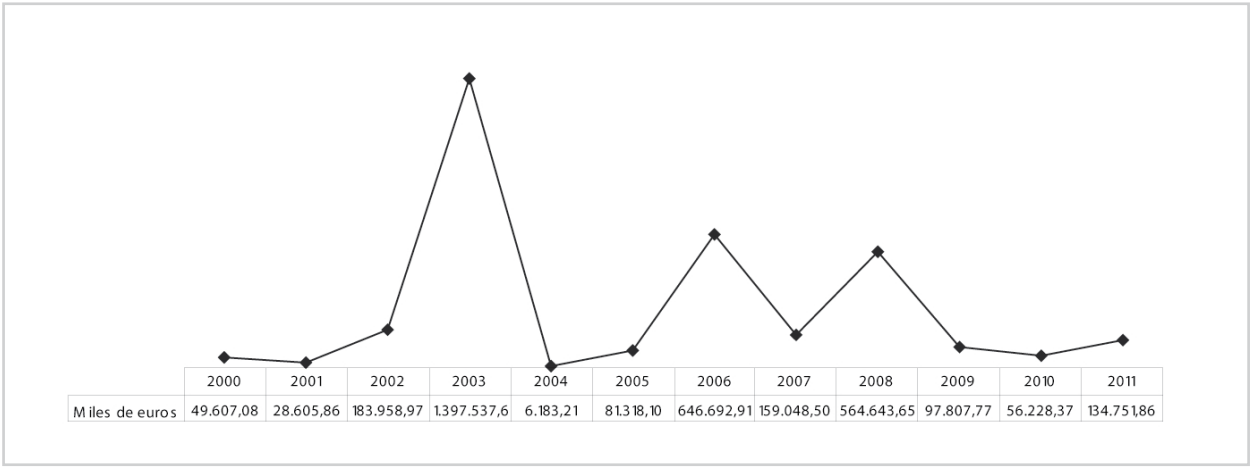

	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
Miles de euros	49.607,08	28.605,86	183.958,97	1.397.537,6	6.183,21	81.318,10	646.692,91	159.048,50	564.643,65	97.807,77	56.228,37	134.751,86

المصدر : Datainvex 2013 (= معطيات الاستثمار).

وإذا اتضحَ أن الاستثمار الإسباني بالمغرب قد شهد انخفاضا حادا في السنوات الأخيرة، فإن الأمر ليس كذلك على صعيد ما استورده المغرب من إسبانيا. إن هذه الواردات لم تنخفض، بل العكس، إذ عرفت تزايدا بنسبة 24 بالمائة في 2011 قياسا إلى عام 2010 (مكتب الصرف 2012: ص 109)، وخلال عام 2012، بلغت صادرات إسبانيا إلى المغرب 5.294،58 مليون أورو، جاعلة من هذه الدولة أكبر مصدِّر إلى المغرب، حيث تجاوزت فرنسا نفسَها والولايات المتحدة.

2– 59 (ETVE). هذه عمليات لا تتعلق بشركات إدارة محافظ الأوراق المالية الأجنبية

3– 60 تندرج ضمن الدول الناطقة بالإنجليزية كل الدول ذات السيادة التي تشكل فيها الإنجليزية اللغة الرسمية. لا الكيانات التي لا تتمتع بالسيادة. وتجدر الإشارة إلى أن المنطقة الناطقة بالفرنسية من كندا لم تدرج ضمن الدول الناطقة بالفرنسية.

الجدول 1.14. أهم الدول التي يستورِد المغرب منتَجاتِها. 2013

معطيات بالنسب المائوية	متوسط 00-04	متوسط 05-12	2010	2011	2012
فرنسا	33،5	24	21،5	20،3	21،5
إسبانيا	15،8	18،6	16،6	18،2	16،5
البرازيل	–	–	2،9	5،1	6
الهند	–	–	6	6،9	5
و.م.أ	3،4	3،5	3،6	4،6	4،3
إيطاليا	5،6	4،5	4،3	4	3،7
ألمانيا	4،2	3	3،1	2،6	3
بريطانيا العظمى	8،1	3،9	3	2،4	2،8
الاتحاد الأوروبي	74،8	63،7	59،7	58،7	56،8

المصدر: مكتب الصرف. آخر معطيات محيَّنة: ماي 2013. «بيانات مؤقتة.

لعل في ما يوجَد بين البلدين من تاريخ مشترك ومن تفاهم، وكذا من قرب جغرافي، ما أفسحَ المجال أمام ولوج المنتجات الإسبانية إلى بلد كثيراً ما تفتقرُ فيه قنواتُ التوزيع إلى ما يلزم من الشفافية والتطور. ثم إنه يلاحَظ أيضا في المغرب وجودُ بنية شديدة التعقيد تتخللها أربعة أو خمسة مستويات من الوساطة قبل وصول المنتَج إلى محطة المستهلك النهائي. وهذه خصائصُ تزداد قوَّة وحدَّة كلما ابتعدنا عن المحور المركزي، محور طنجة–الرباط–الدار البيضاء (OECER 2012a = المكتب الاقتصادي والتجاري الإسباني بالرباط).

إن شبكة التوزيع تتألف من حوالي 600.000 نقطة بيع، وهي في معظمها عبارة عن محلات صغيرة (دكاكين بقالة) تنتشر في الأحياء، وتفتقر إلى التخصص كما تتسم بقصور في التجهيز؛ إنها محلات تقدم أنواعا كثيرة من منتجات الاستهلاك بثمن بخس (حيث نجد مواد غذائية وأخرى للنظافة، وحتى أدوات إلكترونية وموادَّ ورقية).

وفي ما يخص المصدِّر الأجنبي، لا يتمثل أهمُّ متدخل في هذا الحقل في الوسطاء التجاريين بقدر ما يتمثل في أصحاب الاستيراد والتوزيع. يتعلق الأمر بمقاولات لها من القدرة المالية ما يكفي لكي تعيش وتستمر على نحو يتسنى لها به أن تواجه طلبيات صغرى أو متوسطة، بل وأن تحقق أيضا عمليات كبرى تستجيب لضرورات طارئة. إن هذه المقاولات هي التي تستقطب، بمقتضى طبيعتها، النصيبَ الأوفر من الطلب على الإسبانية ومن اشتراط الإلمام بها في الفضاء التجاري المغربي، خاصة في مرحلة توقيع اتفاقات مع المقاولات المصدِّرة الإسبانية أو الناطقة بالإسبانية. وليس الأمر كذلك في مرحلة توزيع المنتَج، إذ إن لهذه الشركات عادة شبكتَها الخاصةَ التي تتعهد بتوزيع منتجاتها في كبرى الأقطاب الصناعية الموجودة بالمدن، ثم لها مجموعة من البائعة بالجملة يؤمِّنون تغطية باقي المناطق (ن. م).

وإلى جانب هذه القناة المحورية، التي تضمّ الموزعين، والباعة بالجملة، والمساحات الكبرى، والمتاجر المتخصصة أو البيع المباشر من قبل الصانع، تتواجد قناة أخرى ذات انتشار واسع المدى، وهي التهريب. إن هذه الظاهرة تشكل جزءا هاما من الاقتصاد المغربي وتطال كل أنواع المنتجات. والملاحظ أن هذه السلع التي يتم إدخالها بطريقة غير قانونية يباع معظمُها أيضا في دكاكين البقالة (ن. م).

وبقطع النظر عما قد يعنيه فهم الثقافة المغربية وتمثلُها من سهولة في إدخال المنتجات الإسبانية، فإن توزيع هذه السلع وبيعَها بكثافة في المغرب هما دليل ناطقٌ يُفصح عن مدى حضور الثقافة الإسبانية في هذا البلد. حقا، فكثيرا ما تدخُل رفقة هذه المنتجات قواعدُ وضوابطُ الاستهلاك المتصلة بها، بَل ومفردات جديدة. وإذا بهذه المستجدات تتسرب شيئا فشيئا لتصير جزءا من الرصيد الثقافي واللغوي المغربي، سواء في شكلها الأصلي أو من خلال تكييفها مع اللغة المستقبِلة وثقافتِها.

غير أن تحديد مدى ولوج الإسبانية إلى الكيان المغربي لا يقتضي فقط دراسة ما يقوم بين البلدين من علاقة تجارية مهما عظُمَ شأنها، بل يستوجب أيضا تحليلَ علاقة المغرب التجارية مع مختلف البلدان الناطقة بالإسبانية، وعقد مقارنة بينها وبين ما يربطه من علاقة مع مجموع البلدان التي يتكلم أهلها الإنجليزية والفرنسية باعتبار هاتين اللغتين تتصدران قائمة أهم اللغات العالمية.

الرسم البياني 3.14. حجم الواردات المغربية حسب لغة البلد المصدِّر. 2011 (بالنسبة المائوية)[4]

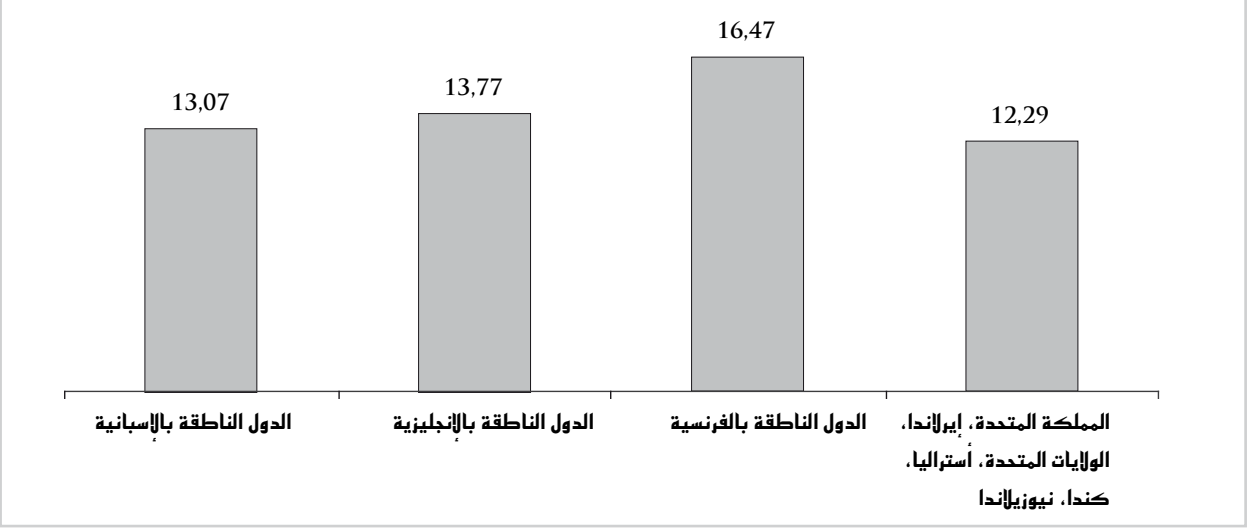

المصدر: عمل خاص تم إنجازه استنادا إلى معطيات أوردها مكتب الصرف في 2012، ص 112–109.

يلاحظ أن الإسبانية هي اللغة الثالثة من بين اللغات التي تنتمي إلى أقطارها وارداتُ المغرب من المنتَجات (تقدر نسبتها ب 13،07 بالمائة)، وهي تأتي في هذه المرتبة خلف الفرنسية (ب 16،47 بالمائة) والإنجليزية (ب 13،77 بالمائة). الواقع أن كون الإسبانية تكاد تتساوى مع الإنجليزية هو أمرٌ يبيِّن القوة التي تمتاز بها هذه اللغة بوصفها لغة للمعاملات التجارية بالمغرب، وإن كان استعمالها لغةً عالمية للمعاملات التجارية يبقى أدنى وأضعفَ بقدر ملحوظ. ومع ذلك، ينبغي الإشارة إلى أن تسمية "الدول الناطقة بالإنجليزية" هي تسمية تشمل أيضا دولا عدة تستخدم الإنجليزية لغة رسمية استخداما يجعل من هذه اللغة قوة جامعة موحدة رغم التأثير الذي تمارسه اللغات المحلية الرئيسة. وإذا أدخلنا في الحسبان فقط أهم البلدان الناطقة بالإنجليزية، فإنه يتبين آنئذ أن نسبة السوق المصدِّرة المقترنة باللغة الإنجليزية لن تفوق نسبة نظيرتها الإسبانية.

4– 61 إن منطلق العلاقات بين الاتحاد الأوربي و المغرب يتمثل في اتفاقية الشراكة القائمة منذ مارس 2000 . والتي دعمتها خطة العمل التي تم الشروع فيها ابتداء من 2005 والمندرجة في إطار سياسة الجوار الاوربية. كما تم تعزيز هذه الاتفاقية بتبني الوثيقة المشتركة حول الوضع المتقدم في أكتوبر 2008. ومنذ نونبر 2010، هناك نقاش حول خطة العمل الجديدة الرامية إلى إطلاق الوضع المتقدم، والتي تروم من الناحية الاقتصادية التقدم نحو "اتفاقية للتجارة الحرة ذات مدلول واسع وعميق".

أما الدول الناطقة بالإسبانية التي يستورد المغرب منتجاتها، فحري بنا أن نشير إلى أنه عدا إسبانيا، لا بلد من هذه البلدان يمتاز بتصدير حجم مهم من المنتجات باستثناء الأرجنتين، التي استورد المغرب منها عام 2011 منتجات بلغت قيمتها 4.470.490 درهم. والحال أن في ارتباط المغرب بعلاقات تجارية بهذا القدر أو ذاك من القوة والكثافة مع جميع الدول الناطقة بالإسبانية ما يؤشر على انفتاحه على سوق أمريكا اللاتينية انفتاحا لا يزال في بداياته، لكنه انفتاح يقوم على أسس متينة، لا سيَّما إذا أخذنا بالاعتبار أن الأمر ليس كذلك مع الدول الناطقة بالإنجليزية والفرنسية. ومن جهة أخرى، يتضح بجلاء بالنظر إلى الحجم الكبير الذي تأتي به الواردات من إسبانيا مقارنة مع ما يأتي من منتجات من باقي البلدان التي يتكلم أهلها اللسان الإسباني أن إسبانيا ما فتئت تضطلع بدور ريادي في إدخال الثقافة اللاتينية إلى ربوع هذا القطر المغاربي. ثم إن عدد السكان الهائل الذي تزخر به دول كالمكسيك أو الأرجنتين أو كولومبيا هو معطى يبين ما تتوفر عليه من قدرة على النمو في المغرب سوق المنتجات الآتية من البلدان الناطق أهلها باللسان الإسباني.

الجدول 2.14. الدول الناطقة بالإسبانية التي يستورد المغرب منتجاتها. 2011.

الدولة	المبلغ بآلاف الدراهم	عدد السكان
إسبانيا	39.174.171	47.265.321
الأرجنتين	4.470.490	40.134.425
كولمبيا	920.791	45.273.936
الباراغواي	575.912	6.349.000
المكسيك	488.813	112.336.538
الأوروغواي	447.790	3.442.000
البيرو	201.092	29.885.340
فينيزويلا	128.746	28.833.845
كوبا	123.472	11.285.000
الشيلي	109.269	17.094.275
الإكوادور	42.191	14.035.000
بويرتو ريكو	41.117	4.017.000
كوستا الريكا	25.172	4.549.904
بنما	19.771	3.454.000
غواتيمالا	13.176	14.325.000
هندوراس	12.699	7.706.441

نيكاراغوا	6.779	5.743.000
السلفادور	4.723	7.185.000
جمهورية الدومينيكان	2.670	10.090.000
بوليفيا	1.132	10.227.299
غينيا الاستوائية	314	1.120.000
بيليس	187	206.404

المصدر: عمل خاص تم إنجازه استنادا إلى معطيات مستقاة من مكتب الصرف في 2012، ص 112–109، ومن إحصاء السكان لدى مختلف الدول.

وفضلا عن ذلك، فإن هذه الريادة الإسبانية في قطاع الاستيراد المغربي هي ريادة يزكيها ويعضدها ما نلمسه من عدد مرتفع في المقاولات الإسبانية التي تصدِّر إلى المغرب منتجات إسبانية. إنه عدد تنامى و تزايد على نحو تدريجي من سنة 2000 إلى سنة 2009، وإن عرف بعض التقلص منذ 2010 جرَّاءَ الأزمة الاقتصادية وما نجمَ عنها من آثار طالت المبادلات التجارية بيد البلدين.

ومما يدل عليه هذا النمو تنوعُ ما يدخل أرضَ المغرب من منتجات إسبانيا، وهو ما يعني استئناسا أكبر لدى المغاربة بالمقاولات التي تحمل أسماءً إسبانية. ولنشر منَ جانب آخر إلى أن التنافسية المتنامية التي تشتد بين المقاولات الإسبانية العاملة في القطاع نفسه، في سياق سعيها إلى تصدير سلعها إلى المغرب، تقتضي حشد رأسمال بشري أوفرَ عددا للبحث عن إستراتيجيات للبيع في هذا البلد. وفي ما يتصل باللغة و الثقافة الإسبانيتين، فكل هذا يعني فتحَ قنوات جديدة لنقلهما إلى الضفة الأخرى من مضيق جبل طارق. وبالمثل، يتضح أن التواجد المتزايد بالمغرب لمنتجات إسبانية أكثر فأكثر تنوعا من حيث أصلها هو أمر تنجم عنه نوعا ما سلسلةٌ إيجابية مترابطةُ العناصر، إذ ييسر ويشجع وصولَ منتجات جديدة – إن من إسبانيا أو من بلدان ناطقة بالإسبانية – إلى المستهلك المغربي، الذي لن يزيد إلا استئناسا بالمنشإ واللغة بالأصل الذي تأتي منه هذه المنتجات.

الرسم البياني 3.14. تطور عدد المقاولات الإسبانية التي تصدر منتجاتها إلى المغرب. 2012–2000.

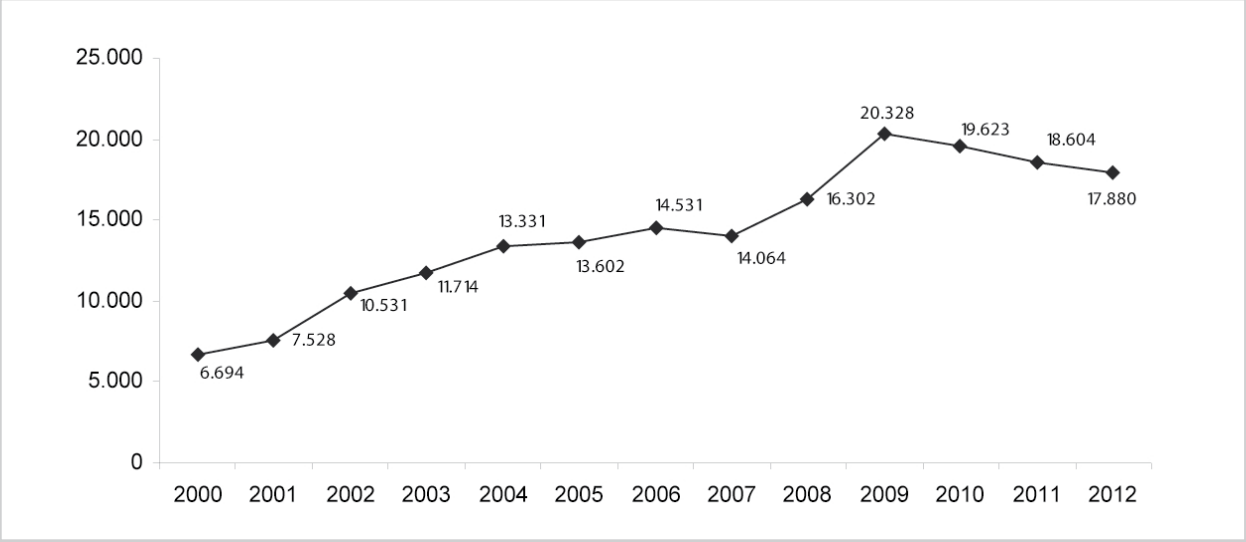

المصدر: عمل خاص تم إنجازه استنادا إلى بيانات وكالة الضرائب، وهي بيانات أوردتها DataEmpresas (= معطيات المقاولات) عام 2013.

وينبغي التنويه هنا بدور المقاولين الإسبان، الذين أسهموا بنصيب وافر، بفضل حذقهم ومهارتهم، في هذا التزايد الذي عرفه النسيج المقاولاتي الإسباني بالمغرب، سواء تعلق الأمر بتصدير المنتجات أو بإنشاء مقاولات إسبانية في هذا البلد. ولا غرابة، فالمغاربة الذين لهم صلات بالمقاولين الإسبان يرون بنسبة 77،6 بالمائة أن من سمات هؤلاء المقاولين النزاهة والاستقامة واحترام القوانين المغربية، فيما ترى 17،5 بالمائة فقط أنهم لا يبدون هذا الاحترام (أفاية والكراوي 2005: ص 144).

الفصل الخامس عشر. اللغة الإسبانية في المقاولة المغربية

بصرف النظر عن عدد المقاولات المستقرة بإسبانيا أو بأمريكا اللاتينية والتي تربطها بالمغرب علاقات تجارية، هنالك مؤشر آخر يبيِّن حضور الإسبانية في المغرب، وهو استعمالها اليومي في نشاط المقاولات داخل البلاد. إن توصل مقاولة إسبانية وأخرى مغربية إلى إبرام صفقة تجارية هو أمر يعني توفر الطرفين على فهم رصين لكلتا الثقافتين، وهو فهم يقترن في الكثير من الاحيان بمعرفة اللسان الإسباني، إن كليا أو جزئيا.

فبما أن الأمر يقتضي، فيما يقتضيه، أن يعرف المرء كيف يتصرف على نحو لائق في وجبة عمل، وكيف يتحكم في حركاته أو في الاتصال البصري مع غيره، فإن النشاط التجاري الإسباني المغربي ينطوي على تعلم جملة من الضوابط والأصول الثقافية التي لها صلة وثيقة باللغة المستعملة في كل بلد.

وحري بنا أن نشير من جانب آخر إلى أن الحياة في المغرب تحكمها مبادئ الدين الإسلامي، الأمر الذي يترك نوعا ما بصمته في العلاقات بين الطرفين. ومع ذلك فللمغاربة قدرة على التعايش مع أشخاص من أهل الديانات الاخرى بسهولة تامة، ولشدَّ ما يُبدون احترامهم لمعتقدات غيرهم من الشعوب. فالدين إنما هو مسألة تمس مجال المعتقدات الشخصية الصميمة، وتمس بقدر أدنى العادات أوالسلوكات اليومية المألوفة، بما في ذلك ما هو معهود في المعاملات المقاولية.

والملاحظ في الفضاء المقاولاتي المغربي أن لكل مدينة دورا مخصوصا أسند إليها. فالمركز الرئيس والقلب النابض للتجارة والأعمال في البلاد هو مدينة الدار البيضاء، التي تتجمع فيها كبرى المقرات المالية وأهم مَراكز المقاولات –وطنية كانت أم متعددة الجنسيات– وأبرز مواقع توزيع السلع وكذا معظمُ المستوردين والموزعين. أما مدينة الرباط، فهي العاصمة الإدارية حيث يتم التفاوض بشأن الصفقات العمومية. وتمثل مراكش من جهتها أهم مدَينة سياحية، فيما تستقطب مدينة فاس قطاع الصناعة التقليدية.

إن سياسة الانفتاح التي نهجها المغرب بكيفية تدريجية على مدى السنين الأخيرة، وما أبرمه من اتفاقيات مختلفة مع دول عدة وفي قطاعات شتى، كان من أثره أن قلَّص شيئا فشيئا من السياسة الحمائية التقليدية التي لطالما سار عليها هذا البلد. وفي هذا السياق، شكلت اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوربي[5]، الموقعة سنة 2000، والتي تقضي بالتخفيض التدريجي للرسوم الجمركية ورخص الاستيراد إلى غاية إحداث منطقة للتجارة الحرة، شكلت حافزاً قويا للعمل على التخلص من الحواجز التجارية. وفي فاتح مارس 2012، أعلن عن إنهاء مسار إلغاء الرسوم الجمركية لتدخلَ حيزَ التنفيذ اتفاقية التجارة الحرة بين المنطقتين. ومنذئذ أضحت المنتجات الصناعية الآتية من الاتحاد الأوربي تدخل السوق المغربية دون أداء رسوم جمركية، على أن تؤدَّى عنها ضريبة القيمة المضافة على الاستيراد وضريبة الاستيراد. ومع ذلك فهذه السياسة الحمائية ما تزال شديدة الوطأة في قطاعات من قبيل الفلاحة والخدمات.

ومن جانب آخر، فإن المساطر الإدارية بالمغرب، وما تتسم به من تعقيد شديد، وبالأخص لدى المصالح الجمركية، تشكل أيضا ضربا من الحمائية وعقبة تقف دون دخول منتجات آتية من المحيط الناطق بالإسبانية. ومع ذلك، فقد وقع المغرب وإسبانيا في 10 يوليوز 1979 معاهدة ما تزال سارية المفعول، وترمي إلى تجنب الازدواج الضريبي. وإلى هذه المعاهدة تنضافُ الحوافزُ الضريبية التي يقدمها المغرب تسهيلات للمقاولات الأجنبية الراغبة في الاستقرار بترابه. ومهما يكن من أمر، فإن ما يقارب الثلث من الاشخاص الذين تم سَبرُ آرائهم في هذا الموضوع يرون أن المقاولات الإسبانية الراغبة في الاستثمار بالمغرب تصادف من العوائق أكثر مما تصادف من السهولات.

5- هذه النسب تم إتمامها بتقريبها إلى أقرب عدد مكتمل. 62

الرسم البياني 1.15. الجواب على السؤال: هل تعتقد(ين) أن الحكومة المغربية تقدم تسهيلات للاستثمار الإسباني؟ (بالنسبة المائوية)

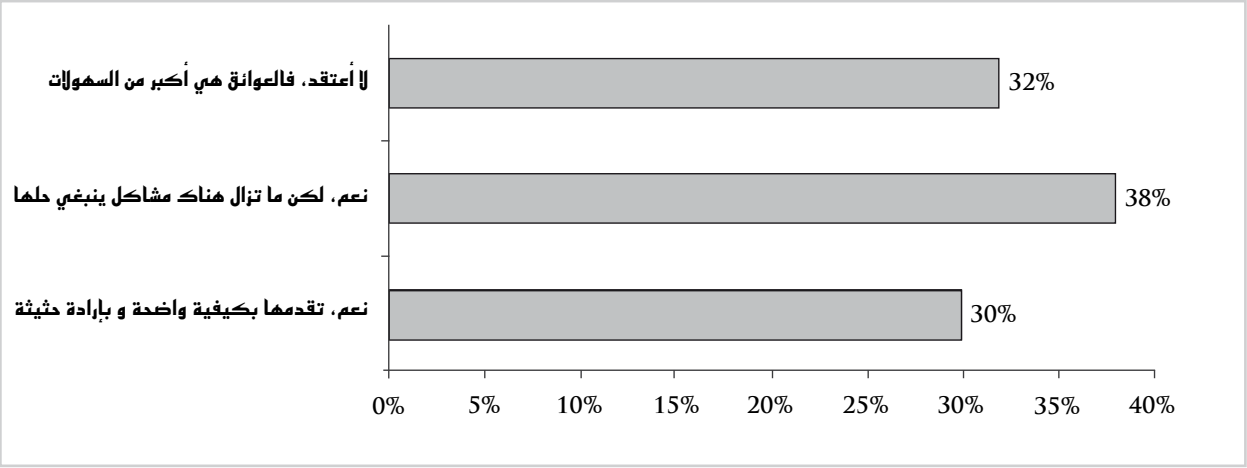

المصدر: Marruecos Digital (المغرب الرقمي).

عدد الأصوات الإجمالي: 296. تاريخ الاستطلاع: 2013-2-8.

إزاء هذا المشهد، يغدو لزاما على المقاول المغربي الذي يسعى إلى ربط علاقات تجارية مع شركات إسبانية أن يمتلك المهارات اللغوية الضرورية، أو يتعاقد مع ذوي هذه المهارات، كي يتأتى له إبرام العقد الذي سيعود عليه بالنفع الأكبر، وهذا ما سيخلق طلبا على اللسان الإسباني في المجال المقاولاتي. وهو طلبٌ لا يكون ماتاه في كثير من الاحيان الرغبة في إتمام اتفاقات ملموسة بقدر ما يكون ماتاه الرغبة في الاستعلام والاطلاع على ما تمثله إسبانيا وتتيحُه من فرص تجارية. ولهذا اضحت الإسبانية لغة يعرف الإقبال عليها طلبا متزايدا من قبل المقاولات المغربية، لكن كلغة تأتي خَياراً ثانيا أو ثالثا بعد اللغة الفرنسية، التي ما زالت تتبوأ موقع الصدارة كلغة للمعاملات التجارية الدولية، أو بعد الإنجليزية، التي تطلبها أكثر فأكثر كبرى الشركات متعددة الجنسيات المستقرة بالمغرب، كما تطلبها المقاولات المغربية ذات الامتداد الدولي. ولا غرو في ذلك، فقد بيَّنَ بحثٌ أجري عام 2011 كيف أن المستخدَمين المغاربة المزاولين قلَّما ينسبون إلى اللغة الإسبانية منزلة ذات شأن.

الرسم البياني 2.15. أهمية اللغات في المعاملات التجارية الدولية بالمغرب. 2011 (بالنسبة المائوية)

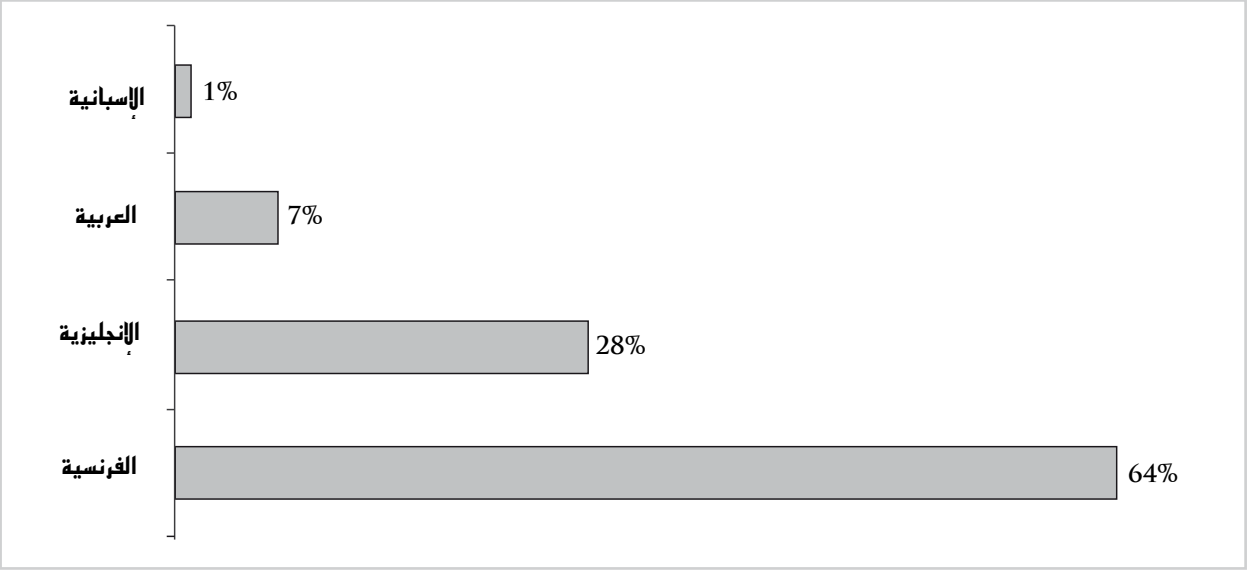

المصدر : "أوروموניטور" 2012، ص 51.

غير أن هذه المنزلة المتواضعة التي يرتضيها المستخدَمون المغاربة للإسبانية تتعارض أيما تعارض مع المعطيات الخاصة بالإقبال والطلب على هذه اللغة، وهي معطيات نشرتها أهم مواقع الويب الخاصة بالتشغيل في المغرب.

الجدول 1.15. عدد عروض العمل المعلن عنها في مواقع الويب الخاصة بالتشغيل، وهي عروض يُتطلَّب فيها امتلاك الألمانية والإسبانية والفرنسية والإنجليزية. 2013

الويب الخاص بالتشغيل	الإسبانية	الألمانية	الإنجليزية	الفرنسية
http://www.optioncarriere.ma	180	59	162	1.856
http://www.offres-emploi.ma	148	53	710	1.739
http://www.emploi.ma	7	3	59	121
http://marocemploi.net	5.110	1.660	11.000	31.600
المجموع	5.445	1.775	11.931	35.316

المصدر : عمل خاص. معطيات تم استقاؤها ما بين 2013-1-18 و 2013-2-3.

إذا كانت المعطيات الواردة في هذه الصفحات الإلكترونية تضع الإسبانية في مرتبة أدنى بكثير من مرتبة الإنجليزية، فإن حصة الطلب على الإسبانية في سوق الشغل المغربية تقدر بنسبة 10 بالمائة. ويُظهِر هذا بوضوح وجودَ تباين بين فائدة الإسبانية كما ينظر إليها وبين فائدتها الحقيقية في المجال المقاولاتي المغربي.

وبخلاف اللغة الإنجليزية، فإن فائدة الإسبانية كما ينظر إليها (1 بالمائة) لا تتوافق مع فائدتها الحقيقية (10 بالمائة).

الرسم البياني 3.15. عروض عمل يطلب فيها الإلمام باللغات، حسب اللغة المطلوبة. 2013 (بالنسبة المائوية)

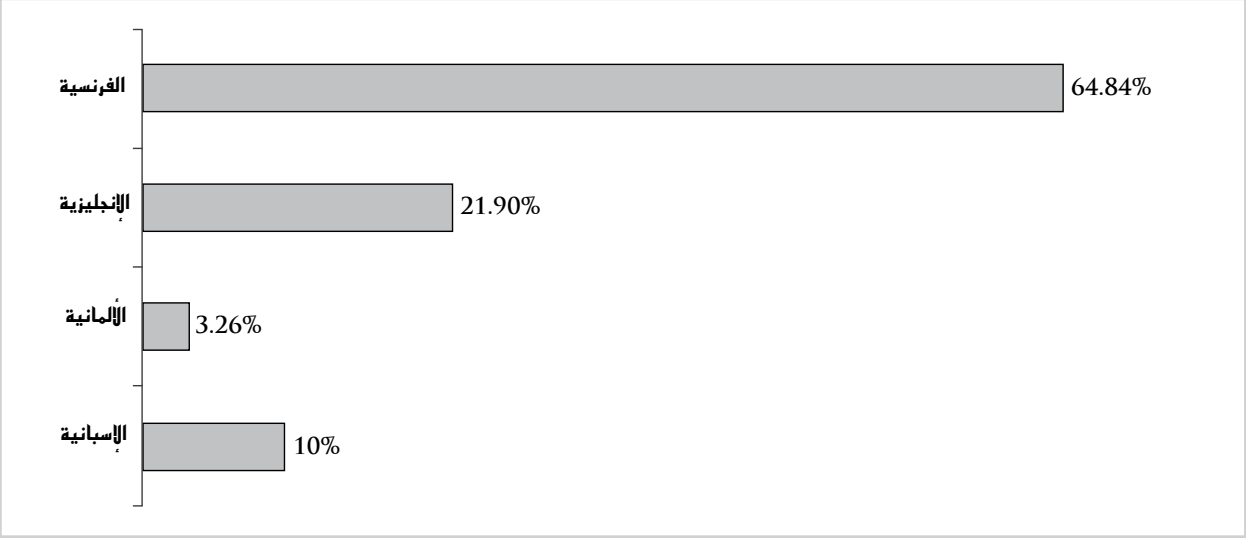

المصدر: عمل خاص تم إنجازه انطلاقا من عينة تعدادها 54.467 من إعلانات التشغيل تم أخذها من مواقع الويب الاربعة الواردة في الجدول 1.15.

ومع ذلك، فالإسبانية هي ثالث لغة تحظى بأكبر نصيب من الطلب من لدن المقاولات المغربية، بعد الفرنسية والإنجليزية، اللتين يقدَّر الطلب عليهما بنسبة 64،84 و21،9 بالمائة على التوالي. والطريف أن نسبة عالية من الإعلانات التي تطرقت إليها الدراسة تستلزم إتقانا للإسبانية كلغة أصلية (29 بالمائة). ويتعارض هذا مع ما يُطلب من إلمامٍ بالإنجليزية، حيث تطلب عادة كلغة اجنبية ثانية (في 91،8 بالمائة من الحالات) او كلغة اولى (في 6،1 بالمائة من الحالات).

الرسم البياني 4.15. نوع الإلمام باللغة الإسبانية الذي تطلبه المقاولات المغربية. 2013 (بالنسبة المائوية) [6]

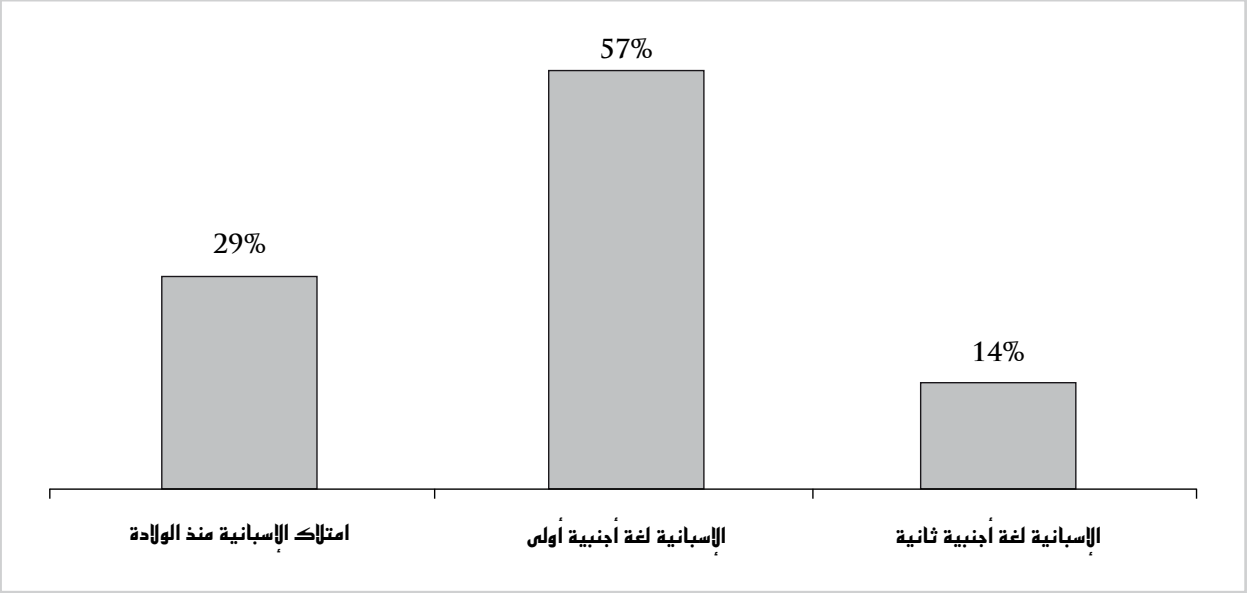

المصدر: عمل خاص ثم إنجازه انطلاقا من عينة تعدادها 100 إعلان للتشغيل، وهي إعلانات أُخِذت من مواقع الويب الاربعة الواردة في الجدول 1.15.

إن في النسبة المرتفعة من المناصب التي يُشترط فيها إتقان الإسبانية كلغة أصلية ما يوحي بأمور عدة، أوَّلُها أنها ربما تعني وجودَ تعامل تفضيلي يحظى به الزبناء الإسبان من لدن المقاولات المغربية. ولعل من العوامل التي كان لها الأثر الحاسم في هذا عاملَ القرب الجغرافي من إسبانيا، وكذلك ما توطَّد ورسخَ بين البلدين من صلات ثقافية وعلاقات تجارية على مر السنين. وثانيها أن المقاولين المغاربة يفترضون سلفا أن الشغيلة التي تتقن الإسبانية كلغة أصلية هي أوفر عدداً من نظيرتها التي تتقن الإنجليزية الإتقان نفسَه. ويتضح أخيرا –وهذه الملاحظة هي ربما أقرب إلى واقع الامور– أن النسبة المرتفعة المقترنة بشرط إتقان الإسبانية كلغة أصلية هي مؤشر يحمل قدراً من المعلومات حول نوع النشاط الذي تزاوله المقاولات المتعاقدة. حقا، فالكثير من هاته المقاولات تقدم خدمات موجهة للزبناء الإسبان، الامر الذي يوحي بأن ثمة توجها قويا لدى المقاولات الإسبانية إلى ترحيل خدماتها إلى المغرب.

6- انظر على سبيل المثال "كرستانجي"، 2008، و"مارك أوجي" 1998 و"أبودراي" 2001.

الرسم البياني 5.15. أنواع ومجالات العمل التي يطلب فيها الإلمام بالإسبانية. 2013 (بالنسبة المائوية)

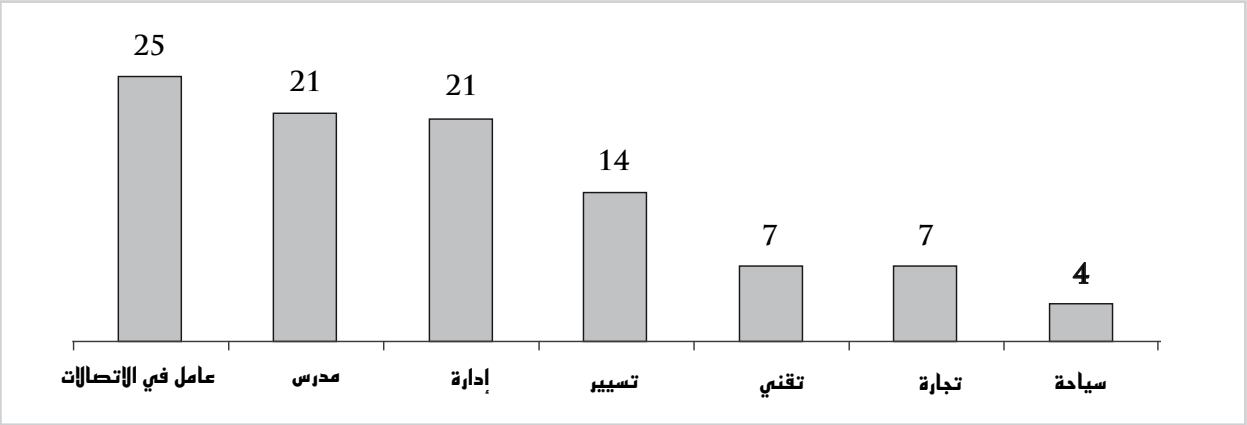

المصدر: عمل خاص تم إنجازه انطلاقا من عينة تعدادها 100 إعلان للتشغيل، وهي إعلانات أُخِذت من مواقع الويب الاربعة الواردة في الجدول 1.15.

يتبين من هذا الرسم البياني أن 25 بالمائة من عروض العمل التي تتطلب الإلمام بالإسبانية هي عروض تخص منصب العامل في الاتصالات عن بعد. وفي معظم هذه الحالات يشترَط إتقانُ الإسبانية كلغة أصلية إذ مَدارُ الامر في المعتاد التعاملُ مع زبناء ذوي منشأ إسباني ومقيمين بإسبانيا. حقا، فالبعض من هذه الإعلانات مكتوب باللسان الإسباني، وهو ما يقلص منَ حظوظ المغاربة الذين لا يتقنون الإسبانية كلغة أصلية في ولوج هذا القطاع، قطاع مراكز تلقي المكالمات. ومهما يكن من أمر، فالمغرب يأتي في المرتبة الثانية خلف بلدان أمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية من حيث عددُ مراكز المكالمات (call centers) بالإسبانية التي انشئت فيه (اليونسكو 2007 : ص 74).

إن ما قامت به في السنين الأخيرة مقاولاتٌ إسبانية عديدة من نقل مراكز تلقي المكالمات إلى المغرب، أو من نقل خدماتها إلى الخارج (externalización) عن طريق صفقات مناولة أبرمتها مع مقاولات مغربية، كل ذلك أضحى يولِّد إقبالا متنامِيا وطلبا متزايدا على اللسان الإسباني من قبل المغاربة. والملاحظ بالفعل في مجال التشغيل أن ثاني ملمَح يشتد الطلب على مواصَفاته أكثر من غيره من بين الملمِين باللسان الإسباني هو ملمح المدرِّس. لكن في هذا السياق، تطلَب الإسبانية عادة كلغة أجنبية أولى، وليس لزاما كلغة أصلية إذ تعطَى الأولوية والرجحانُ لتجربة المدرِّس السابقة في حقل التعليم.

أما في خانة «الإدارة»، فقد أدرجتِ جميع المناصب التي تقتضي إدارة فريق من العاملين، ولم يدرَج بالضرورة مُديرو المقاولات. فمن بين الإعلانات المائة التي تم تناولُها بالدرس والتحليل، يتضح فعلا أن اثنين فقط منها يتعلقان بمناصب تخص هذا المستوى من الإدارة. وفي هذه المناصب لا تشترَط الإسبانية إلا كلغة ثانية أو ثالثة بعد الفرنسية والإنجليزية. وفي هذا ما يشير بوضوح إلى الحضور الباهت للسان الإسباني داخل مجالس إدارة كبرى المقاولات المغربية، إذ إن هذه المقاولات تفضل أن تتعاقد مع أشخاص لهم مواصفات ذات بعد دولي أقوى وأرجح، مواصفات يتوافر فيها إتقان جيد للفرنسية والإنجليزية. أما الإلمام بالإسبانية فلا يعد هنا أولوية لا محيدَ عنها، بلْ هو مجرد قيمة مضافة.

ويجدر بنا أن نشير أخيرا إلى أن مما يبعث على الاستغراب ما نلمسه من إقبال ضعيف وطلب متدنّ على اللسان الإسباني في القطاع السياحي مع أن هناك عددا هائلا من السياح الإسبان الذين يفدُون إلى المغرب. ويمكن أن نلتمس علّة ذلك في كون العديد من الخدمات السياحية التي تحتاج إلى الإسبانية (كخدمات المرشدين والنوادل والعاملين في الاستقبال وغيرها) هي خدمات يتم عادة استيفاؤها تمام الاستيفاء دونما حاجة إلى نشرها للتعريف بها، وذلك من خلال العرض المحلي، وعن طريق الكلام عنها بين الأشخاص.

غير أنه بصرف النظر عن القطاع الخاص وما يحتاجه من مناصب، فالقطاع العام يشكل هو الآخر طرفا متعاقدا ذا حضور وازن وأهمية بالغة. ويتّضح أن مسار التعاقد مع ما يطلبه هذا القطاع من خدمات هو مسارٌ يتمّ عادة عن طريق صفقات عمومية. والمعتاد في هذه الصفقات أن تُنشرَ معطياتُها ومضامينُها باللسانين العربي والفرنسي.

الرسم البياني 6.15. عدد الصفقات العمومية التي يطلب فيها الإلمام بالإسبانية.

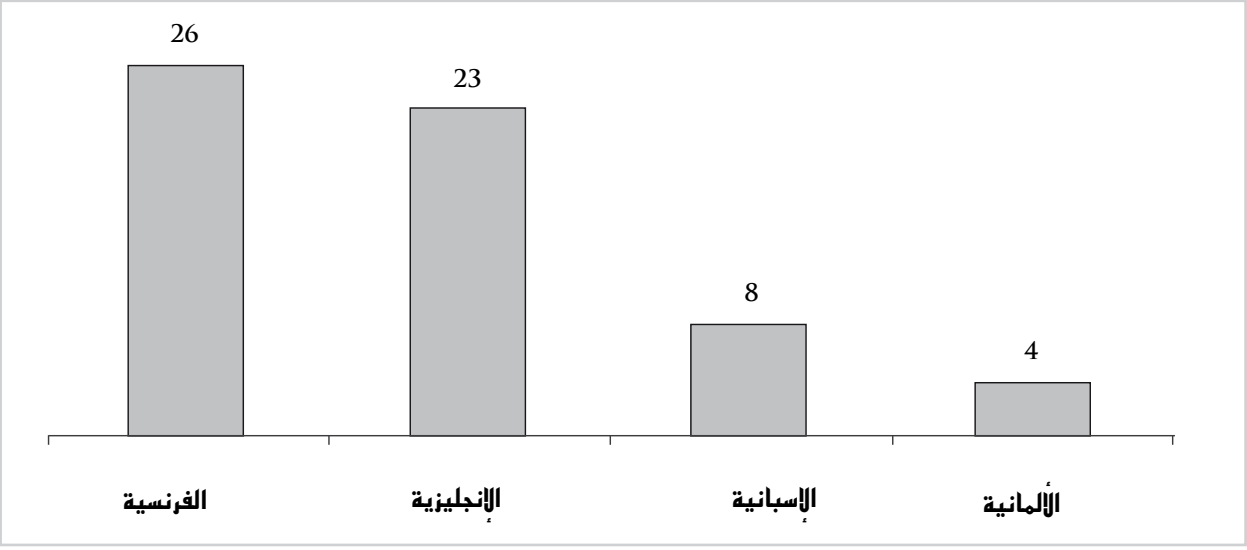

المصدر: عمل خاص تم إنجازه استنادا إلى معطيات مستقاة من البوابة المغربية للصفقات العمومية

Portail Marocain Des Marchés Publics.

الفترة موضوع الإحصاء: من 03-02-2003 إلى 03-05-2013.

يتبيَّن أنه من جملة عروض الصفقات العمومية المعلن عنها في العقد الأخير من الزمن، هناك فقط ثمانية عروض تضمنت شرطَ الإلمام بالإسبانية. ويتعلق الأمر هنا في كثير من الحالات بصفقات مَدارُها الحصول على عقود رُصدت لتكوين موظفين عموميين في اللغة الإسبانية، أو لخلق موارد تربوية، الأمر الذي ينم عن الاهتمام الذي توليه الإدارة المغربية نوعا ما لمسألة نشر اللغة الإسبانية في صفوف موظفيها. غير أن إقبال المؤسسات العمومية المغربية على اللسان الإسباني يبقى أقل وأدنى من اهتمامها باللغة الإنجليزية.

ويحسُن بنا أن نذكر من باب التدقيق بأن تموقع الفرنسية في مستوى يقارب المستوى الذي تتبوأه الإنجليزية لا يعني إطلاقا أن هناك نوعا من الانصراف عن هذه اللغة، بل العكس هو الصحيح إذا أخذنا بالاعتبار كون اللسان الفرنسي يشكل على الدوام شرطاً لا محيد عنه للحصول على مناصب في الوظيفة العمومية.

الفصل السادس عشر. دور السياحة في نشر اللغة الإسبانية

من بين كل قطاعات النشاط المقاولاتي، ربما تشكل السياحة القطاع الذي له الدور الأبرز في نشر اللغة الإسبانية بالمغرب. فالسياحة تقتضي، بخلاف سائر القطاعات، ذهاب حشد كبير من الأجانب إلى هذا البلد. ولا شك أنه بهؤلاء تكبر وتتعاظم زمرة الناطقين بلغتهم الأصلية في المغرب وإن لأمد قصير. ثم إن ما يقوم من اتصال بين السياح الأجانب والسكان المغاربة ينطوي عموما على تبادل للمعلومات حول العادات والتقاليد والسمات الثقافية الخاصة بكل بلد، وكثيرا ما يقترن هذا الاتصال أيضا بتبادل لغوي. هكذا تترك السياحة الأجنبية في نهاية المطاف أثرها وبصمتها على نحو ما في المواطن المغربي، وهو أثر لا يخفى لما له من صلة بدرجة القوة الاقتصادية المقترنة بلغة السائح المعني، وكذا بالفائدة التي قد تُجنَى من تعلم هذه اللغة.

ومع أن الأهمية التي تكتسيها السياحة من حيث هي أداة يتأتى بها نشرُ لغة بلد ما وثقافته على الصعيد الدولي هي ظاهرة معروفة لطالما خضعت للدرس والتحليل[7]، إلا أن دورَ هذا القطاع يغدو أبرزَ وأهميته أكبَرَ حيْن يتعلق الأمر بحضور اللغة الإسبانية في المغرب. ويرجع ذلك أساسا إلى عاملي تجاوُرِ المغرب وإسبانيا جغرافيا، والتاريخ المشترك الذي يجمع البلدين.

في هذا السياق، سيكون تحليل حضور إسبانيا وأهلها في قطاع السياحة المغربي قمينا بأن يُمدَّنا بمعطيات مفيدة حول مدى انتشار اللسان الإسباني في الضفة الأخرى من مضيق جبل طارق.

لقد اتسم النشاط السياحي المغربي على مدى سنين عدَّة بغلبة البنية التقليدية الناظمة لمكوِّناته. فإلى جانب حشد كبير من المقاولات ذات الطابع الأسَري، والمتواجدة محليا أو جهويا، تقف المقاولات العمومية الكبرى، لا سيَّما في مجال الإنعاش العقاري والسياحي وقطاع النقل. ويتضح أن التنوع الذي أضحى يسم البنية المقاولاتية المغربية منذ عقد الثمانينيات أفسح السبيل أمام دخول كبرى مجموعات الشركات في شتى قطاعات الاقتصاد، ومنها قطاع السياحة («تراسبادرني» 2011: ص 36). وكان من شأن ولوجها مجال السياحة أن جعل السلطات المغربية تعي تمام الوعي الأهمية القصوى التي يكتسيها هذا القطاع في تنمية الاقتصاد المغربي في المستقبَل. وقد كان هذا التصور هو الاساس الذي استند إليه في صياغة المخططات السياحية الأخيرة الرامية إلى النهوض بهذا القطاع وتطويره في الضفة الأخرى من مضيق جبل طارق. في هذا السياق جاءت الاتفاقية الإطار رؤية 2010 الموقعة بمراكش في يناير 2001، والتي تَمثلت الغاية منها في إرساء فضاء للتشاور بين السلطات العمومية ومهنيي القطاع بما يتيح تحقيق هدف العشرة ملايين سائح في متمِّ 2010.

ورغم ما كانت ترمي إليه هذه الاتفاقية من غايات طموحة، إلا أنها لم تحقق أهدافها إلا جزئيا. فجاءت رؤية 2020، التي تم التوقيع عليها في 30 نونبر 2010 بمدينة مراكش أيضا لتضع هدفا أساساً هو جعل المغرب يصنَّف ضمن العشرين وجهة سياحية الأولى في العالم.

وبتزامن مع ذلك، عمدت الحكومة المغربية إلى إطلاق مخطط «بِلادي» للنهوض بالسياحة الداخلية، مغيرة بذلك إستراتيجيتها التقليدية المنصبة أكثر على السياحة الخارجية (ن.م: ص 11).

وفي الوقت الراهن، يمتاز قطاع السياحة المغربي بكونه أقل القطاعات ميلاً إلى وضع العقبات والحواجز أمام المستثمرين الأجانب. بل أكثر من ذلك، قامت المملكة المغربية، سعيا منها إلى جلب المستثمرين من دول أخرى، باعتماد العديد من الإجراءات والتدابير التحفيزية لفائدة الفاعلين السياحيين الأجانب الراغبين في الاستقرار بالبلاد. وهي تدابير تتراوح ما بين توفير الأراضي ووضعها رهن إشارة هؤلاء لإنشاء بنى تحتية سياحية، وتقديم تخفيضات ضريبية مقابل تشغيل أجراء مغاربة في هذا القطاع (ن.م: ص 32).

7- انظر الرسم البياني 5.15 الوارد في الفصل الخامس عشر.

وكان أن تشجعت بعض المقاولات الإسبانية فأقدمت في السنوات الأخيرة على حط رحالها بالمغرب، ربما بفضل ما آنسته فيه من ملامح هذا المحيط الاستثماري المواتي. لنذكر من جملة هذه المقاولات: «فاديسا»، و»أورباس»، و»ميكستا أفريكا»، و»ل. ف. سالمنكا»،

(Fadesa، Urbas، و"ميرافلوريس"، Miraflores، L.V. Salamanca) التي حققت صفقات سياحية وعقارية بشمال المغرب ومدينة مراكش، وهي عمليات بلغت قيمتها 1.806 مليار درهم. وهناك شركات أخرى، من قبيل مجموعة "بارسلو" و"إيبيروستار" وسلسلة الفنادق "ريو" وسلسلة "هوسا"، **(Husa، RIU، Iberostar، Barceló)** تمتلك وتسير مركبات سياحية ضخمة أو محطات شاطئية للاصطياف تقع في أهم المواقع السياحية بالمغرب. أما شركتا «مارينا دور» Marina D'Or، Mixta África و»ميكستا أفريكا»، فلهما أيضا موطئ قدم في مجال الإنعاش العقاري.

غير أن الأزمة التي خيمت بظلالها على هذا القطاع في إسبانيا كان من أثرها أن كبحتْ شيئا ما الاستثمارَ الإسباني في المجال العقاري. وخير مثال على ذلك ما حدث من عمليات إلغاء الاستثمار كتلك التي أقدمت عليها شركة «فاديسا» عام 2009 ، حيث باعت جزءا من استثماراتها لمجموعة الضحى (ن.م : ص 5–34).

ومهما يكن من أمر، فكل هذه الأسماء هي الآن جزء من المشهد المقاولاتي المغربي، وهي تسهم بنصيبها في شد انتباه المغاربة واستمالتهم إلى اللغة الإسبانية، وإن كان قصارى ما في الأمر أن يجيدوا استقبال السياح الإسبان الذين يقصدون المغرب كل سنة. ثم إن لها دورا في تعزيز صورة إسبانيا بالبلد الجار كدولةٍ يقوم اقتصادها على أسس متينة، ويشكل قطاعُها السياحي نموذجاً يُحتذى (ن.م : ص 50).

ولا غرابة، فمن الصعب أن نغفل أوجه الشبه الواضحة التي يلاحظها المرء بين بعض المركبات السياحية المغربية التي أنشئت مؤخرا (مثل «بوزنيقة باي»، و»مارينا» بأكادير، ودار بوعزة، والرأس الأسود «كابو نغرو»، و»مارينا سمير») وبين المركبات والمنشآت التي يعج بها ساحل مالقا (ن.م). ومما يفسر جزئيا اهتمامَ المغرب بهذا الضرب من المنتَجات عامل القرب مع إسبانيا أولا، ثم معرفة ساحل الشمس من قبل الطبقة الموسرة والطبقة المتوسطة بالمغرب.

أما الوجه الآخر من العملة، فنجده في القطاع الفندقي. فعلى الرغم من كون إسبانيا دولة لها الريادة في النشاط السياحي وفي تدويل شركاتها السياحية، خاصة الفندقية منها، إلا أن النظرة العامة إزاء المنتج الفندقي الإسباني بالمغرب هي نظرة تضَعُه دون المنتج الفرنسي أو الأنجلوساكسوني (ن.م). لكن ما يؤثر أكثر في استعمال الإسبانية بالمغرب ليس هو الصورة المقاولاتية التي يمكن أن تنقلها الشركات السياحية الإسبانية بقدر ما هو قدرتها على استقطاب الآلاف من السياح الإسبان.

ويتضح أن قدوم السياح إلى المغرب قد عرف ارتفاعاً ملموسا منذ سنة 2014، حيث بلغ عدد السياح فيها 9.375.000 سنة 2012.

الرسم البياني 1.16. عدد السياح الذين زاروا المغرب حسب جنسياتهم. 2009

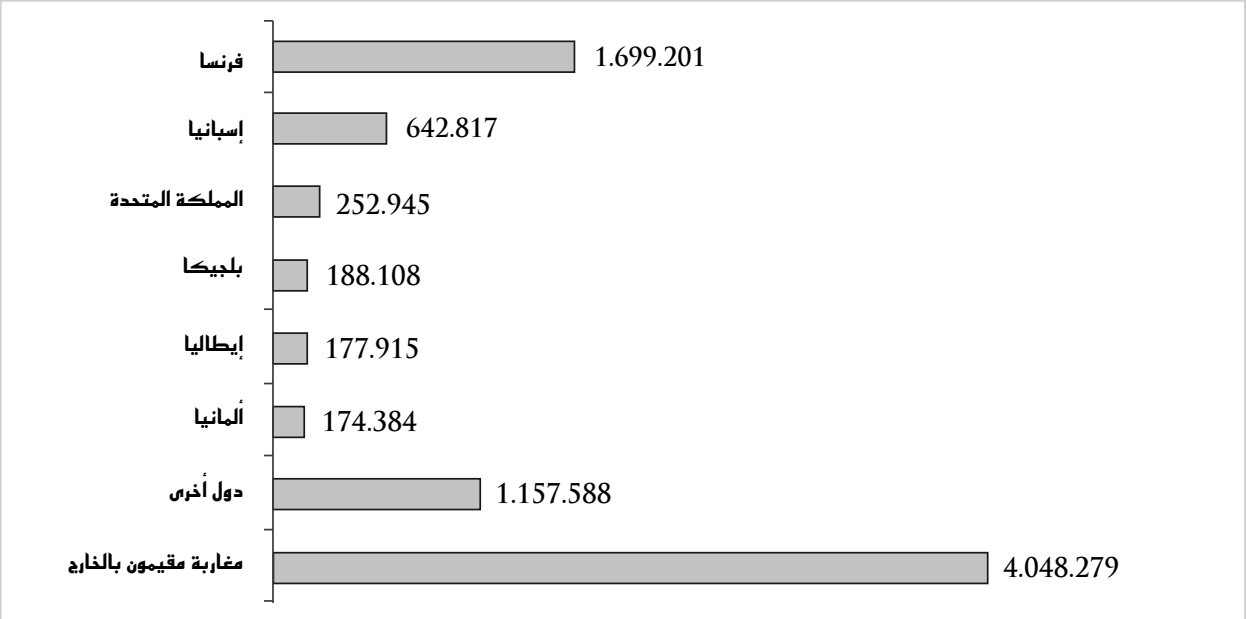

المصدر: وزارة السياحة المغربية، دجنبر 2011.

الملاحظ أن أكثر السياح الأجانب تواجدا بالمغرب السائح الأوربي. ومن المعتاد أن تكون فرنسا هي البلد الذي يأتي منه معظم هؤلاء الزوار. وتأتي إسبانيا في المرتبة الثانية بعيدا عن فرنسا، لكنها تبعد أيضا في هذا التصنيف عن المملكة المتحدة وبلجيكا وإيطاليا وألمانيا.

ولا شك أن من بين ما أثر أيما تأثير في تدفق السياح الفرنسيين والإسبان صوب المغرب ما يوجد بين هذين البلدين والمغرب من تاريخ مشترك ومن حركات هجرة كثيفة ومتواصلة. ينبغي ان نشير في هذا السياق إلى أن الأرقام الواردة في الرسم البياني 1.16 تخص فقط المواطنين الفرنسيين والإسبان الذين يفدون إلى المغرب. وإذا ما أدرجنا أيضا المغاربة المقيمين بالخارج، فإن عدد السياح الآتين من إسبانيا وفرنسا عام 2010 سيصل إذن إلى 2.050.000 و3.354.000 على التوالي (ن.م: ص 9).

ومع أن السياحة الناطقَ أهلُها باللسان الفرنسي تتجاوز بكثير تلك التي يتكلم أصحابُها اللسان الإسباني، إلا أن عدد السياح الإسبان ظل في تزايد منذ أن أطلق برنامج رؤية 2010. الحق ان في هذا للمغاربة الراغبين في ولوج قطاع السياحة حافزاً يحدُوهم إلى تعلم الإسبانية، علماً أن الطلبَ على الخدمات السياحية بالإسبانية سيبقى متواصلا هو الآخر.

الرسم البياني 2.16. تطور عدد السياح الإسبان الذين زاروا المغرب. 2009–2001

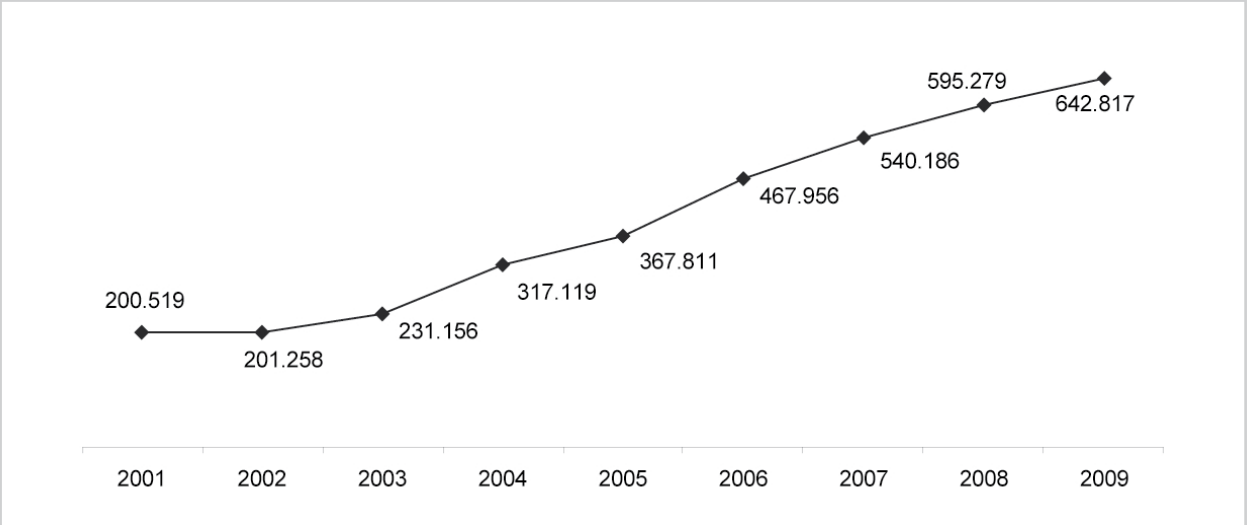

المصدر: وزارة السياحة المغربية، دجنبر 2011.

وهناك عنصر آخر يسهم أيضا في جعل الطلب على الخدمات السياحية بالإسبانية ثابتا مستمرا، عنصرٌ يشكل إحدى أخصِّ خصائص السياحة الأجنبية بالمغرب، وهو ضعف طابعها الموسمي. فإذا صحَّ أن توافد السياح يكون أقوى وأكثر عددا في فترات الصيف والعطل (كعطلة رأس السنة، وأسبوع عيد الفصح وغيرهما)، فصحيح أيضا أن المغرب يستقبل العديد من السياح الإسبان طيلة السنة. وبالمقابل، لا تلاحَظ هذه الموسمية الضعيفة لدى من يقصدون بلادَهم من المغاربة المقيمين بإسبانيا. ذلك أن معظمهم يغتنم العطلة الصيفية فرصة لزيارة أهلهم وذويهم، أو لحل بعض المشاكل العالقة.

وعلى كل حال، فهم إذ يلتقون هناك بمغاربة آخرين يسهمون بشكل ما في نشر بعض سمات ومعالم الثقافة الإسبانية بين مواطنيهم. والحال أن من الأمور العصيَّة على التقييم الكمي الطريقة التي يمكن أن تحْدث بها هذه التبادلات غير الرسمية أثرها لتخلق لدى السكان المغاربة الرغبة في تعلمَ الإسبانية. ومع ذلك، فإن أثر شد الانتباه ولفت الأنظار، الذي يقترن عموما بعوامل اقتصادية، هو عامل قد ينطوي أيضا على الترويج نوعاً ما لتعلم الإسبانية بوصفها أداة يتأتى بها ضمانُ ولوجٍ أفضل إلى سوق الشغل بإسبانيا.

وبقطع النظر عن هذا التزايد التدريجي في عدد السياح الإسبان بالمغرب، فإن هناك مُعطى طريفا يظهر في ضوء تحليل سلوك هؤلاء، وهو أن عدد مبيتات السياح الإسبان أقل بكثير من عدد المبيتات لدى باقي السياح الأجانب. حقا، فالسياح البريطانيون الذين يزورون المغرب، رغم أن عددهم أدنى بكثير من عدد السياح الإسبان، إلا أنهم يقضون عددا من المبيتات أكبر.

الرسم البياني 3.16. عدد مبيتات السياح الأجانب حسب جنسياتهم. 2009

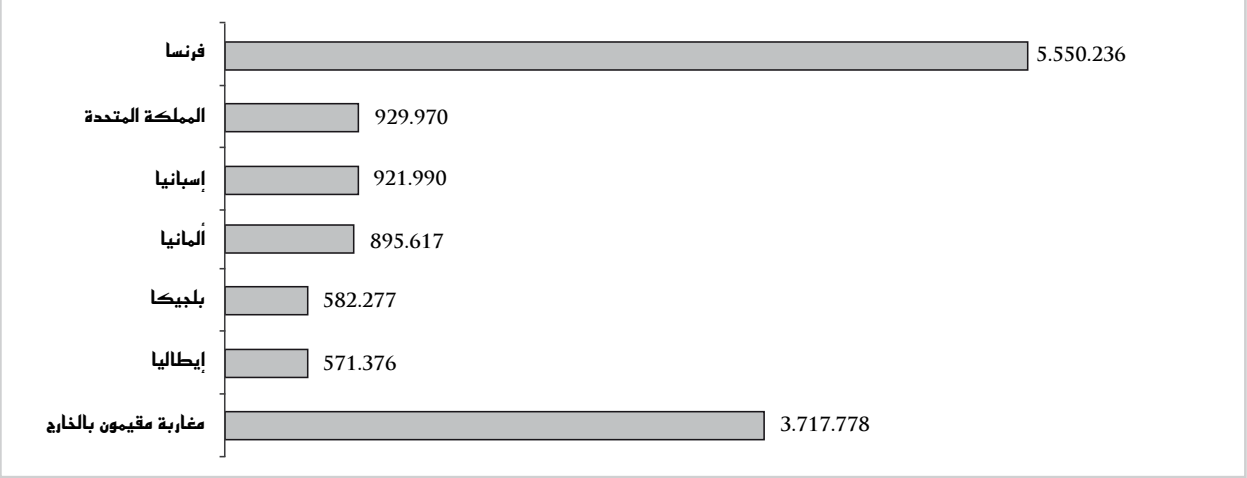

المصدر: وزارة السياحة المغربية، دجنبر 2011.

إن الربط بين المعطى المتعلق بعدد زوار المغرب من الإسبان، وبين عدد المبيتات يعني ضمنيا أن السائح الإسباني يقضي عادة وقتا من الإقامة اقل مما يقضيه السائح الفرنسي أو الإنجليزي.

وفي ما يتصل باللغة الإسبانية، يدل ما أسلفناه على أن استعمالها في قطاع السياحة يقارب مستوى استعمال الإنجليزية والألمانية، علما أن عدد المبيتات متشابه.

ومن جانب آخر، فلمَّا كانت مبيتات الإسبان أقل عددا، فإن مستوى تعلم الإسبانية الذي يحتاج إليه المرشدون والعاملون في قطاع السياحة يكون هو الآخر مستوى أقل وأدنى، إذ في كثير من الأحيان لن يكون من الضروري الخروج عن العبارات الجاهزة والجمل النمطية، الأمر الذي لا يستوجب معرفة رصينة باللغة وإن كان يستوجب حظا أدنى من الإلمام بها. والحال أن هذا الأمر وإن كان لا يتطابق تماما مع واقع قطاع السياحة في جانبه المتصل بمعرفة اللغات الأجنبية، إلا أنه قد يؤثر إلى حد بعيد في الطلب على الإسبانية.

ثم إن انخفاض حجم المبيتات يعني ضمناً أن السياحة الإسبانية تنفق من الأموال خلال مُقامها بالمغرب أقل مما تنفقه السياحة البريطانية، وتكاد تتساوى في ذلك مع السياحة الألمانية. ومن شأن الإنفاق بهذا القدر الأدنى أن يؤثر سلبا في الإقبال على اكتساب معارف في اللسان الإسباني من قبل المغاربة العاملين في قطاع السياحة. وربما لهذا السبب نجد أن إعلانات التشغيل في القطاع السياحي التي تشترط فيها معرفة الإسبانية هي ضئيلة قليلة العدد قياسا إلى نظيراتها في باقي القطاعات[8].

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن الوجهات التي تختارها السياحة الإسبانية تفصح عن وجود بنية ناظمة إيجابية نوعا ما في ما يتعلق بنشر اللغة الإسبانية بالمغرب. ومردَ ذلك إلى ان هذه الوجهات لا تتطابق مع الاماكن التي تتسم بحضور أقوى للسان الإسباني. هكذا فأكثر الوجهات شعبيةً مدينة مراكش التي تقع في منطقة النفوذ الفرنسي السابق. وبذا فإن السياحة الإسبانية تغدُو قمينةً بأن تسهم في تحريك الإقبال على الإسبانية وتشجيع الطلب عليها في تلك الربوع من المغرب التي ظلت فيها هذه اللغة عموما أدنى حضورا مما هو الحال في شمال البلاد.

8-

الجدول 1.16. أهم الوجهات التي يقصدها السياح الإسبان.

الوجهات	عدد السياح
مراكش	201.424
طنجة	81.750
الدار البيضاء	76.233
فاس	51.246
أكادير	30.379
الرباط	29.073
ورزازات	20.221
تطوان	14.628

المصدر: المكتب الوطني المغربي للسياحة بمدريد 2013. معطيات سنة 2000.

الجزء الخامس:
خلاصات

إنَّ حضور اللغة والثقافة الإسبانيتيين في المغرب، والثقافة الناطقة باللسان الإسباني عموما، هو حضور لا يرقى إلى المستوى المنشود مبدئيا بالنظر إلى ما يوجد بين البلدين من روابط تاريخية ومن قرب جغرافي، وإلى ما يبين عنه المغاربة من اهتمام بهذه الثقافة، وبالنظر ايضا إلى حجم المجهود الذي تبذله إسبانيا في عملها التربوي والثقافي بالمغرب، علما أن هذا البلد هو من أوائل البلدان في العالم التي توليها إسبانيا أكبر الاهتمام في هذا الباب.

ومع ذلك فإننا نعيش الآن لحظة مواتية لكي يُتَّخذَ من الإجراءات والتدابير ما يتيح النهوض باللغة والثقافة الإسبانيتيين في المغرب وييسر نشرهما على نحو افضل. فإلى جانب الاسباب التاريخية والقرب الجغرافي والثقافي، هناك ظاهرة الهجرة وما يقترن بها من تدفق شديد للاشخاص بين البلدين، وايضا ما نلمسه من حضور قوي للتلاميذ والطلبة المغاربة او ذوي الأصل المغربي بربوع إسبانيا، فضلا عن تنامي حجم المبادلات الاقتصادية بين المواطنين في المملكتين، وهو ما يزيد من الإقبال على تعلّم اللسان الإسباني.

ثم إن هناك الإرادة السياسية التي أبان عنها كلا البلدين من خلال إعلان 3 أكتوبر 2012 الذي تم بمناسبة انعقاد الاجتماع بين الحكومتين على أعلى مستوى، وهو لقاء أوصى بضرورة «تقوية تواجد اللغة الإسبانية في المناطق المغربية التي تشهد حضورا أكبر لهذه اللغة، وكذا الرفع من حضورها في مجموع التراب المغربي، والهدف من كل ذلك إنما هو توطيد الروابط الثقافية والاقتصادية، ومن ثم الإسهام في تحسين مستوى عيش المواطنين».

ومما لا شك فيه أن ترسيخَ استعمال لغة ما في مجتمع ما يقتضي أولاً إعمالَ النظر في التربية. إن هذا التقرير أتاح لنا في هذا السياق تحديدَ مَواطن القصور التي تتخلل مَختلفَ المستويات التعليمية التي يمكن الاشتغال عليها سويا بقصد تحسين معرفة اللغة الإسبانية والإلمام بها من قبل المواطنين المغاربة، والغرض هو دوماً استثمار ما يمكن أن تقدمه لهم هذه اللغةُ من قيمة مضافة.

هكذا يلاحَظ مثلا في سلكَي التعليم الابتدائي والثانوي أن عرضَ تدريس الإسبانية لا يتوافق مع الطلب. فالمؤسسات التعليمية الإسبانية الموجودة بالمغرب، مع انها تُظهر بعض الاستقرار في نسبة التسجيل بها على مدى السنينَ الأخيرة، مع تغيرات طفيفة متوقعة عموما ومرتبطة بتموقعها الجغرافي، إلا ان الكثيرَ منها بلغ الحد الأعلى في عدد التسجيلات، ما يضطر البَعضَ منها، كما هو حالُ مراكز طنجة والرباط والدار البيضاء، إلى رفض طلبات الالتحاق بها جراءَ النقص الحاصل في طاقتها الاستيعابية.

ويلاحظ في النظام التعليمي المغربي أيضا أن هناك طلباً على الإسبانية لا يتم الاستجابة له. فالعرض المتعلق بتعليم الإسبانية في مؤسسات التعليم الثانوي ليس متوفرا على الدوام للتلاميذ الذين درسوا هذه اللغة في المرحلة الابتدائية، الأمر الذي يقود هؤلاء في آخر المطاف إلى اختيار لغات أخرى. ويلاحظ انه في النظام التعليمي غير الجامعي في المغرب، تُدرس الإسبانية لعدد من التلاميذ يناهز 70000 تلميذا، بينما تُلقنُ الإنجليزية لعدد يصل إلى حوالي 450000 تلميذا. اما باقي اللغات الأجنبية التي يتوفر تدريسُها (أي الألمانية والإيطالية)، فتأتي بعيدا جدا وراء الإسبانية.

أما النظام التعليمي الجامعي، فتدرس فيه اللغة الإسبانية في سبع جامعات عمومية، ويتَّضح أن ثمة اهتماما بيِّناً بهذه الدراسات.

ومن المتوقع في ضوء ما نلمسُه من عدد هائل للطلبة المغاربة الذين يقصدون إسبانيا لمتابعة دراساتهم الجامعية أن يلاقيَ فتح فروع للجامعات الإسبانية بالمغرب، أو حتى إنشاء جامعات بحصر المعنى في هذا البلد، نجاحا كبيرا. ولئن كان هناك الآن تعاون كثيف ما فتئ يتقوى بين الجامعات الإسبانية ونظيرتها المغربية، إلا انه لحد الساعة لا توجد أي مؤسسة جامعية مفتوحة في المغرب. الواقع أن تواجدا اكبر للجامعات الإسبانية في التراب المغربي، خاصة كانت أم عمومية، قمين بأن يفسح السبيل امام إرساء تكوين في مباحث وتخصصات تستقطب الاهتمام المشترك بقدر ما هو قمين بأن ييسر تطوير التعاون في مجال البحث العلمي.

إن شبكة معاهد سرفانطيس بالمغرب تشكل أداةً ثمينة لنشر اللغة الإسبانية، وهي أداة لم تستنزف بعد كل ما تزخر به من طاقات. فمن شأنها متى أمكن ذلك أن تضطلع، إذا ما تم إمدادها بمزيد من الموارد من مقرها الرئيسي بمدريد، بتحسين قدرتها التواصلية وتطوير أداءها كوسيلة لتأكيد حضور اللغة والثقافة الإسبانيتين في المناطق التي ما زال ينتفي فيها هذا الحضور.

إجراءات وتدابير في ضوء ما أسلفنا ذكرَه، يمكن إعمال النظر في نوع الإجراءات والتدابير التي يتعين الإقدام عليها قصد التوصُّل تدريجيا إلى تمكين اللغة الإسبانية من تحقيق كل ما لها من قدرة على النمو والانتشار في المغرب. والحق أن مجال التربية هو المجال الأمثل الذي يمكن الاشتغال فيه لبلوغ هذا الهدف.

في هذا السياق، يجدر بالحكومة الإسبانية أن تقوي في حدود إمكاناتها من شبكة مؤسساتها التعليمية في المغرب. والظاهر أنه ليس من الواقعية في شيء أن نرتقب في الأمد القريب إمكان إحداث مؤسسات تعليمية جديدة تتولى أمرَ تدبيرها على نحو مباشر وزارةُ التربية والثقافة والرياضة. ومع ذلك فقد يكون من المستحَبِّ التفكيرُ في صيَغ جديدة سمَتها الجدَّة والابتَكار، صيغ لإقامةَ شراكة بين القطاعين الخاص والعام، بحيث يتأتى، بمساعدة الإدارتين وبإرادتهما الحسنة، إحداثَ مؤسساتَ تعليمية تقدم تعليما ابتدائيا وثانويا يتيح الالتحاق بالجامعات الإسبانية وفق الشروط نفسها التي تضَعُها مؤسسات التعليم العمومي الإسبانية، ويمكن أن يفوض أمرُ استغلالها إلى أشخاص من الخواص ذاتيين أو معنويين، وذلك بمساعدة الوزارة –وزارة التربية والثقافة والرياضة– وتحت إشرافها ومراقبتها الدقيقة، كما يمكن أن تحظى هذه المؤسسات ببعض التسهيلات من قبل الحكومة المغربية في باب التشريع المتعلق بالشغل وفيما يتصل بصياغة وتصميم المقررات الدراسية.

كما أن إحداثَ شُعب مزدوجة اللغة عربية–إسبانية في المؤسسات التعليمية المغربية قد يكون هو الآخر فرصة سانحة لاستغلال الموارد على نحو أكثر نجاعة وفعالية ولاستقطاب المتعلمين المغاربة على نطاق أوسع. بل إنه بالإمكان مع مرور الزمن وفي الأمد البعيد الاشتغال من أجل إحداث هذه الشعب وتنظيمها على نحو يجعل التلاميذ يحصلون عند الانتهاء من سلك الباكلوريا على شهادة مشتركة من البلدين.

ولعله سيكون من الضروري العملُ حثيثاً من أجل تجاوز المشكل المشار إليه أعلاه، مشكل انعدام الاستمرارية الذي يعاني منه بعض التلاميذ الذين درسوا الإسبانية في المرحلة الابتدائية والذين لا يتسنى لهم متابعة هذا المسار في التعليم الثانوي. هكذا يمكن التفكير، كإجراء انتقالي، في تمكين هذه الفئة من الاستفادة من تعليمٍ عبرَ شبكة الأنترنيت يتم تصميمُه والإشراف عليه بشراكة مع إسبانيا.

إن المشروع الذي تبنته مؤخراً حكومةُ المملكة المغربية، والمتعلق بإحداث باكلوريا دولية مغربية تتضمن تخصص اللغة الإسبانية، والذي تشارك فيه السفارة الإسبانية من خلال مستشاريتها في التربية، هو فرصة ثمينة سيتأتى بها تنظيم وهيكلة اللغة الإسبانية في النظام التعليمي المغربي، ومن ثم تقوية حضورها فيه.

ولكي يتأتى ترجمة هذه التدابير إلى ممارسة فعلية، هناك عنصر جوهري يمكن التوسُّلُ به ويتمثل في دعم التكوين المستمر لفائدة هيئة التدريس المغربية غير الجامعية التي تدرس اللغة الإسبانية، وذلك بالاستناد إلى برامجَ ومضامينَ يتم صياغتها على نحو مشترك مع إسبانيا، ويتسنى بها تعميقُ وتدقيق البرامج والمضامين الراهنة. ولعله سيكون من الملائم أيضاً إدراج ما يسمى بأساتذة الدعم و/أو المساعدين الإسبان في مجال المحادثة، كما يمكن التطرق، دراسةً وتصوراً، إلى صيغةٍ معينة لدعم التعاقد مع الأساتذة الإسبان ليشتغلوا بالمدارس المغربية.

أما على صعيد الجامعة، فإن التعاون التربوي القائم بين وزارتي البلدين وبين شعب الإسبانية الموجودة بالجامعات المغربية يشكل فرصة سانحة لتقوية التكوين المخصص لأساتذة المستقبل والرفع من مستواه وكذا لتحفيزهم، علما ان هؤلاء هم في نهاية المطاف من سيضطلعون بإدخال ونشر اللغة الإسبانية في المجتمع المغربي، ما يعني فسح المجال أمام تعزيز العلاقات بين البلدين.

إن الإجراءات التي سيتم الأخذ بها في هذا الباب هي إجراءات يعضدُها الإطار الذي تم إحداثه من خلال الالتزام المتفق عليه في يوليوز 2013 بين وزارة التربية والثقافة والرياضة الإسبانية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر بالمغرب، وكذا بين مختلف هيئات القيدومين ورؤساء الجامعات (كمنتدى قيدومي الجامعات الإسبانية CRUE ومنتدى رؤساء الجامعات CPU على التوالي)، وهو التزام يضع إطارا عاما للتعاون ويولي اهتماما خاصا لتعزيز وتطوير التعاون بين البلدين في المجال اللغوي.

وسيكون من اللازم تعزيز المبادرات التي انطلقت من قبلُ في إطار هذا التعاون الجامعي الذي قد أنشئت بمقتضاه العديد من مراكز الموارد في الجامعات المغربية المتوفر فيها تدريسُ اللغة الإسبانية، وذلك من خلال اتفاقيات أبرمت مع مستشارية التربية، كما تبذل جهود لتيسير مشاركة عدد من الخبراء الإسبان في تقديم دروس وورشات مخصصة لمختلف الأسلاك الجامعية، بما فيها سلك الدكتوراه.

كما سيكون من المفيد توسيع البرنامج الجديد الخاص بالأساتذة الزائرين الذي تشرف عليه الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي من أجل التنمية (AECID)، والمعمول به حاليا في جامعتي فاس وأكادير، ليشمل عددا أكبر من الجامعات المغربية.

وسيكون من المفيد كثيرا العمل على بلورة توجه خاص بالتعاون على الصعيد العملي التطبيقي، وهو تعاون يتصل بالتطوير المنتظم لمقررات اللغة الإسبانية وآدابها في الجامعات المغربية، سواء عن طريق تنظيم ورشات أو دروس متخصصة تشرف عليها المصالح التربوية التابعة لمستشارية التربية الإسبانية بالمغرب، أو من خلال محاضرات تنصب على موضوعات محددة وتتكلف بتقديمها الجامعات الإسبانية و/أو معهد سرفانطيس.

ومن شأن الاعتراف المزدوج بالشهادات المحصل عليها أن يسهم في تقوية الطلب على الإسبانية في الجامعات المغربية إذ سيفتح آفاقا رحبة في سوق الشغل أمام الطلبة المتابعين لهذه الدراسات.

ثم إن الظرف الراهن خليقٌ بأن يفسح السبيل أمام ابتكار وتطوير بنية جديدة في حقل التعاون التربوي، بنية تتمثل في صياغة وتصميم إستراتيجيات جديدة مثل استخدام بيئة افتراضية للتعلم تتلاءم مع تقنيات الدروس على الإنترنيت المفتوحة أمام العموم، (ما يصطلح عليه بالمختصر اللفظي MOOC : Massive Online Open Courses). ومن شأن هذه التقنيات أن تسهم في ترسيخ نموذج جديد من «التعلم الذاتي» داخل المجموعة، حيث يكون زملاء الفصل هم الذين يساعدون في رفع اللبس وتذليل الصعوبات، وحيث يقوم المدرِّسون بتسجيل الدروس كي يتمكن المتعلم من تتبعها مرّات عديدة.

المراجع

Abbassi, A. (1977) : A sociolinguistic analysis of multilingualism in Morocco. Tesis, Austin: University of Texas.	العباسي، أ. (1977): تحليل سوسيولساني للتعدد اللغوي في المغرب. أطروحة، أوستين: جامعة تكساس).
Acuerdo de coproducción y de intercambio cinematográfico entre el Reino de España y el Reino de Marruecos, hecho "ad referéndum" en Rabat el 27 de abril de 1998. http://www.boe.es/diario_boe/txt.php?id=BOE-A-2001-20993.	اتفاقية الإنتاج المشترك والتبادل السينمائي بين المملكة الإسبانية والمملكة المغربية، وقد تم إبرامها «من خلال مذكرة استعلامية» في الرباط في 27 أبريل 1998.
AEAT [Agencia Tributaria] : http://www.agenciatributaria.es/.	وكالة الضرائب
Affaya, Noureddine y Guerraoui, Driss (2005): La imagen de España en Marruecos. Barcelona: Fundacion CIDOB.	أفاية، نور الدين، والكراوي، إدريس (2005): صورة إسبانيا في المغرب. برشلونة: مؤسسة «سيدوب» (مركز برشلونة للشؤون الدولية).
Alexa.com (s. d.) : www.alexa.com [Consultado: 6-01-2013].	
Appadurai, A. (2001): La Modernidad Desbordada. Dimensiones culturales de la globalización. Montevideo: Fondo de Cultura Económica.	"أبادوراي، أ" (2001) : (الحداثة المتجاوزة. أبعاد العولمة الثقافية. مونتيفيديو: صندوق الثقافة الاقتصادية).
Augé, M. (1998): El viaje imposible: el turismo y sus imágenes. Barcelona: Editorial Gedisa.	«أوجي، م.» (1998) : (السفر المستحيل: السياحة وصورها. برشلونة).
Averty (2012) : L'utilisation d'internet et des réseaux sociaux au Maroc. http://averty.ma/resultats/lutilisation-dinternet-et-des-reseaux-sociaux-au-maroc-2012.	«أفيرتي» (2012) : (استعمال الأنترنيت والشبكات الاجتماعية بالمغرب).
Aziza, Mimoun (2009) : «El Protectorado español en Marruecos (1912-1956) visto por los marroquíes", en Ceuta y el protectorado español en Marruecos, Ceuta: Instituto de Estudios Ceutíes, pp. 51-62.	عزيزة ميمون (2009) : («الحماية الإسبانية في المغرب (1912–1956) في اعين المغاربة»، سبتة، والحماية الإسبانية في المغرب، سبتة: معهد الدراسات السبتية...).
Barbour, Stephen (2000) : "Nationalism, Language, Europe", en Barbour, Stephen y Cathie Carmichael (eds.), Language and Nationalism in Europe, Oxford: Oxford University Press, pp.1-17.	"ستيفان بربور" (2000) : "(القومية واللغة وأوربا"، انظر : "بربور، ستيفان" و" كاتي كارميكيل"، اللغة والقومية في أوربا، منشورات جامعة أكسفورد...).
Bel Bravo, María Antonia (2006) : Sefarad: los judíos de España. Madrid: Sílex.	«بيل برافو»، «ماريا أنطونيا» (2006) : (السفارديون: يهود إسبانيا. مدريد: سليكس).

Ben, J. Luis (2006) : "Cooperación cultural con Marruecos: experiencia y reflexiones", en Ec, cuadernos de economía de la cultura 4-5, 171-174.	«بِن، ج. لويس»(2006) : («التعاون الثقافي مع المغرب: تجربة وتأملات»).
Benjelloun, Mohamed Othman (2012) : La question de la diversité à la lumière des résultats de l'enquête nationale sur le lien social. IRES (27 julio).http://www.ires.ma/sites/default/files/rencontresetdebats/m.o.benjelloun_la_diversite_dans_lenquete_sur_le_lien_social.pdf.	بنجلون، محمد عثمان (2012) : (مسألة التنوع في ضوء نتائج البحث الوطني حول الرابط الاجتماعي...).
Ben Moussa, Mohamed (2011) : The Use of the Internet by Social Movements in Morocco: Implications for Collective Action and Political Change. Tesis presentada en el Departamento de Estudios de Comunicación de Concordia University, Montreal, Quebec, Canadá.	بنموسى، محمد 2011 : (استعمال الأنترنيت من قبل الحركات الاجتماعية في المغرب: دلالاته على صعيد العمل الجماعي والتغيير السياسي. أطروحة قدمت بشعبة دراسات التواصل بجامعة «كنكورديا»، مونتريال، كبيك، كندا).
Benyaya, Zineb (2006) : La enseñanza del español en la secundaria marroquí: aspectos fónicos, gramaticales y léxicos. Materiales didácticos. Tesis doctoral dirigida por Dr. Pedro Barros García. Universidad de Granada.	بنيحيى زينب (2006) : (تدريس الإسبانية في التعليم الثانوي المغربي، جوانب صوتية ونحوية ومعجمية. العدة المنهجية. أطروحة لنيل الدكتوراه أشرف عليها د. «بيدرو باروس غارسيا». جامعة غرناطة).
Boukous, Ahmed (1995) : Société, Langues et Culture au Maroc: Enjeux Symboliques. Rabat, Morocco: Faculté des lettres et des Sciences Humaines.	بوكوس، أحمد (1995) : المجتمع واللغات والثقافة في المغرب: رهانات رمزية. الرباط، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
Boundi Boundi, Mohamed (2007) : "La imagen de España en la prensa marroquí", en López García, Bernabé y Miguel Hernando de Larramendi (coord.), Historia y memoria de las relaciones hispano-marroquíes: Un balance en el Cincuentenario de la Independencia de Marruecos, Madrid: Ediciones del Oriente y del Mediterráneo, pp. 486-502.	بندي بندي، محمد (2007) : («صورة إسبانيا في الصحافة المغربية»، انظر «لوبيث غارسيا، برنابي» و»ميغيل هرناندو دي لارامندي» (منسقا): تاريخ وذاكرة العلاقات الإسبانية المغربية: حصيلة مرور خمسين سنة على استقلال المغرب، مدريد...).
Bourdieu, P. (1985) : ¿Qué significa hablar? Economía de los intercambios lingüísticos. Madrid: Akal.	«بورديو، ب» (1985) : (ما معنى أن تتكلم؟ اقتصاد التبادلات اللغوية. مدريد...).
Cano Aguilar, Rafael (2009) : "Lengua e identidad en Andalucía: visión desde la historia", en Narbona Jiménez, Antonio (coord.), La identidad lingüística de Andalucía, Sevilla: Junta de Andalucía (Centro de Estudios Andaluces), pp. 67-134.	«كانو أغيلار، رافاييل» (2009) : («لغة الأندلس وهويتها: رؤية تاريخية»، انظر «ناربونا خيمينيث، انطونيو (منسقا)، هوية الاندلس اللغوية، إشبيلية: حكومة الأندلس (مركز الدراسات الأندلسية)...
Castien Maestro, Juan Ignacio (2004) : "Las comunidades judías de Marruecos. Entre la convivencia y la marginalidad", en Papeles ocasionales, UNED.	«كاستيان مايسترو، خوان إغناسيو» (2004) : («الجماعات اليهودية بالمغرب. بين التعايش والهامشية»...
CCM [Centre Cinématographique Marocain] (2010): http://www.ccm.ma/inter/phactualite/Bilan2010t.pdf.	المركز السينمائي المغربي (2010)...).

Censo Marroquí (2004) : Recensement général de la population et de l'habitat 2004 http://www.hcp.ma/Recensement-general-de-la-population-et-de-l-habitat-2004_a633.html.	الإحصاء المغربي (2004) : الإحصاء العام للسكان والسكنى 2004...
CIDOB : http://www.cidob.org/es.	مركز برشلونة للشؤون الدولية
Cohí Anchía, Carla (2003): Estrategias de introducción en el mercado marroquí y canales de distribución. Casablanca: Embajada de España/Oficina comercial. http://www.fedeto.es/noticias/jornada_marruecos/estrategias_de_introduccion_en_el_mercado_marroqui.pdf.	«كوهي أنشيا، كارلا» (2003) : (إستراتيجيات الولوج إلى السوق المغربية وقنوات التوزيع. الدار البيضاء: السفارة الإسبانية/ المكتب التجاري...).
Colectivo Ioé (2012) : Crisis e inmigración marroquí en España. 2007-2011, (mayo).	مجموعة «إيوهي» (2012) : (الأزمة والهجرة المغربية بإسبانيا. 2007– 2011، (ماي).
y Mercedes Fernández (2010) : Encuesta Nacional de Inmigrantes 2007: El mercado de trabajo y las redes sociales de los inmigrantes. Madrid: Ministerio de Trabajo e Inmigración. http://extranjeros.empleo.gob.es/es/observatoriopermanenteinmigracion/Publicaciones/archivos/Encuesta_Nacional_Inmigrantes2007.pdf.	مجموعة «إيوهي» و»مرسديس فرناندیث» (2010) : (البحث الوطني حول المهاجرين 2007: سوق الشغل وشبكات المهاجرين الاجتماعية. مدريد : وزارة الشغل والهجرة).
Commission Spéciale Education Formation (1999) : Charte Nationale d'Éducation et de Formation. Royaume du Marochttp://planipolis.iiep.unesco.org/upload/Morocco/Morocco%20Charte%20nationale%20Education%20Formation.pdf.	اللجنة الخاصة للتربية والتكوين (1999) : الميثاق الوطني للتربية والتكوين. المملكة المغربية...
Convenio de Cooperación Cultural entre el Gobierno de España y el Gobierno del Reino de Marruecos. Hecho en Rabat el 14 de octubre de 1980.http://www.boe.es/diario_boe/txt.php?id=BOE-A-1985-20897.	اتفاقية التعاون الثقافي بين الحكومة الإسبانية وحكومة المملكة المغربية. وأبرمت بالرباط في 14 أكتوبر 1980...
DataEmpresas (2013) : Estadísticas del comercio exterior español, Secretaría de Estado de Comercio Exterior. Ministerio de Industria, Turismo y Comercio http://datacomex.comercio.es/CabeceraPersonalizada.aspx. Datainvex (2013): http://datainvex.comercio.es/.	إحصائيات التجارة الخارجية الإسبانية، كتابة الدولة في التجارة الخارجية. وزارة الصناعة والسياحة والتجارة...
Decisión del Consejo y de la Comisión, de 24 de enero de 2000, relativa a la celebración del Acuerdo Euromediterráneo por el que se crea una asociación entre las Comunidades Europeas y sus Estados miembros, por una parte, y el Reino de Marruecos, por otra. http://eurlex.europa.eu/LexUriServ/LexUriServ.do?uri=CELEX:32000D0204:ES:NOT.	قرار المجلس واللجنة، المؤرخ في 24 يناير 2000، والمتعلق بالاحتفاء بالاتفاقية الأورومتوسطية التي تم بمقتضاها إحداث شراكة بين المجموعة الأوربية والدول الأعضاء فيها وبين المملكة المغربية.

Douz, Yahya (2011) : "L'audiovisuel marocain aux yeux des étudiants», en Memoireonline. http://www.memoireonline.com/07/11/4616/m_Laudiovisuel-marocain-aux-yeux-des-etudiants0.html.	دوز، يحيى (2011) : («القطاع السمعي البصري المغربي من منظور الطلبة»)
El Khoutabi, M. (2005) : "Breve historia de la enseñanza de la lengua y cultura españolas en el sistema educativo marroquí" en Aljamía 16, 67-70.	الخطابي، م (2005) : لمحة تاريخية عن تدريس اللغة والثقافة الإسبانيتين في النظام التعليمي المغربي»...).
Ennaji, Moha (2002) : "Language Contact, Arabization Policy an Education in Morocco", en Rouchdy, Aleya (ed.) Language Contact and Language Conflict in Arabic: Variations on a Sociolinguistic Theme. Oxford: RoutledgeCurzon, pp. 70-90.	الناجي، موحا (2002) :
Epalza, Míkel de y Gafsi Slama, Abdel-Hakim, "Léxico y onomástica hispánicos de los moriscos, conservados en Tunicia", en Actas del VII Simposio Internacional de Mudejarismo, Teruel, 19-21 de septiembre de 1996, pp. 633-642.	"إيبالثا، ميكيل دي" وغفسي سلمى، عبد الحكيم: ("المعجم والأسماء الإسبانية عند المورسكيين، معالم تم الحفاظ عليها في تونس"، انظر وقائع الندوة الدولية السابعة حول الفف المدجَّن، طِرويل، 21–19 شتنبر 1996...).
Estacom: http://estacom.icex.es/. Euromonitor (2012): The Benefits of the English Language for Individuals and Societies: Quantitative Indicators from Algeria, Egypt, Iraq, Jordan, Lebanon, Morocco, Tunisia and Yemen. Reino Unido: British Council.	
EXTENDA [Agencia Andaluza de Promoción Exterior] (2010): Estudio Estratégico sobre la Internacionalización del Sector Audiovisual Andaluz. MKM International Business Consulting. Junta de Andalucía, Sevilla, 10 de Marzo de 2010.http://www.juntadeandalucia.es/culturaydeporte/comunidadprofesional/sites/default/files/86._estudio_estrategio_internacionalizacion_sector_audiovisual_andaluz_0.pdf.	الوكالة الأندلسية للنهوض بالشؤون الخارجية 2010 : دراسة إستراتيجية حول تدويل القطاع السمعي البصري الأندلسي...
Failali, Mohamed (2007) : "El castellano y la juventud del norte de Marruecos", en Marruecosdigital.net.	فيلالي محمد 2007: («الإسبانية وشباب شمال المغرب»).
FEDECALI [Federación Española de Cámaras del libro] (2007): Comercio exterior del libro 2007. (2008): Comercio exterior del libro 2008. (2009): Comercio exterior del libro 2009. (2010): Comercio exterior del libro 2010. (2011): Comercio exterior del libro 2011. (2012): Comercio exterior del libro 2012.	الفدرالية الإسبانية لغرف الكتاب (2007) : التجارة الخارجية المرتبطة بالكتاب 2007. – التجارة الخارجية المرتبطة بالكتاب 2008...
Fernández Parrilla, Gonzalo (2006) : "XII feria del libro de Casablanca", en Al-Andalus Magreb: Estudios árabes e islámicos 13, 337-340.	«فرناندیث باریيا، غونثالو» (2006) : («المعرض السابع للكتاب بالدار البيضاء»...).

y Ruth Rodríguez López (2007) : "Marruecos y España traducidos en libros", en López García, Bernabé y Miguel Hernando de Larramendi (coord.), Historia y memoria de las relaciones hispano-marroquíes: Un balance en el Cincuentenario de la Independencia de Marruecos, Madrid: Ediciones del Oriente y del Mediterráneo, pp. 283-307.	«فرناندیث باربیا، غونثالو» و»روث رودرغیث لوبیث» (2007) : («المغرب وإسبانیا مترجَمیْن في الکتب»، انظر «لوبیث غارسیا، برنابي» و»میغیل هرناندو دي لارامندي» (منسقا): تاریخ وذاکرة العلاقات الإسبانیة المغربیة: حصیلة مرور خمسین سنة علی استقلال المغرب، مدرید...).
Fernández Suzor, C. (1992) : "Las relaciones culturales hispano-marroquíes en la perspectiva de los noventa", en López, Bernabé et ál. (eds.), España-Magreb, siglo XXI. Madrid: MAPFRE.	«فرناندو سوثور» (1992) : («العلاقات الثقافیة الإسبانیة المغربیة في أفق التسعینیات»...).
Fernández Vítores, David (2013) : «Las fronteras difusas del mercado hispanohablante en los Estados Unidos», Tribuna Norteamericana 12 (abril de 2013).http://www.institutofranklin.net/sites/default/files/files/TN12-David_fernandez_vitores.pdf.	«فرناندیث فیطوریس، دافید» (2013) : (الحدود الغامضة لسوق الناطقین بالإسبانیة في الولایات المتحدة»...).
Foro de marroquíes en España (2012) : Informe sobre la prensa digital en Marruecos, (14 de septiembre). http://www.forome.info/2012/09/informe-sobre-la-prensa-digital-en.html.	منتدی المغاربة بإسبانیا (2012) : (تقریر حول الصحافة الرقمیة في المغرب (14 شتنبر)...).
Frankfurter Buchmesse (2010) : Information about Morocco's economic situation in numbers, mayo 2010.http://www.buchmesse.de/pdf/buchmesse/buchmarkt_marokko_e.pdf.	"فرانکفورثر بوشمیس" (2010) : (معلومات حول وضع الاقتصاد المغربي بالارقام، ماي 2010).
Fundación del Rey Saud de Abdul-Aziz Al de Estudios Islámicos y Ciencias Humanas. http://www.fondation.org.ma/fondation1_fr/bibliotheque.html.	مؤسسة الملک عبد العزیز آل سعود للدراسات الإسلامیة والعلوم الإنسانیة..
Fundación Siglo para las Artes de Castilla y León (2006): Plan de Castilla y León. Español para extranjeros 2006 – 2009. Junta de Castilla y León.	مؤسسة «سیغلو» للفنون بقشتالة ولیون (2006): مخطط قشتالة ولیون. اللغة الإسبانیة لفائدة لاجانب 2009–2006. حکومة قشتالة ولیون.
GEHA [Grupo de Estudios de Historia Actual] (2013): (HUM-315). Los inmigrantes marroquíes en Andalucía. Responsable: Julio Pérez Serrano. Universidad de Cádiz. Entidad financiadora: Junta de Andalucía: Consejería de Empleo. http://www.uca.es/grupos-inv/migraciones/inmigrante_marroqui/index_html.	مجموعة دراسات التاریخ الحدیث (2013) : (المهاجرون المغاربة بالاندلس. المسؤول: «خولیو بیریث سوریانو». جامعة قادش. الهیئة الممولة: حکومة الاندلس: مستشاریة التشغیل...).
Gil Pedromingo, Leyre y Jaime Otero Roth (2008): "Enseñanza y uso de la lengua española en el Sáhara Occidental", en Real Instituto Elcano, ARI 116.	«خیل بیدرومینغو، لییری» و»خایمي أوطیرو روث» (2008) : («تعلیم الإسبانیة واستعمالها في الصحراء المغربیة»، المعهد الملکي «إلکانو أري»...).

Giles, H. y Johnson, P. (1987), "Ethnolinguistic Identity Theory: A Social Psychological Approach to Language Maintenance", en International Journal of the Sociology of Language 68, 66-99.	"خيل،ه" و"جونسون،ب" (1987)...
González Enríquez, Carmen (2011) : "La migración temporal entre Marruecos y España", en Real Instituto Elcano ARI 111.http://www.realinstitutoelcano.org/wps/portal/rielcano/contenido?WCM_GLOBAL_CONTEXT=/elcano/elcano_es/programas/migraciones+internacionales/publicaciones/.	"غونزاليث إنريكيث، كارمن" (2011) : ("الهجرة الموسمية بين المغرب وإسبانيا"، المعهد الملكي "إلكانو أري"...).
Haddadou, Mohand Akli (2005) : Le guide de la culture berbère. Paris Méditerranée, 2000, pp.13-14.	حدادو محند عقلي (2005) : (دليل الثقافة البربرية...).
Haut-Commissariat au Plan [HTC] (2009): Les résidents étrangers au Maroc: Profil démographique et socio-économique. Marruecos: Impression Editions OKAD. www.hcp.ma/file/112337/.	المندوبية السامية للتخطيط (2009) : الأجانب المقيمون بالمغرب: خصائصهم الديمغرافية والاجتماعية–الاقتصادية. المغرب. منشورات عكاظ.
ICAA [Instituto de la Cinematografía y de las Artes Audiovisuales] (s.d.) : Boletín Informativo de Cine. Producción, distribución y exhibición de películas. http://www.mcu.es/cine/MC/BIC/index.html.	معهد التقنيات السينمائية والفنون السمعية البصرية. (نشرة إخبارية عن السينما. إنتاج الأفلام وتوزيعها وعرضها...).
ICEX (2011) : Marruecos: Plan integral de desarrollo del mercado. http://www.icex.es/icex/cma/contentTypes/common/records/mostrarDocumento/?doc=4006985.	المعهد الإسباني للتجارة الخارجية (2011) : (المغرب : المخطط الشامل لتنمية السوق...).
Icex (2012) : Oportunidades de negocio para la empresa española. Rabat: Oficina Económica y Comercial de España.http://www.oficinascomerciales.es/icex/cma/contentTypes/common/records/mostrarDocumento/?doc=4108327.	المعهد الإسباني للتجارة الخارجية (2012) : (فرص الأعمال أمام المقاولة الإسبانية. الرباط: المكتب الاقتصادي والتجاري الإسباني...).
INFO [Instituto de Fomento de la Región de Murcia] (2013): Informe Marruecos 2012. Departamento de Internacionalización e Inversiones.	معهد النهوض بجهة مورسية (2013) : (تقرير المغرب 2012. قسم التدويل والاستثمارات).
Instituto Cervantes (2011) : Memoria anual del Instituto Cervantes 2010-2011. Madrid: Toma 10 S. L. http://www.cervantes.es/memoria_ic_web_2010-2011/html/index.html.	معهد سرفانطيس (2011): (حوليات معهد سرفانطيس –2010 2011. مدريد...).
Instituto Cervantes (2013) : "El español: una lengua viva. Informe 2012", en VV. AA., Enciclopedia del español en el mundo, Anuario del Instituto Cervantes 2012. Madrid: Instituto Cervantes/BOE.	معهد سرفانطيس : («الإسبانية لغة حية. تقرير 2012»...).

Instituto Cervantes de Casablanca (2008): España-Marruecos: encuentros a través de los libros. Colecciones de la Biblioteca del Instituto Cervantes de Casablanca, 23 de abril de 2008. http://www.cervantes.es/imagenes/File/biblioteca/casablancha_cartel_folleto.pdf.	معهد سرفانطيس بالدار البيضاء (2008) : (إسبانيا–المغرب: لقاءات عبر الكتب...).
Instituto Nacional de Estadística (INE): Estadística de Variaciones Residenciales. http://www.ine.es/jaxi/menu.do?type=pcaxis&path=%2Ft20%2Fp307&file=inebase&L=0. Instituto Nacional de Estadística (INE) : http://www.ine.es.	المعهد الوطني للإحصاء : (إحصاء التغيرات المرتبطة بالإقامة...).
Internet World Stats (2013) : Internet Usage Statistics for Africa. http://www.internetworldstats.com/stats1.htm#africa.	إحصاءات الأنترنيت في العالم (2013) : (إحصاءات خاصة باستعمال الأنترنيت في إفريقيا...).
IVEX [Instituto Valenciano para la Exportación] (2011) : Informe Marruecos 2010. http://www.camaravalencia.com/servicios/docs/transporte/2010/INFORME-MARRUECOS.pdf.	المعهد الفالنسي للتصدير (2011) : (تقرير المغرب 2010...).
Jiménez, Juan Carlos (2009) : "El poder de compra del español en el mundo", en Revista de Occidente 335.	«جيمينيث، خوان كارلوس» (2009) : («القدرة الشرائية المرتبطة باللغة الإسبانية في العالم»...).
y Aránzazu Narbona (2011) : El español en los flujos económicos internacionales. Un instrumento de la internacionalización empresarial. Barcelona: Ariel; Madrid: Fundación Telefónica.	«جيمينيث، خوان كارلوس» و«أرانثاثو ناربونا» (2011) : (الإسبانية في التدفقات الاقتصادية الدولية. أداة لتدويل المقاولات...).
Korstanje, M. (2008). "Lenguaje y Códigos culturales", en Revista de antropología experimental 8 (13).	«كرستانج، م» (2008). («اللغة والشفرات الثقافية»...).
Krikez, A. (2005) : Statut, nature et enseignement de la langue française au Maroc. Tetuán : Imprimerie Al Khalij Al Arabi.	عبد الله قريقز (2005) : (وضع اللغة الفرنسية وطبيعتها وتعليمها بالمغرب...).
Leclerc, Jacques (2013): L'aménagement linguistique dans le monde. http://www.tlfq.ulaval.ca/axl/afrique/maroc.htm.	«لكلير، جاك» (2013) : (التوزيع اللغوي في العالم...).
Lévy, Simon (2001) : Essais d'histoire et de civilisation judeo-marocaines. Rabat: Centre Tarik Ibn Ziad.	«ليفي، سيمون» : (دراسات في التاريخ والحضارة اليهودية المغربية. الرباط: مركز طارق بن زياد).
(2005) : "La haketía o cómo sobrevivió el español en Marruecos hasta el siglo XX", en Aljamía 16, 47-52.	«ليفي، سيمون» (2005) : (الحاكيتيا أو كيف صمدت الإسبانية في المغرب إلى غاية القرن العشرين...).
López García, Bernabé (1996) : "Españoles en el Marruecos actual", en López García, Bernabé (dir.), Atlas de la inmigración magrebí en España. Madrid: Universidad Autónoma de Madrid, pp. 38-9.	«لوبيث غارسيا، برنابي» (1996) ا : («الإسبان في المغرب الراهن»، انظر «لوبيث غارسيا، برنابي» (مديرا)، خارطة الهجرة المغاربية بإسبانيا. مدريد: جامعة مدريد المستقلة...).

(2008) : "Españoles en Marruecos. Demografía de una historia compartida", en Oumama, Aouad y Fatiha Benlabbah (Coord.), Españoles en Marruecos 1900-2007. Historia y memoria popular de una convivencia. Rabat: Bouregreg, pp. 17-47. http://dspace.universia.net/bitstream/2024/1050/3/ESPANOLES+EN+MARRUECOS_Web.pdf.	«لوبيث غارسيا، برنابي» (2008) : («الإسبان في المغرب. ديمغرافية تاريخ مشترك»، انظر أميمة عواد وفتيحة بنلباه (منسقة). الإسبان في المغرب خلال فترة 2007–1900. تاريخ التعايش وذاكرته الشعبية...).
y Mohamed Berriane (2004) : Atlas 2004 de la inmigración marroquí en España. Madrid: Ediciones UAM.	"لوبيث غارسيا، برنابي" ومحمد برِّيان (2004) : (خريطة سنة 2004 للهجرة المغربية بإسبانيا...).
Maddy-weitzman, B. (2006). "Ethno-politics and globalisation in North Africa: The berber culture movement", en The Journal of North African Studies 11 (1), 71–84.	"مادي ويتزمان،ب" (2006) : ("السياسات العرقية والعولمة في شمال إفريقيا: حركة الثقافة البربرية"...).
Majdi, Toufik (2009) : "Interculturalité et aménagement linguistique au Maroc: diversité et identité culturelle", en Synergies Algérie 8, 149-157. http://ressources-cla.univ-fcomte.fr/gerflint/Algerie8/toufik.pdf.	مَجدي توفيق (2009) : («المثاقفة والتوزيع اللغوي بالمغرب: التنوع والهوية الثقافية...).
Majdoub, El Houssine (2007) : "El discurso informativo de la prensa marroquí sobre España", en López García, Bernabé y Miguel Hernando de Larramendi (coord.), Historia y memoria de las relaciones hispano-marroquíes: Un balance en el Cincuentenario de la Independencia de Marruecos, Madrid: Ediciones del Oriente y del Mediterráneo, pp. 503-516.	المجدوبي، الحسين (2007) : («الخطاب الإعلامي المغربي حول إسبانيا»، انظر «لوبيث غارسيا، برنابي» و»ميغيل هرناندو دي لارامندي» (منسقا) : تاريخ وذاكرة العلاقات الإسبانية المغربية: حصيلة مرور خمسين سنة على استقلال المغرب، مدريد...).
Marín, M. (2003) : "Julio Tienda (1898-1980) y la enseñanza del español en Marruecos durante el Protectorado", en Anuario del Instituto Cervantes 2003: Madrid: Instituto Cervantes.	«مارين، م» (2003) : («خوليو تيبندا» (1980–1898) وتعليم الإسبانية في المغرب إبان فترة الحماية»، حوليات معهد سرفانطيس 2003...).
Markiegi, Xabier (2004) : "El español en Marruecos", en www.cervantes.es. http://www.cervantes.es/imagenes/File/prensa/revista/01/rc_elespanol_01.pdf.	«ماركييغلي، خافيير» (2004) : («الإسبانية في المغرب «...). ./Marruecos Digital: http:/www.marruecosdigital.net
Martín Corrales, Eloy (1999) : "El Protectorado español en Marruecos (1912-1956). Una perspectiva histórica", en Nogue, J.; Villanova, J. L. (eds.), España en Marruecos (1912-1956). Discursos geográficos e intervención territorial, Lleida: Milenio, pp. 143-158.	«مارتن كورَّاليس، إيلُوي» (1999) : («الحماية الإسبانية في المغرب (1956–1912)». من منظور تاريخي»، انظر «نوغ، خ» و»فيلانوفا، خ.ل»، إسبانيا في المغرب (1956–1912). الخطابات الجغرافية والتدخل الترابي...).
MECD [Ministerio de Educación, Cultura y Deporte] (2012) : Enseñanzas no universitarias. Alumnado matriculado.http://www.mecd.gob.es/horizontales/estadisticas/no-universitaria/alumnado/matriculado.html.	وزارة التربية والثقافة والرياضة (2012) : (نظم التعليم غير الجامعي. التلاميذ المسجلون...).

MENESFCRS [Ministère de l'Education Nationale, de l'Enseignement Supérieur, de la Formation de Cadres et de la Recherche Scientifique] (2008) : Programme d'Urgence 2009-2012. Royaume du Maroc. http://www.enssup.gov.ma/doc_site/documents/Programme_urgence/Programme_urgence2009-2012/Rapport%20de%20synthese.pdf.	وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي (2008): البرنامج الاستعجالي 2012–2009. المملكة المغربية.
MENESFCRS [Ministère de l'Education Nationale, de l'Enseignement Supérieur, de la Formation de Cadres et de la Recherche Scientifique] (2011) : Recueil statistique de l'Education 2010-2011. http://www.men.gov.ma/sites/fr/SiteCollectionDocuments/Recueil_vf_10-11.pdf.	وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي (2011) : إحصائيات التربية 2011–2010.
[Ministère de l'Education Nationale, de l'Enseignement Supérieur, de la Formation de Cadres et de la Recherche Scientifique] (2011b): Statistiques universitaires 2009-2010. http://www.enssup.gov.ma/index.php/statistiques/statistiques-universitaires.	وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي (2011 ب) : إحصائيات التعليم الجامعي 2010–2009.
Ministerio de Comunicación Marroquí (2007) : Rapport annuel sur l'état de la presse écrite et la communication audiovisuelle publique 2006.	وزارة الاتصال المغربية (2007) : التقرير السنوي حول وضع الصحافة المكتوبة والاتصال السمعي البصري العمومي 2006.
Ministerio de Turismo de Marruecos (2011) : Tourisme en chiffres - Fréquentation - Tableau de bord national (diciembre).	وزارة السياحة المغربية (2011) : السياحة بالأرقام– التوافد – لوحة التحكم الوطنية (دجنبر).
Moga Romero, Vicente (2007) : "El mundo de la edición-reedición y el Protectorado: en torno a la cuestión hispano-marroquí (1859-2006)", en López García, Bernabé y Miguel Hernando de Larramendi (coord.), Historia y memoria de las relaciones hispano-marroquíes: Un balance en el Cincuentenario de la Independencia de Marruecos, Madrid: Ediciones del Oriente y del Mediterráneo, pp. 77-152.	«موغا روميرو، بيسنطي» (2007) : («عالم النشر وإعادة النشر والحماية: حول المسألة الإسبانية المغربية (2006–1859)»، انظر «لوبيث غارسيا، برنابي» و«ميغيل هرناندو دي لارامندي» (منسقا): تاريخ وذاكرة العلاقات الإسبانية المغربية: حصيلة مرور خمسين سنة على استقلال المغرب، مدريد...).
(2009): «La literatura de la guerra de Marruecos", en Ceuta y el protectorado español en Marruecos, Ceuta : Instituto de Estudios Ceutíes, pp. 151-70.	«موغا روميرو، بيسنطي» (2009) : («الأدب المتصل بحرب المغرب»، انظر سبتة والحماية الإسبانية بالمغرب، سبتة: معهد الدراسات السبتية...).
Morales Lezcano, V. (2006) : Historia de Marruecos. Madrid: La Esfera de los Libros.	«مورالیس لیسکانو، ف» (2006) : (تاريخ المغرب...).
Moratinos, M.A. (1993) : "Presencia cultural de España en el Magreb", en Morales Lezcano y otros, Presencia cultural de España en el Magreb. Madrid: MAPFRE.	«موراتينوس، م. أ» (1993) : («الحضور الثقافي الإسباني بالمغرب العربي»، انظر «مورالیس لیسکانو» ومؤلفين آخرين: الحضور الثقافي الإسباني بالمغرب العربي...).
Moreno Cabrera, Juan Carlos (2008) : El nacionalismo lingüístico. Barcelona: Península.	«موريـنو كابريرا، خوان كارلوس» (2008) : (القومية اللغوية. برشلونة...).

Moreno Fernández, Francisco y Jaime Otero Roth (2007): Atlas de la lengua española en el mundo. Barcelona: Ariel; Madrid: Fundación Telefónica.	«مورينو فرناندیث، فرانسیسکو» و»خایمي أوطیرو روث» (2007) : (خارطة اللغة الإسبانية في العالم. برشلونة...).
Moustaoui, Adil (2004) : "Conflicto lingüístico y política lingüística en Marruecos: una propuesta de análisis" en Actas del Congreso Diversidad lingüística, sostenibilidad y paz. Barcelona.	مستوي عادل (2004) : («الصراع اللغوي والسياسة اللغوية في المغرب: مقترح تحليلي، انظر وقائع مؤتمر التنوع اللغوي والاستدامة والسلام. برشلونة).
(2006): "Lengua y legislación en Marruecos". Documentos de trabajo. CIEMEN/Mercator. Barcelona. OC [Office des Changes] (2012) : Commerce extérieur du Maroc. Edition provisoire 2011.http://www.oc.gov.ma/portal/sites/default/files/actualites/RAPPORT%20COMMERCE%20EXTERIEUR;%20EDITION%20PROVISOIRE%202011%20.pdf.	مستوي عادل (2006) : («اللغة والتشريع في المغرب». وثائق العمل...). ./OCDE 2012: http://www.oecd.org منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية 2012.
OECER [Oficina Económica y Comercial de España en Rabat] (2012) : Marruecos. Flujos de inversión. Rabat: Oficina Económica y Comercial de España.http://www.oficinascomerciales.es/icex/cma/contentTypes/common/records/mostrarDocumento/?doc=4108326.	المكتب الاقتصادي والتجاري الإسباني بالرباط (2012) : (المغرب. تدفقات الاستثمار. الرباط...).
(2012a) : Informe sobre los principales canales de distribución que existen en Marruecos. Rabat : Oficina Económica y Comercial de España.http://www.oficinascomerciales.es/icex/cma/contentTypes/common/records/mostrarDocumento/?doc=4108485.	المكتب الاقتصادي والتجاري الإسباني بالرباط (2012 أ) : (تقرير حول أهم قنوات التوزيع الموجود بالمغرب. الرباط...).
Oficina del Censo de los Estados Unidos (2007): American Community Survey. http://www.census.gov/acs/www/.	مكتب الإحصاء بالولايات المتحدة (2007)...
Oficina Nacional Marroquí de Turismo en Madrid (2013). http://www.turismomarruecos.com/inversiones/estadisticas/set.html.	المكتب الوطني المغربي للسياحة بمدريد (2013)...
OJD Maroc (Organisme de justification de la diffusion): http://www.ojd.ma/site/ma/leschiffres.php.	هيئة تبرير البث...
OPI [Observatorio Permanente de le Inmigración] (2012) : Extranjeros con autorización de estancia por estudios en vigor. Ministerio de empleo y Seguridad Social. Secretaría General de Inmigración y Emigración. http://extranjeros.empleo.gob.es/es/Estadisticas/operaciones/con-autorizacion/201206/Autorizaciones_de_estancia_por_estudios_2012-06-30.xls#1!A1.	المرصد القار للهجرة (2012) : (الأجانب الحاصلون على رخصة الإقامة من أجل متابعة الدراسة. وزارة التشغيل والضمان الاجتماعي. الكتابة العامة للهجرة...).

Pérez Raposo, Beatriz y Leonel Cerno (2011): "Las relaciones comerciales de España con los países objeto de los planes integrales de desarrollo de mercados (PIDM) 1999-2010", en La nueva geografía de la internacionalización. Marzo-abril 2011. N.º 859 ICE. http://www.revistasice.com/CachePDF/ICE_859_33-46__622BF9C0E3FEB1824ECC72F0C8F001E5.pdf.	«بيريث رابوسو، بياتريث» و«ليونيل سيرنو» (2011) : («العلاقات التجارية بين إسبانيا والدول المندرجة في المخططات الشاملة لتنمية الأسواق 2010–1999»، انظر الخريطة الجديدة للتدويل...).
PNUD (2013) : Indicadores internacionales sobre el desarrollo humano. http://hdrstats.undp.org/es/cuadros/index.html.	برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (2013) : (مؤشرات دولية بخصوص التنمية البشرية...).
Portail Marocain Des Marchés Publics. Reino de Marruecos. https://www.marchespublics.gov.ma/index.php5?page=entreprise.EntrepriseAdvancedSearch&searchAnnCons.	البوابة المغربية للصفقات العمومية. المملكة المغربية.
Portal Nacional del Reino de Marruecos (2013) : "Médias et communication" http ://www.maroc.ma/PortailInst/Fr/MenuGauche/Société+et+culture/Médias+et+communication/Le+secteur+de+la+presse+écrite.htm [Consulta: 3-01-2013].	البوابة الوطنية للمملكة المغربية (2013) : «وسائل الإعلام وحقل الاتصال»...
Proyecto de la Constitución de Marruecos sometido a referéndum. Boletín Oficial del Reino de Marruecos n.º 5952 de 17 de junio de 2011.http://www.maroc.ma/NR/rdonlyres/EE8E1B01-9C86-449B-A9C2-A98CC88D7238/8650/bo5952F.pdf.	مشروع الدستور المغربي الذي خضع للاستفتاء. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية رقم 5952 ، في 17 مارس 2011...
Red de Hermanamientos entre ciudades Andaluzas y Españolas: http ://www.an-mar.org.	شبكة عمليات التوأمة بين المدن الأندلسية والإسبانية...
Ríos, Ernesto (2003) : El español en los sistemas de información: perspectivas de futuro. Madrid: Consejería de Agricultura, Pesca y Alimentación. Representación Permanente de España ante la FAO y el PMA. http://www.fao.org/tc/tca/esp/pdf/Ernesto_R%C3%ADos.pdf.	«ريوس، إرنستو» (2003): (الإسبانية في نظم المعلومات: آفاق مستقبلية. مدريد : مستشارية الفلاحة والصيد والتغذية. التمثيلية الإسبانية الدائمة لدى منظمة التغذية والزراعة (الفاو) ...).
Rojo, Pedro (2007) : "España a través del tamiz de la prensa árabe marroquí", en López García, Bernabé y Miguel Hernando de Larramendi (coord.), Historia y memoria de las relaciones hispano-marroquíes: Un balance en el Cincuentenario de la Independencia de Marruecos, Madrid: Ediciones del Oriente y del Mediterráneo, pp. 471-485.	«روخو، بيدرو» (2007): «إسبانيا عبر غرباك الصحافة المغربية المكتوبة بالعربية»، انظر «لوبيث غارسيا، برنابي» و«ميغيل هرناندو دي لارامندي» (منسقا): تاريخ وذاكرة العلاقات الإسبانية المغربية: حصيلة مرور خمسين سنة على استقلال المغرب، مدريد...
Roldán Romero, Magdalena (2005) : "El español en el contexto sociolingüístico marroquí: evolución y perspectivas (I)", en Aljamía, 37-46.	«رولدان روميرو، مَغداليا» (2005) : («اللغة الإسبانية في السياق السوسيولساني المغربي: تطورها وآفاقها (1)»...).

(2006) : "El español en el contexto sociolingüístico marroquí: evolución y perspectivas (II)", en Aljamía, 25-37.	«رولدان روميرو، مَغداليا» (2006) : («اللغة الإسبانية في السياق السوسيولساني المغربي: تطورها وآفاقها (2)»...).
Ros, M., Cano, J. L. y Huici, C. (1987) : "Language and Intergroup Perception in Spain", en Internacional Journal of Sociology of Language 47, pp. 73-90.	"روس، م.، و"كانو، خ. ل." و"خويسي، ك" (1987)...
Ruiz Román, Cristóbal y David Merino Mata (2009) : "La experiencia escolar de los hijos de inmigrantes marroquíes en los Centros de Educación Secundaria Obligatoria", en REIFOP, 12 (3), 87-97.	«رويث روماں، كريستوبال» و«دافيد ميرينو ماطا» (2009): («التجربة المدرسية عند أبناء المهاجرين المغاربة في مؤسسات التعليم الثانوي الإلزامي»...).
Said, Mohammed (2005) : La liberté de la presse, la déontologie et les conditions d'exercice du journalisme au Maroc. FESMAROC.	سعيد، محمد (2005) : (حرية الصحافة وأخلاقيات المهنة وظروف ممارسة الصحافة في المغرب...).
Sayahi, Lofti (2005) : "Language and identity among speakers of Spanish in northern Marocco: Between ethnolinguistic vitality and acculturation", Journal of Sociolinguistics 9, 95-107.	الصياحي، لطفي (2005)...
Selig Center for Economic Growth (2008): The Multicultural Economy. Athens : Terry College of Business. Universidad de Georgia.	مركز "سِليغ" للنمو الاقتصادي (2008)...
SERGHINI, A. (2005) : "La evolución del español en la enseñanza secundaria marroquí: Breve recorrido histórico, estado actual y perspectivas", en Cuadernos de Rabat 13.	السرغيني، أ. (2005) : («تطور الإسبانية في التعليم الثانوي المغربي: لمحة تاريخية، الوضع الراهن والآفاق»...).
Traspaderne, Lina-Yumi (2011) : El sector del Turismo en Marruecos. Rabat. ICEX.http://www.oficinascomerciales.es/icex/cma/contentTypes/common/records/mostrarDocumento/?doc=4524422.	«طراسبادیرني، لينا – يومي» (2011) : (قطاع السياحة في المغرب. الرباط. المعهد الإسباني للتجارة الخارجية...).
UNESCO (2006) : Etat des lieux du secteur du livre au Maroc.http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/HQ/CLT/CLT/pdf/Cultural_Industries/Arab_States/Morocco/Etat_des_lieux_du_secteur_du_livreau_maroc.pdf.	منظمة اليونسكو (2006) : (وضعية قطاع الكتاب في المغرب...).
(2007) : Tendances des marchés audiovisuels-Perspectives régionales-vues du Sud. Algérie-Maroc-Mauritanie. Rabat: Bureau de l'UNESCO.www.un.org.ma/IMG/pdf/unesco_CI_02_fr.pdf.	منظمة اليونسكو (2007) : (نزعات أسواق القطاع السمعي البصري – آفاق جهوية– رؤى حول الجنوب. الجزائر–المغرب–موريتانيا. الرباط: مكتب اليونسكو...).
(2012) : Datos Mundiales de Educación 2010/2011, 7.ª edición. Marruecos.	منظمة اليونسكو (2012) : (معطيات عالمية حول التربية 2010/2011، الطبعة 7، المغرب).

(2012b) : "El Índice de Desarrollo de la Educación para todos", en Informe de Seguimiento de la EPT en el Mundo 2011, pp. 294-97.http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/HQ/ED/pdf/gmr2011-efa-development-index-es.pdf.	منظمة اليونسكو (2012 ب) : (مؤشر تنمية التربية للجميع»، انظر التقرير الخاص بتتبع التربية للجميع في العالم 2011...).
(2013): "Education (all levels) profile – Morocco", en Statistics in Brief. UNESCO Institut of Statistics. http://stats.uis.unesco.org/unesco/TableViewer/document.aspx?ReportId=121&IF_Language=eng&BR_Country=5040&BR_Region=40525.	منظمة اليونسكو (2013)...
Unión Internacional de Telecomunicaciones (2013) : http://www.itu.int/ITU-D/ict/statistics/.	الاتحاد الدولي للاتصالات (2013)...
UV y ME [Universidad de Valencia y Ministerio de Educación] (2011) : El mundo estudia español 2009-2010. Universidad de Valencia Estudio General y Ministerio de Educación.	جامعة فالنسيا ووزارة التربية (2011) : (العالم يدرُس اللغة الإسبانية 2010–2009. جامعة فالنسيا، الدراسات العامة، ووزارة التربية).
World Internet User Statistics : http://www.internetworldstats.com/stats.htm.	إحصاءات مستعملي الأنترنيت في العالم...
Yahya, Mohammed (2011) : "Le poids de l'immigration et son impact sur le développement économique des deux rives de la Méditerranée" en El Houdaïgui, Rachid et ál. (coord.), Les risques en Méditerranée-conséquences sur le trinome: Union Européenne, Espagne, Maroc: Actes des deuxiémes journées de dialogue Euro-marocain, pp. 73-78.	يحيى، محمد (2011): («وزن الهجرة وأثرها في التنمية الاقتصادية في ضفتي المتوسط»، انظر الحديكي رشيد (منسقا) ومؤلفين آخرين: الأخطار في البحر الابيض المتوسط، وآثارها في الثلاثي: الاتحاد الاوربي وإسبانيا والمغرب. وقائع الايام الثانية للحوار الاورومغربي...).
Zafrani, Haim (1998) : Deux mille ans de vie juive au Maroc. Histoire, religion et magie. Casablanca: Editions EDDIF.	زفراني حاييم (1998) : (ألفا سنة من الحياة اليهودية بالمغرب. التاريخ والدين والسحر...).

(Footnotes)

1- هذا الرقم يبقى مجرد إشارة تقريبية، إنه ينبني على معدل التقديرات الخاصة بالناطقين بالإسبانية، وهو معدل يرتكز على نتائج مختلف الدراسات الموجودة.

http://www.census.gov/Press-release/www/releases/archives/population/012496.html

2- حسب مؤسسة «سيغلو»، يصل العدد إلى 6.120.000.

3- حوليات معهد سرفانطيس 2011/2010.

4- معظم المعلومات الواردة في هذا الفصل هي معلومات تم استقاؤها من جامعة فالنسيا ووزارة التربية 2011، ص 301-297. وتيسيرا لقراءتها، سنذكر فقط المصادر التي تقدم معلومات مكملة لما يقدمه هذا المصدر.

5- المعطيات الواردة هنا هي معطيات تم استقاؤها من شبكة التوأمة بين المدن الأندلسية والإسبانية.